أحبك ولكن..

«مجموعة قصصية»

بقلم/ غادة العليمي

اســم الكتاب: أحبك ولكن..

اســم الكاتب: غادة العليمي

رقم الإيداع: ٢٠١٦/١٣٣٠٩

الترقيم الدولي: ٩٧٢٩٧٧٦٥٢٧٦٦٩

الطبعة الأولى: ٢٠١٦

مراجعة لغوية وإخراج: فؤاد عرفة

الــغلاف: فريق كوفر

صادر عن مؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر

١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة

www.za7ma-kotab.com

www.facebook.com/za7ma

www.facebook.com/za7makotab

za7ma-kotab@hotmail.com

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لمؤسسة زحمة كتاب للثقافة والنشر

المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٨٤٤٨٦

أحبك ولكن..

«مجموعة قصصية»

بقلم/ غادة العليمي

مجموعة قصصية مكونة من أربع قصص

١ - شقة فى الدور الثالث

٢ - لا تلمسوا النجوم

٣- حب ووعد وتار

٤ - أربعة أيام في الجنة

المقدمة

كثير من الأحلام ولدت معنا، وعاشت فينا؛ لتبقى أحلامًا فقط.. مجرد أحلام، تسكن القلوب وتُطل من العيون، وتحيا فينا، ولا تموت إلا معنا، وقد نشيخ نحن وتظل هي داخل قلوبنا، بعمرها الفتيِّ الشاب، تشد ظهرنا، وتدغدغ أحزاننا، وتعدنا بالمستحيل، فنحيا فى نومنا عالمًا جميلًا، ونستيقظ لنواجه قبح الواقع بجَلَد وشراسة المقاتلين في طرقات الحياة، فنخسر معركة، ونكسب أخرى ما دمنا أحياء.

وكثير منا يظهر أمام الناس بصورة، ويحيا بداخل نفسة بمليون صورة وصورة، ولو اخترعوا أشعة تكشف نبض القلوب لصعقت من كم الشعراء والحالمين والعظماء الذين تستهين ببساطتهم، وكم التعقيدات التي تتشابك لتنسج أحبال أفكارهم، وتهتز ليصدر عنها نبرة أصواتهم، ومزاجية أفعالهم.

وفي داخل كل منا حديقة كبيرة، مظلمة ومخيفة، فيها الورد وفيها الصبار، فيها البلابل تغرد، وفيها ينعق البوم، فيها الذئاب تعوي، وفيها الغزلان تختال بحسنها وجمالها، وقد وشمتنا الحياة بوشم طبع بالنار على قلوبنا من يوم ميلادنا لنصير ما نحن عليه، ولا حيلة لنا فيه.

وفي صحفنا من قبل أن نولد بملايين السنين كتب القدر سيناريو حياتنا؛ لنجيء للدنيا فى موعد العرض، نلعب الأدوار في مدة محددة، برفع ونزول ستار العمر، ومهما

حاولنا لا نستطيع أبدًا الخروج عن النص، فلا تحاول أن تسأل أسئلة بلا إجابات، فمهما حاولت وبحثت ودرست لا تجد لها أبدًا أي إجابات، فقط عِشْها كما هي، واستمتع بالمتاح قبل أن يرفع من الخدمة ويصبح غير متاح.

إهداء

الحب يا سادة، ذلك الإكسير السحري للحياة، الذي يجعلك تتذوق علقمها وتحتمل، وتنام تحت مقصلة جبروتها وتعيش، وتحمل فوق صدرك، وقلبك، وعلى كتفيك أحمالًا تفوق وزن الكرة الأرضية، وتبقى صابرًا صامدًا لا تسقط بحملك، ذلك الحب الذي يجعلك تقضي عقوبة أشغال شاقة في سجن عمرك وأنت واثق من براءة قلبك، مدافعًا عن جريمة حلمك..

إنه الحب يا سادة، ووحده الحب السبب والوسيلة، ومن غير المعقول أن أذكر الحب وأتكلم بلسان المحبين ولا أذكر أحبتي بلساني وقلمي أيضًا، وأهديهم ما يليق بهم من كلمات إليهم وحدهم..

* **إلى من..** إذا ضاق بي كوني فحضنها كوني، وإذا زاد حملي فعلى بوابة قلبها ألقي حملي.. ولمَ لا يا سيدتي وأنتِ أمي؟

* **إلى من..** علمني كيف أحيا، وكيف أكون، وكيف تكون الدنيا وما عليها.

إلى من.. أهداني قاربي الصغير في بحر الحياة، وعلمني كيف أُجدف بالقلم، وكيف أسبح بين الكلمات، وكيف أسند رأسي على صدره ولا أبالي بالعالم ما دام بجواري، والدي وأول قصة حب في حياتي.

* **إلى..** عالمي، ومرفأ سفينتي، وحامل أحمالي الثقيلة، إلى ردائي، ودائي، ودوائي، وحقيقتي، ومزاجيتي، وعالمي الجميل.. المالك الشرعي لكل ما أملك، أهديه نفسي قبل كلماتي.. زوجي وبطل قصة عمري.

* **إلى..** أجمل ثلاث شقيقات شقيات، أخواتي، وصديقاتي، وبناتي، وونس أيامي، وأجمل ثلاث زهرات في بستان حديقة حياتي، أخواتي، وبناتي اللاتي لم ألدهن، ولكني وجدتني أمهن.

* **إلى..** ثمرة عمري، وأكبر وأخطر وأطول امتحان في حياتي، ونسمتى الرقيقة في حر الحياة، وطريقي الطويل، الوعر الجميل، وأصغر وأجمل وأمتع وأشجع مغامرة ومقامرة في حياتي، وأجمل رواية كتبتها روحي، وعشقي وخلودي، ومعنى وجودي.. ابناي العزيزان «عمر قلبي – ويمنى أيامي»..

* **إلى..** رفيقة دربي، وشقيقة أحلامي، وأختي التي لم تلدها أمي، أعز صديقاتي..

* وإليكم جميعًا أهدي كلماتي..

غادة..

القصة الأولى

شقة في الدور الثالث

مقدمة

قال صلى الله عليه وسلم: «كلكم راعٍ وكل راعٍ مسئولٌ عن رعيته». صدق سيد الخلق عليه الصلاة والسلام.. ونحن جئنا الدنيا صفحة بيضاء ناصعة؛ ليخط كل من نصادفه فيها سطرًا، أو خطًّا، أو حتى علامة تعجب، وما نحن عليه الآن ليس إلا نتاج غرس أهلنا، ومدراسنا، ورجال الدين الذي نؤمن به، وليست صدفة وليس حظًّا أن يحظى أحدنا دون الآخر بالرعاية، والعناية، والفهم الواعي للراعي الذي شكل شخصه وفكره، ولكنه قدر قدره القادر لنا؛ لنكون ما نحن عليه، ووحده الله يعلم السر وما يخفى.. وربما سارق أشرف من المسروق، وربما خائن أأمن من الذي يخونه، وربما ملوم أكثر حرصًا والتزامًا ممن يلومونه، فلا يلوم أحدٌ غيره فيما لا يعلمه عنه، ولا يعتب عليه فيما لم يشعره مثله، ودعوا الخلق لرب الخلق، هو أعلم منا بحالنا.

ومن لم يحظَ فينا براعٍ أمين، فليكن هو الراعي الأمين، فعجلة الحياة لا تتوقف، والراعي لا ينام، والحياة حولنا ما هي إلا غابة إسمنتية من بيوت متجاورة، تفصلها أسوار وأبواب لا يعلم ماذا يدور خلفها غير الله، وكأننا شقق في عمارات شاهقة، إحداهم في الدور الأول، والأخرى في السابع، أو العاشر، أو شقة في الدور الثالث..

شقة في الدور الثالث

تشاجرا للمرة المليون، ولكنها هذه المرة أصرت على رأيها على غير عادتها، ضاربة عُرْض الحائط بإيثار السلامة التي تتبعها دومًا؛ للحفاظ على بيتها آمنًا، هادئًا، وكانت تلك المرة الأولى التي تصر على أمر، والمرة الأولى التي تتبنى رأيًا وكأنه معركة عمرها، بعد أن نزلت عن رغبتها في العمل إرضاءً لزوجها، وعن رغبتها في إنجاب طفل واحد فقط، وأنجبت اثنين بناء على رغبة زوجها، واعتادت أن تتنازل عن رغاباتها الواحدة تلو الأخرى، ليس بسبب ضعف في شخصيتها، ولكنه كان بسبب زهد في رغباتها، فلم تكن تشعر برغبة حقيقية في فعل أي شيء، وكانت في نظر نفسها ريشة في مهب ريح لا تقاومها، ولا تفكر أن تقاومها.

لكنها هذه المرة قاومت ورفضت؛ لأنها لا تستطيع أن تترك بيتها في الحي المزدحم؛ حيث جيرانها، وونس الناس من حولها، و«بالكونتها» التي تطل على البحر منها، فتسمع وشوشات أمواجه، وتشهد عليها شمسه حين تسقط في قاع أُفْقه، أو حين تخرج من وراء بساط مياهه، إنها ستتغير، ولكنها تَعِدُ ولا تفي أبدًا بوعدها، ولا تتغير.

وكان زوجها يعمل في شركة على أطراف المدينة، ويتكبد عناء مشوار طويل ذهابًا إلى عمله وعودةً منه، وقررت الشركة أن توفر مساكن لعمالها بجانب الشركة، وحين عرض عليها زوجها الأمر صاحت ورفضت، وتمسكت برأيها على غير العادة، رغم

أن زوجها لم يكن يعرض عليها الأمر كعادته، بل كان يأمرها به، ولكنها قاومت هذه المرة، وتصدت لغضبه ووعيده، ولطمه لها أيضًا، بقوة وإصرار، مما دفعه إلى أن يؤجل الأمر لحين الانتهاء من بناء المساكن وتجهيزها، وتركها ونزل غاضبًا، متوعدًا، ودفع خلفه الباب بقوة كعادته، ولم يكن يفهم سر تمسكها ورفضها، أما هي فمسحت دموعها، وارتدت إسدالها، وصلت لربها، وقرأت الورد اليومي من مصحفها، ودخلت «بالكونتها» تتابع الحياة منها، فقد كانت «راوية» تعيش حياتها من خلف أسوار شرفتها، ومدت بصرها تتفقد «بالكونات» جيرانها، إحداهن نشرت غسيلها غير الناصع البياض، والأخرى أغلقت الباب على أولادها ونزلت لعملها، والأخرى كسولة ما زالت نائمة، والعروسُ التي في الرابع رغم أنها قضت أكثر من أسبوع من عمر زواجها لكنها لم تخرج لـ«بالكونتها» أبدًا، ولم تفتح حتى شباكًا، ويبدو أنها هي وزوجها يفرطان في عسل شهر العسل.

وسرحت «راوية»، ودقت أبواب ذكرياتها لتتذكر ليلة زفافها على علاء، الذي لم تكن تعرفه، وكيف كانت تتخيل ليلتها وهي صغيرة، وكيف انتقت قميص دخلتها الحريري، وتخيلت نظرات إعجاب زوجها بها وهي ترتديه، ولمسات يديه على نعومة سطحه فوق جسدها الناعم، وكيف تحول حلمها إلى كابوس على يد علاء، الذي لم يمهلها حتى ترتديه، والذي لا يعطيها أي فرصة لفعل أي شيء، أو يشاورها في أي أمر، وكأنه تزوجها بغرض أن تقوم بوظيفة عفريت مصباح علاء الدين؛ يصفق لها

فتظهر، ويأمر فتطيع، وبعد أن ينال أحلامه وأوامره لا يبالي بالعفريت، ولا بالفانوس نفسه، ويلقيه في أي مكان.

وعادت «راوية» بالذاكرة بعيدًا جدًّا "تضحك"، وتذكرت صديقاتها سحر، وسميرة، وعلا، حين كانوا في فسحة المدرسة الثانوية يفتحن شُباك فصلهن ويطللن على عمارة أنيقة كانت أمام المدرسة مباشرة، وكن يمزحن معًا بلعبة مجنونة؛ بأن تختار كل منهن شرفة لشقة من شقق العمارة وتقول للأخريات هذا بيتي، وهذه بالكونتي، ويتبادلن المزاح معًا، وتشير كلٌّ منهن إلى الشقة التي اختارتها، وتقول إحداهن للأخريات وهي تشير لشرفة الشقة التي انتقتها:

- شوفتوا؟ أنا صحيت بدري وفطرت الولاد ونشرت الغسيل.

فتجيبها الأخرى:

- أيوة، بس ذوقك بلدى قوي في لبس البيت، إيه القرف اللي بتلبسيه لجوزك ده؟ جلابية فوشيا بترتر؟ حرام عليكي، أتاري الراجل طفشان وما بيظهرش في البيت خالص.

فتجيبهم أخرى ضاحكة :

- أنا بقى بودي غسيلي للدراي كلين؛ لأني بشتغل ومش فاضية.

وصديقة رابعة تقول:

- وأنا مسافرة تركيا أنا وجوزي وقافلة الشقة بقالي أسبوع.

فيضحكن معها:

– يا بنتي أنتِ آخرك بلطيم أو جمصة.. تركيا دي هتجيلك منين؟ خلي أحلامك واقعية شوية..

ويضحكن معًا.. وبمجرد انتهاء الفسحة واستكمال اليوم الدراسي ينتهي خيالهن ويعدن لدراستهن، إلا «راوية» تظل عيناها معلقتين ببالكونة بيتها الخيالي.

وتعمقت «راوية» أكثر وأكثر بذاكرتها، وتذكرت والدتها المتوفاة الصارمة، ووالدها المقيم على القهوة ليل نهار مع أصحابه، تاركًا شأنها، كأنها ليست من شأنه، وإخوتها الصبية الأربعة، الذي يرون في «راوية» ميدانًا لإثبات رجولتهم، وخشونة صوتهم، والاشتراك في وضع قائمة الممنوعات؛ ممنوع الخروج، ممنوع التليفزيون، ممنوع.. ممنوع.. ممنوع، أكثر كلمة كانت تسمعها «راوية» في بيتها، وكانت «راوية» تدخل غرفتها تبكي، وشيئًا فشيئًا تعلمت أن تفتح شباكها وتدور بنظرها لتنتقي بيت أحلامها، وتتخيل أحداثًا غير الأحداث، وأشخاصًا غير الأشخاص، حتى أنهت دراستها الثانوية، ورفض إخوتها أن تسافر إلى القاهرة لدخول الجامعة، وأدخلوها معهدًا للخدمة الاجتماعية؛ لأنه يقع في المحافظة التي يعيشون فيها، دون الرجوع لرغبتها، والسؤال عن طموحاتها، وبعد شهر ونصف شهر من دراسة غير شيقة لا تناسب ميولها فاجأها أبوها الحاضر الغائب وبارك لها على خطوبتها التي وافق عليها من عريس لقطة سيأتي عصرًا؛ ليقرأ فاتحتها، وقبل أن يشورها والداها قبله وانهى الامر معه قبل حتى ان يحيطها علم به، وقبل ان تنطق سبقها أخوها الأكبر وقال:

- وطبعًا مفيش خروج وقعاد على انفراد قبل كتب الكتاب، مفهوم؟

وأملى أمره عليها قبل أن يسأل عن ماهية العريس، ووضعه، وملائمته لأخته، وكأن كل وظيفته في حياتها أن يعطيها أوامره فقط، وتمنت أن تكون أمها على قيد الحياة؛ لتسألها وتسمعها، رغم أن أمها كانت أكثر صرامة من إخوتها، وانفض الجميع من حولها يجهز نفسه لاستقبال الضيوف، رغم أن أحدًا لم يسألها رأيها أو يسمع منها كلمة واحدة، وكأنها جاءت الدنيا لتسمع للكل، ولتطيع الجميع.

ودخلت «راوية» غرفتها، تراود نفسها عن نفسها، ثم اتخذت قرارها بألا تتخذ أي قرار كعادتها، وتترك نفسها لحياتها الجديدة اقتناعًا منها أن ليس لديها شيء لتخسره، فحتى نفسها لم تكن تملكها لتفقدها، وجاء علاء ورفعت عينيها من تحت ستائر خجلها، فرأته مهندمًا وجيهًا، مقبول الشكل، ففرحت به، وعلمت أنه يعمل في شركة في مدينة ساحلية، وعنده شقة على البحر، فوافقت على الفور، فقد كانت تحب البحر، وكان حلمها أن تسكن في شقة تطل على البحر، ولما كان العريس جاهزًا ومتعجلًا، فقد تم كل شيء بسرعة، أما دراستها فلم تكن على خريطة تفكيرهم أبدًا، ولم تعترض هي على الأمر أولًا؛ لأنها لم تكن تعترض، وثانيًا؛ لأنها لم تكن تحب نوعية دراستها من أساسه، وسافرت مع زوجها؛ لتبدأ حياتها من جديد ولتكتشف أنها تكملة لبنود الممنوعات التي وضعت لها مسبقًا، من يوم مولدها وقد أضيف عليها بند جديد، عرفته ليلة زفافها، وهي أنها ممنوع عليها أن تشعر، وتستمتع، وتعبر عن أنوثتها، وأنها مجرد أداة سعادة في يد شخص أناني لا يرى غير نفسه، وهي

بالنسبة له وعاء إنجاب ذكور وإناث يحافظ به على اسم عائلته، وخادمة بلا مقابل في بيته، وحتى ولو كان مقابلًا معنويًّا، وقاومت في أول الأمر، وحاولت أن تغير مسار نهر الحياة الظالمة التى جرفتها لشاطئ لا تريده، وبعد فترة قصيرة من زواجها، وبناء على نصيحة من إحدى صديقاتها، اشترت «راوية» شموعًا ووردًا، وارتدت أجمل ثيابها، وأدارت المسجل على موسيقى هادئة، ووضعت العشاء بطريقة أنيقة، وأطفأت الأنوار، وانتظرت عودة زوجها من عمله؛ لتفاجئه بالجو الرومانسي، وعاد الزوج، وأوقد الأنوار، فجاءت من خلفه وغمت عينيه، فصاح فيها:

- إيه شغل العيال ده؟! فين الأكل؟

فأشارت على سفرة الطعام، وأغلقت الأنوار ثانية، وأوقدت الشموع، وأدارت الموسيقى، فما كان منه إلا أن صاح من جديد:

- اقفلي الزفت ده، أنا مبحبش الدوشة، وبعدين مش كفاية صداع المصنع والمكن؟! كمان هتكملي عليا بالتسجيل والمزيكا؟!

فاتجهت صوب المسجل، وأغلقت الموسيقى على مضض، وقالت:

- ولا تزعل يا زوجي العزيز..

فقال لها:

- كمان افتحي النور، أنا مبحبش الضلمة، هشوف الأكل ازاي يعني كده؟

فنفخت غيظها في الشموع وأطفأتها، وقالت:

- وآدي الشمع، ولا تزعل..

فمد يديه على الطعام ليتناوله، وصاح من جديد:

- إيه ده؟ الأكل بارد، ميت مرة أقولك ما تغرفيش الأكل قبل ما آجي من الشغل، الأكل بارد جدًّا..

فقالت بانكسار قلب:

- فعلًا هو باااااااااااااارد، وبارد جدًّا كمان، معاك حق، أنا غلطانة..

فقال لها بعد أن أكل وشبع وتجشأ:

- ودلوقتي يلا اسبقيني على الأوضة..

فقامت أمامه صامتة يائسة كجارية تلبي أمر مولاها، وعندما أنهى مهمته وأنجز فعله قال لها:

- بكرة تعمليلي ساندويتشات حلاوة وجبنة رومي، وتصحيني متأخر شوية..

وأعطاها ظهره ونام غير عابئ بها أو بوجودها.

ومضت «راوية» نحو شباكها، ورفعت عينيها تنظر للسماء وتشكو إلى الله تعاستها ويأسها، وما أن أنزلت عينيها من النظر والدعاء لرب السماء حتى وقعت عيناها على سكان الأرض من جيرانها، وتذكرت هوايتها القديمة في أن تحيا في بيوت جيرانها، وتتأمل حياتهم من بعيد، وتوزع حياتها على كل شقة، وكل بالكونة، ومن

يومها وعيناها معلقتان ببالكونات جيرانها، تسمع ضحكات صادرة من هنا فتضحك معهم، وتتخيل موقفًا يضحكها، وتسمع صياحًا من هناك فتفتعل مشاجرة دائرة تقول فيها كل ما تتمنى أن تقوله، وتصارح به زوجها أو أباها.

وهكذا مضت بها الحياة، اثني عشر عامًا، أنجبت خلالها هيثم؛ ابنها البكري، ومنى؛ ابنتها الصغرى، وأحبتهما وكأنهما كل الحياة، ومنحتهما حرية الكلام، وقول الرأي، وتفننت في تربية ولديها على ضرورة أن يكون لكل منهما شخصية لا تتأثر بمن حولهما، وكانا سبب شجار دائم بينها وبين زوجها، واتهام مستمر بأنها على حد قوله مبتعرفش تربي، واستماتت «راوية» في الدفاع عن ولديها بكل طريقة، فقد كانا هما كل حياتها، مع الاحتفاظ بحياتها الأخرى الموزعة على بالكونات جيرانها، وخلف نوافذهم.

وكانت هناك شقة خالية في الدور الثالث يسكنها مستأجر جديد كل بضعة أشهر، وخاصة في الصيف؛ لأنها تطل على البحر، وكانت تلك الشقة فاكهة «راوية»، فهي كل فترة يأتيها سكان جُدُد وبأحداث جديدة أيضًا.

وكانت «راوية» تستيقظ في الصباح نشيطة، فتوقظ ابنيها، وتحضر لهما الطعام، وتلبسهما ملابس المدرسة، وتبقى بجانبهما إلى أن يستقلا باص المدرسة، فتدخل لزوجها وتوقظه، وتجهز له إفطاره وتسأله عن طلباته للغداء، وتجهز له الحمام، وتحضر له طاقمه الداخلي المفضل من البوكسرات البفتة التي يفصلها تفصيلًا تبع مقاييس راحته، دستة من الباراشوتات البيضاء التي لا يرتاح لغيرها، ولا يلبس

سواها، والتي كانت سببًا في تدمير الصورة الجميلة عن الرجل الوسيم من أول يوم لقائهما كزوج وزوجة، وقاومت «راوية»، وحاولت أن تعبر له عن استيائها من تلك الباراشوتات التي تستقر في دولابها بأمان وسلام، وقدمت له في عيد ميلاده هدية، شنطة أنيقة فيها مجموعة من البوكسرات الحديثة المزركشة اللون، فما كان منه إلا أن اتهمها بأنها امرأة رقيعة، ورماهم في وجهها، وغضب غضبًا استغرق ثلاثة أيام متواصلة من القطيعة بينه وبينها، حتى تعطف وسامحها في أول الأمر، وأشعل في هديتها النار بعد ذلك حتى تتوب عن فعلتها الشنيعة في حقه، فلا تفرض ذوقها واختيارها عليه، حتى تابت وأنابت، وأصبحت تطوف محلات الأقمشة بحثًا عن قماش البفتة المنقرض منذ زمن ليس قصيرًا، وتنتقي أفضل أنواعه لتوفر له راحته، وتثبت له أنها تابت عن فعلتها في حقه، وأن زوجته ليست امرأة رقيعة أبدًا.

وينزل الزوج والأولاد، ويخلو لها البيت، فتفتح كل شرفات بيتها، وخاصة بلكونتها التي تطل إحداهما على البحر الساحر الذي يبدو حين تطيل النظر لزرقته وموجه وكأنه فص من الفيروز في كف الكون، وبالكونتها الأخرى التي تطل على بيوت جيرانها، فتلقي «راوية» نظرة على البحر تشبع عينيها بسحر لونه، وتنعش صدرها بعطر نسيمه، ثم تتجه إلى شرفتها الأخرى؛ لتكمل حياتها الموزعة على بالكونات جيرانها، فتطمئن عليهم واحدًا واحدًا، من نزل لعمله، ومن بقي في إجازة في بيته، ومن سافر، ومن عاد من السفر، ثم تدخل مطبخها، وتبدأ في التجهيز

لغدائها، وتنظف بيتها، ثم تأتي بعد أن تنجز مهام خدمتها في البيت؛ لتبدأ مهام المراقبة لشبابيك وبالكونات الجيران.

وتبدأ «راوية» دائمًا بالنظر لشباك منى ومحمود؛ العروسين الجديدين، فتضحك إذا نشرت «منى» قميص نوم أنثوي، وتتخيل ما كان وراء قصة ذلك القميص منذ أن كان معلقًا على شماعة في دولابها، إلى أن دخل مرحلة الغسل والنشر، ومتى سترتديه «منى» من جديد، فقد عرفت أن «منى» لا تكرر ثيابها إلا على فترات متباعدة، وكانت أنيقة رقيقة، يسبح بيتها في موجات من العطور، وترقص جنباته على أنغام أغانيها الرومانسية الجميلة، غير أن «راوية» ظلت قلقة على «منى» حتى اطمأنت من غسيلها للأسبوع الماضي، فلم يكن فيه ولا باراشوت واحد من البفتة.

والست سعاد؛ جارتها الطيبة التي أحيلت للتقاعد منذ شهرين، ما زالت نشيطة، تستيقظ مبكرًا في ميعاد عملها رغم إحالتها للتقاعد. ومي ومحيي؛ الذين رزقهم الله ببنت للمرة الثالثة، لكن محيي رجل طيب، ولم يبدِ أي استياء أو غضب من نوع مولوده الثالث. وعلي وآية؛ جيرانها دائمو الشجار، ولا تكاد تعود آية من بيت أهلها بعد مشاجرة كبيرة بينهما حتى تغضب وتترك البيت من جديد، وكانت تتعجب «راوية» جدًّا من أمرهما، فآية تحب علي جدًّا، وحين مرض ونقلوه للمستشفى كانت ستموت من الخوف والقلق عليه، وعلي يحب آية جدًّا، حتى أنه يساعدها في الطهي وتنظيف الشقة أيضًا، وكثيرًا ما كانت تراهما من وراء نافذتها الزوجية، يضحكان

وهما يشاهدان فيلم السهرة في التليفزيون، أو يتحدثان معًا بالساعات دون أن يملا من بعضهما، فلِمَ كانا يتشاجران إذن؟! ومن أين تأتيهم المشاكل؟!

وتظل «راوية» تطوف بعينيها، تتفقد أحوال جيرانها، حتى يحين موعد صلاة الظهر، فتصلي وتقرأ وِرْدها، وتتفقد طعامها، وتعود أدراجها لمراقبة الجيران، حتى وهي تطهو طعام اولادها كانت عيناها على شرفات مطابخ الجيران، حتى شرفات الغرف وهي تنظفهم كانت تنظف وتختلس النظر على شرفات غرف الجيران.

ويعود ولداها من مدرستهما فتستقبلهما بحب، وتطعمهما وتستذكر معهما دروسهما، وتعد لهما فراشهما للنوم، وما أن ينام الصغار حتى تعود للشرفة من جديد إلى أن يعود زوجها من عمله منهكًا، ويصيح طالبًا للطعام، فتعده وتطعمه، وتجهز له حمامه وباراشوته البفتة، وتعود وتجلس بجواره صامتة تنتظر أن ينتقي هو مواضيع الكلام التي يرغب في فتحها، وغالبًا ما كانت كلها ملاحظات عن طعم الأكل، وطريقة طهيه التي نادرًا ما أثنى عليها فيها رغم التهامه كل أطباق الطعام حتى آخرها، وكان علاء رجلًا يعشق الجرائد، فكان ينفق جزء غير قليل من دخله على الجرائد، وما أن يأكل حتى يجلس لينهي قراءة الجرائد، حتى يغلبه النوم، فيدعوها للنوم، فتقوم وتمضي وراءه صامتة، وينام هو وتظل هي ساهرة تفكر في أمور جيرانها، ثم تطوف طوفة سريعة على شرفاتهم، حتى تتأكد أنهم ناموا جميعًا، فتطمئن أن المشاهدة لليلة قد انتهت، وأن شيئًا ما لن يفوتها مشاهدته، فتطمئن وتنام.

وكان هذا ملخص اثني عشر عامًا، هي عمر زواج «راوية» بلا جديد في حياتها في بيتها، والجديد عندها كان دائمًا في حياتها الأخرى، الموزعة على شرفات جيرانها، وحكاياتهم المعلقة على أحبال غسيلهم، أو المعلنة صوتها من ضحكة، أو شجار، أو أغنية خارجة من وراء شرفة، أو خلف نافذة، فحتى التليفزيون لم يكن له وجود في بيتها، غير تليفزيون صغير يفتح بأمر علاء على قناتين محددتين، لم يكن التزامًا أو تزمتًا من زوجها، ولكنه كان أمرًا أثناء إصدار عقوبة حين حاكمها على فعلتها الشنيعة الرقيعة، حين استمعت لنصيحة من صديقة من صديقات الدراسة التي تحدثهم كل عامين أو ثلاثة أعوام حين تحضر إحداهن لمدينتها الساحلية للتصييف، وكانت النصيحة خاصة بتجديد حياتها الزوجة، وإسعاد زوجها بشيء جديد تفعله له، يسعده ويشعرها بأنوثتها ووجودها، فما كان منه إلا أن أجرى لها اختبارًا ووضعها على جهاز لكشف الكذب:

- من أين أتيتِ بتلك الأفعال؟ ومتى تعلمتيها؟ وكيف فكرتِ فيها؟ ولمَ فعلتيها؟ وما الأفعال المشابهة لها التي تعرفينها؟

فلم تجد أمامها سوى أن تبكي وتتوسل، وتطلب السماح وتعتذر عن تقليدها لبطلة فيلم سينمائي في التليفزيون، فيغضب ويصدر «فرمانًا» بعدم مشاهدة التليفزيون إلا لقناتين سخيفتين إن شاءت المشاهدة.

كانت حياتها تسير منتظمة، موزعة بين أسرتها ومتطلبات أولادها وزوجها، وحياتها الموزعة على شرفات جيرانها إلى أن لاحظت حركة في الشقة التي في الدور

الثالث، وانتظرت أن تفتح نوافذ البيت أو شرفتها، ولكن ذلك لم يحدث، انتظرت يومًا، وأسبوعًا، وشهرًا، ولم تفتح، فظنت أنها كانت تتوهم، حتى خرجت كعادتها بعد أن صلت الظهر وقرأت وِرْدها تقشر حبات الثوم في بالكونتها، وتعيش حياتها في بالكونات جيرانها، فوجدت شرفة شقة الدور الثالث مفتوحة على مصراعيها.

أخذت تدقق النظر في الشقة التي فتحت شرفاتها للتو لتتبين سكانها، وتعرف في أي قائمة من قوائمها ستضعهم، فوجدت طفلًا جميلًا صغيرًا ذا عامين أو أقل قليلًا، يحبو نحو سور الشرفة، فتجمدت من الرعب حين وجدت الطفل الصغير يتسلق سور الشرفة، حتى وصل إلى آخر درجاتها الحديدية، فانخلع قلبها، وارتدت إسدال الصلاة، وفتحت الباب، ونزلت تجري، وتجري مسرعة، وأخذت تدق الباب بقوة على أصحاب الشقة؛ لتنبههم، وتمنع شبح السقوط الذي يطارد صغيرهم، وما أن فتح الباب شاب ثلاثيني حتى انهال عليها سبًّا ولعنًا، ووبخها على طريقة دقها على بابه، وكيف أنها لا تراعي ذوقًا أو أخلاقًا، فدفعته بيديها وجرت على الشرفة، وجذبت الصغير في اللحظة المناسبة، بعد أن كاد يسقط بالفعل، وأخذته في حضنها وأخذت تحمد الله وتشكره أنه وفقها لإنقاذ حياة الصغير، فنام الطفل في حضنها يبكي، فأغمضت عينيها لتستريح وتريح أعصابها من الفزع الذي عاشته، فسمعت صوت الرجل يعتذر لها عن طريقة كلامه معها، وتوبيخه لها، ويشكرها جزيل الشكر، ويصف له وضعه، فقد كان يأخذ حمامًا، واضطر أن يخرج مسرعًا؛ ليفتح الباب، الأمر الذي أزعجه كثيرًا، وتسبب في صياحه في وجهها، وهي الملاك الذي

جاء لينقذ ابنه في الوقت المناسب، تكلم كثيرًا، واعتذر كثيرًا، وهي مغمضة العينين، والطفل الصغير في حضنها، وهي هامدة صامتة تستريح من جريها في رحلة إنقاذ الولد الصغير، وصدرها يتهدج، ونفسها يعلو ويهبط، وما أن فتحت عينيها حتى دققت النظر، وفتحت جفونها على مصراعيها، وأطالت الرؤية، فقد كان الرجل يرتدي «بوكسر» مزركشًا زاهي اللون، فاعتذر الشاب من جديد، وجرى من أمامها، ودخل وغاب، وعاد بروب، وأخذ يطيل في الاعتذار ويصف الظرف. فقالت له:

– لا خلاص مفيش حاجة، خد ابنك واهتم بيه، وخد بالك منه..

وأعطته ظهرها لتنصرف وهي تقول:

– طبعًا أمه في المطبخ، وسيادتك راجل مينفعش ترعى الولد، ومش مستحمل تقعد معاه لحد ما أمه تفضى، عارفة أنا القصة السخيفة دي بتاعة الرجالة..

فتبعها وقال لها:

– أمه ماتت وهي بتولده، وابني يتيم ملوش حد غيري..

فالتفتت له وقالت:

– أنا آسفة، ربنا يخليهولك، بس بردو خد بالك منه..

وهبطت درجات السلم وهي تضحك وتقول:

– لسه الدنيا بخير، مش كل الناس بتلبس بفتة..

وعادت لبيتها وحياتها فيه، ولنوافذ الجيران وخيالها حولهم، وكلما وقعت عيناها على الشقة التي في الدور الثالث حتى تضحك وتقول:

- لسه الدنيا بخير.

وعاد ابناها من مدرستهما لتأخذ «راوية» هدنة قصيرة من حياتها المقسمة خلف النوافذ، وتراعي ابنيها وتطعمهما، وتقوم بواجبها نحوهما دون تقصير، ثم عاد زوجها مساء يزمجر كعادته طالبًا للطعام، فجرت وجهزت له طعامه، وجلست بجانبه حتى نام هو، أما هي فقامت تكمل حياتها المقسمة خلف النوافذ، ولكن شيئًا ما جذب نظرها خلف نوافذ شقة الدور الثالث؛ لتتبعها بعينيها، وتخمن ما يدور خلفها، وقد انتابتها شفقة صادقة على الطفل الذي أنقذته في الصباح، وعلى أبيه ذي البوكسر المزركش الذي أثبت لها أن الدنيا ما زالت بخير، ثم تفقدت باقي النوافذ؛ لتطمئن على أبطال خيالها، ثم عادت لتنام؛ لتستيقظ في الصباح على نفس أحداث حياتها الثابتة التي لا تتغير، والتي لولا خيالها الموزع على شقق جيرانها لماتت كمدًا، وضيقًا، وشيخوخة، وهي في ريعان شبابها.

وخرجت للأسواق لتعود بحاجاتها وطلبات بيتها، ودخلت للسوبر ماركت، وحملت أشياءها، ووقفت على كاشير الخزنة؛ لتدفع حساب مشترياتها، ووجدت امرأة عجوزًا تتشاجر مع العامل الذي يجلس خلف الكاشير، وتترجاه في أمر يخص حساب مشترياتها، والعامل مصر على كلامه معها، بأنه ليس معه نقود فكة

ليحاسبها، وأنها تستطيع أن تترك أشياءها لو أرادت، وتعود بعد أن تجلب له نقودًا فكة، والمرأة المسنة تقول له:

- يا ابني هدورلك فين على فكة؟ يا ابني حرام عليك..

فرد عليها العامل:

- وأنا هعملك إيه؟ فكي وتعالي خدي الحاجة..

فتدخلت «راوية» في الحوار وقالت:

- كام حسابك يا أمي؟

فقال لها العامل على المبلغ المطلوب، فدفعتهم «راوية» له وقالت:

- آدي الفكة أهيه، اتفضل..

ووضعت أشياء المرأة في شنطتها، وأعطتهم لها، فرفضت المرأة بشدة أن تقبلهم منها، وأعطتها النقود التي معها، وقالت:

- فكي يا بنتي براحتك، وابقي هاتيلي الباقي..

وقبل أن تجيبها «راوية» بالقبول أو بالرفض أقسمت عليها المرأة، وتمسكت بقسمها، فمضت معها «راوية» حاملة أكياس أشيائها وهي تقول:

- خلاص هنفك سوا، وتاخدي باقي فلوسك.

- يا بنتي أنا مش قادرة أقف، هروح وأنتِ لفي براحتك، وما بين الخيرين حساب..

وتركتها ومضت، فنادتها «راوية»:

- طب وأنتِ فين بيتك علشان أجيبلك الباقي؟

فردت المرأة:

في الشقة اللي في التالت، وأشارت على الشقة، وتركتها ومضت، أما «راوية» فتسمرت مكانها تعيد رسم خيالها من جديد، فقد ظهر في الشقة عضو جديد لم يكن في حساب «راوية» أثناء نسج خيالها.

وجمعت «راوية» أشياءها، ووضعتهم في بيتها، وطارت على الشقة التي في الدور الثالث؛ لتعطي للمرأة باقي حسابها، وكانت تدق باب الشقة وقلبها يدق معها بقوة لم تعرف لها سببًا، وفتحت لها السيدة باب الشقة، ودعتها للداخل مبتسمة متهللة الوجه، شاكرة لها صنيعها لها، وكان الطفل متعلقًا في ذيل المرأة، فداعبته «راوية»، وقبلت جبينه، فقالت لها السيدة:

- ده زياد، حفيدي، بس شقي شقاوة، ربنا يقدرني عليه وعلى شقاوته، امبارح كان هيرمي روحه من البالكونة، لولا واحدة من جيراننا ربنا يسترها ويحميها لحقته على آخر لحظة..

فضحكت «راوية»، وقالت:

- ربنا يحفظه ويخليهولك..

- مسكين يتيم، ماتت أمه ومن ساعتها وأبوه يا عيني محتاس بيه، كان بيشتغل في شركة أجنبية من اللي بتنقب عن البترول في الصحرا دي، أصل سامح مهندس بترول، بس كان شغله بيخليه يبعد عن بيته بالأسبوع والاتنين، ورغم إنه كان بيقبض بالدولار إلى إنه اضطر يسيب شغله ويقبل شغلانة هنا في المدينة علشان يفضل جنب ابنه ويرعاه، فسبت بيتي يا بنتي أنا كمان في القاهرة، واضطريت آجي أقعد معاه أرعى الولد، وأشيل عنه شوية.

فتعاطفت «راوية» جدًّا مع زياد، وضمته لصدرها، وتعاطفت أكثر مع أبيه سامح، وتخيلت أحزانه بعد وفاة زوجته، وجلست مع السيدة الطيبة جلسة طويلة يتعارفان، وعرفت أن اسمها ليلى؛ الحاجة ليلى، وعرفت منها الحاجة ليلى اسمها وأسماء ولديها، وعمل زوجها، وأعطتها «راوية» قبل أن تنصرف رقم تليفونها، وأقسمت عليها أن تطلبها إذا احتاجت شيئًا.

وعادت «راوية» لبيتها بحكاية جديدة، وظلت تفكر في سامح، وفي زياد ابنه، وفي زوجته، ونسجت لزوجته صورة بخيالها، فقد كان زياد لا يشبه «سامح» في الملامح، ففكرت «راوية»، وقالت في نفسها ربما زياد يشبه والدته، فلون شعره ولون عينيه مختلفين عن لون شعر ولون عيني أبيه، وقررت أن تطلب من الحاجة ليلى صورة من أمه رحمها الله، حتى لا ترهق خيالها بالتفكير في ملامحها، وأنجزت طلبات بيتها، واستقبلت زوجها بالطعام، وأحضرت طاقمه البفتة؛ ليأخذ حمامه، وبقيت بجواره،

وأطاعته في كل طلباته منها حتى نام وتركها لخيالها الذي يسافر رغمًا عنها مخترقًا للشقة التي في الدور الثالث، وخاصة جارها سامح، لم يكن سامح أوسم من زوجها على الإطلاق، فكل المقارنات بخلاف طاقم البفتة كانت لصالح زوجها، ولكن شيئًا آخر كان قد جذب تفكيرها نحو سامح، ربما تعاطفها معه ربما ظروفه وتضحيته لصالح ابنه، الأمر الذي لم تكن تظن أنه موجود في الحياة، فقد كانت نماذج الرجال حولها أب أوقاته ضائعة على كراسي المقاهي على حساب بيته وأولاده، ومن بينهم «راوية» ابنته الوحيدة، والتي من المفترض أن تكن حبيبة أبيها كما تقول الأمثال، وزوج لا يعرف عن أولاده شيئًا، إلا ما تنقله له عنهم من أخبار، وإخوة كل وظيفتهم في الحياة وضع قائمة الممنوعات لأختهم الوحيدة «راوية».

كان منظر سامح وهو عائد من الخارج محملًا بالحلوى لطفله، وضحكته من خلف نافذته وهو يداعب ابنه، كفيل بأن يجعله بطلًا لقصص خيالها، ومرت الأيام وهي تتردد على الحاجة ليلى؛ تساعدها في أعمال البيت، وأحيانًا في عمل الطعام، وكانت تطعم الصغير بيديها، وتتجول في البيت بسعادة غريبة لا تعرف لها سببًا، وتشير على الحاجة ليلى أن تبدل أماكن الأثاث، وتنقلها عكس بعضها؛ لتتيح مساحة أكبر للعب زياد، وحتى لا تصطدم رأسه بقطعة مدببة تتسبب في أذى للصغير، فتوافقها الحاجة ليلى وتتركها تعمل ما تريد، وتدعو لها الله أن يرزقها الصحة والهناء في حياتها، فتسرح «راوية»، وتتساءل في قرارة نفسها عن معنى هذا الذي يدعى الهناء ما طعمه؟ وما لونه؟ وكيف يكون شكله؟!

وكان أكبر أسباب سعادتها يتحقق حين تعود في اليوم التالي لشقة الدور الثالث، فتجد أشياءها التي غيرتها ثابتة لم يعترض عليها سامح، بل تسمع من الحاجة نبيلة أنه أثنى عليها وعلى ذوقها، فقد كانت لا تستطيع أن تفعل ذلك في بيتها من دون أن تخبر زوجها وتنال موافقته، ويوم أن جربت أن تفعل ذلك نالت لومًا وتقريعًا واتهامًا بأنها أمرأة فاضية، وأنها تسببت في خلخلة الأثاث بتحريكه، وخدشته أثناء نقله، كانت لا تستطيع الخروج عن النص في سيناريو حياتها، وكان زوجها مخرجًا ديكتاتورًا يرغمها على لعب دورها بالطريقة التي يراها مناسبة لإنجاح عرض الحياة التي تحياها ولا تشعرها.

أما ما أثار تعجب «راوية» وخجلها حين كانت تتجاذب أطراف الحديث مع الحاجة ليلى وكانا يتكلمان عن معاناة سامح مع ابنه من يوم موت زوجته منى، وكيف أن «زياد» مفتقد لأمه، كما أن سامح مفتقد لزوجته، وكيف أن الحياة في البيت انطفأت بهجتها مع انطفاء شمعة عمر والدة زياد لبنى، فقالت لها «راوية» بعفوية ودون قصد منها:

– وليه ما تخليش سامح ابنك يتجوز علشان ينسى لبنى والحي أبقى من الميت؟

وقتها ابتسمت الحاجة ليلى، وردت على «راوية» وفاجأتها أنها أم للبنى، الزوجة المتوفاة، وليست أمًّا لسامح، ورغم ذلك فإنها لا تمانع أبدًا في زواجه ممن تطمئن على رعايتها لزياد، فخجلت «راوية»، واعتذرت، ولكن السيدة الطيبة قالت:

– ما تعتذريش يا بنتي، أنتِ بتتكلمي صح، سامح من حقه يتجوز واحدة تاخد بالها منه، وترعى ابنه، وأنا عمري ما هزعل، ولا هقف في طريقه، وبعدين سامح مثال للزوج الطيب الكريم، عمره ما زعل بنتي، ولا قالها حاجة ضايقتها، ده كان حتى بيساعدها في عمايل الأكل، وشغل البيت لما يكون إجازة في البيت، عمره ما قالها حاجة ضايقتها، ولا عمرها اشتكت منه، عارفة؟ دول كانوا مجانين، مقضينها سفر وفسح، كل إجازة له ياخدها ويسافروا لأي بلد.

وأخرجت من درج الكومود صورًا لسامح ولبنى تبض بالحياة والمرح والحب، فسرحت «راوية» وتخيلت نفسها مكان لبنى التي تركت هذه الحياة التي تمثل حلمًا من أحلام «راوية» ورحلت، كيف تسمح للموت أن يخطفها من حياة كتلك الحياة؟ وكيف يترك الموت تعساء كراوية ويختطف السعداء كلبنى والدة زياد وزوجة سامح؟

وأكملت الحاجة ليلى كلامها وكأنها تؤجج حطب التمني في قلب المسكينة وقالت:

– كان بيفسحها وبيدلعها، ورغم إن عمرها قصير لكنها عاشت معاه اللي ستات كتير لا عاشته ولا هتعيشه مع أزواجها في سنين طويلة.

فردت «راوية» بحسرة:

– معاكي حق، العمر مش بالأيام والسنين.

فضحكت الحاجة ليلى وقالت وهي تربت على كتفها:

- علشان كده سامح ده ابني، وأنا نفسي أطمن عليه مع بنت الحلال اللي تستاهله، وعمري ما هزعل لو اتجوز، ما تلوميش نفسك يا بنتي على كلمة حق قولتيها، هقوم أعملك شاي معايا.

ومضت الحاجة ليلى للمطبخ، وتركت «راوية» مع صور سامح ولبنى، فتفحصتهم «راوية» من جديد، وهي تتأمل ضحكتهم، ودون تفسير واضح مدت «راوية» يدها وخبأت صورة أعجبتها للزوجين السعيدين في طيات ملابسها، وعادت بها لبيتها، ووضعتها أمامها، ووضعت يديها على خديها سارحة في سيناريو الصورة، وفي حوارها الذي يقوله عينا بطليها سامح ولبنى.

وشيئًا فشيئًا تعلقت «راوية» بالحاجة ليلى، حتى أنها رأت فيها مثالًا للأم التي أحبت أن تكون أمها، فهي امرأة بشوشة، متفهمة، محبة للدنيا، رغم حرمانها من ابنتها، غير أنها تسمعها، وتعطيها المساحة لتقول رأيها، وتعترض وترفض وتعبر عما تريد أن تقوله دون لوم أو إساءة، وقد كانت «راوية» تكره اللوم، وتتعود على الإساءة، وكانت والدتها امرأة صارمة، جاءت الدنيا فقط لتلومها وتسيء إليها، وتتهمها بكل ما ليس فيها، ثم تموت وتدعها لأحزانها وحدها.

ويوم وآخر وتوقفت «راوية» عن توزيع خيالها على شقق ونوافذ الجيران، وبقي خيالها معلقًا بنافذة وحيدة، وبشقة واحدة فقط هي شقة الدور الثالث.

كانت تذهب للحاجة ليلى بعد انصراف أولادها لمدارسهم، وزوجها لعمله، وتعود بيتها قبل عودة أولادها من مدارسهم، عدا أيام الإجازات، فتبقى بجانب أولادها، وتقوم بواجبها نحو الكل بلا أي تقصير.

حتى جاء يوم تعب فيه زياد تعبًا شديدًا، وذهب به والده مسرعًا إلى الأطباء فجرًا، وعاد بشنطة مليئة بالدواء، وكان يومًا من أيام الإجازة التي لا تذهب «راوية» فيها للحاجة ليلى، فاتصلت الحاجة ليلى براوية لتسألها عن نوع الأكل الذي تقدمه للصغير، وتخبرها بمرضه، فحزنت «راوية» حزنًا شديدًا، وطلبت من زوجها أن تذهب لتطل على الصغير؛ لأنها قد تعرفت بجدته، وتريد أن تساعدها في تمريض الصغير، فنظر لها نظرة غاضبة قوية، ودفعها في كتفها بقوة، ونهرها زوجها علاء على طلبها المفاجئ غير المعتاد، هذا وقال لها:

- وأنا مالي بالحاجة زفت، وحفيدها هباب، أنتِ دورك في البيت تراعيني أنا وعيالك وبس، هو أنتِ هتشتغلي ممرضة على آخر الزمن.

فترددت «راوية» وقالت:

- نص ساعة وهرجع على طول.

فصاح فيها غاضبًا:

- ولا نص ولا ربع، لما أنزل الشغل ابقي غوري في ستين داهية تاخدك وتاخدها، إنما طول ما أنا في البيت تفضلي جنبي وتحت رجلي تشوفي طلباتي،

وروحي دلوقتي اعمليلي شاي، واعملي لنا حبة بسكوت ولا شوية قرص نفطر بيهم، ولا نحبس بيهم جنب الشاي.

ومضت «راوية» من أمامه غاضبة، وصنعت له ما يريد وهي تنتفض قلقًا على الصغير، وقضت الليل ساهرة تطل من وراء النوافذ لتتبين الأمر، وتسترق السمع، فتسمع بكاءه الذي يمزق قلبها، وما أن طلع الصبح وبعث الحياة في الدنيا من جديد حتى طارت «راوية» على الحاجة ليلى التي كانت منهكة القوى تمامًا بسبب سهرها بجانب الصغير، وأبوه أيضًا ذهب لعمله وهو لم ينم ولو لساعة واحدة، فأخذته «رواية» منها وقالت لها:

– ادخلي نامي شوية يا ماما ليلى وأنا هاخده في حضني وهبقى أحاول أخليه ينام، ما تقلقيش.

فمضت الحاجة ليلى لحجرتها وتركت زياد لراوية التي احتضنته بحنان وحب صادق، وهنهنته وربتت على ظهره بحنان، وغنت له حتى نام، فأخذته لفراشه على أطراف أصابعها، ونامت بجواره لتتأكد من نعاسه، وظلت تحملق فيه وتتأمله حتى غلبها النوم هي الأخرى ولم تدرِ بنفسها، وغابت في غياهب جب النوم.

وأقبل سامح عائدًا من عمله مبكرًا؛ للاطمئنان على صحة ابنه، ونيل قسط من النوم، وفتح باب البيت فوجد هدوءًا في البيت بشره بالخير، فتسحب على أطراف أصابعه ودخل لغرفة ابنه النائم؛ ليكشف الغطاء عن جبينه ويقبله، فلمست أنفاسه الدافئة وجنتي «راوية» التي كان يظنها جدته، ففتحت عينيها التي تلاقت بنظرات

عيني سامح، فتسمر كلٌّ منهما مكانه، واعتذر سامح لرواية، وارتبكت «راوية» وذهبت مسرعة إلى بيتها، لا تدري ماذا حل بها، فقد كانت مشاعر «راوية» مشاعر بكر عذراء رغم أعوام زواجها الاثني عشر، ورغم إنجابها لهيثم ومنى ولديها، ونور عينيها، ورغم زوج لا يكف عن مباشرتها بطريقته الآمرة الناهية الأنانية.

عادت «راوية» تنتفض وقد سرى في جسدها تيار خدر لا تعرف له سببًا، شعور مغمور بالسعادة والألم، والخوف وتأنيب الضمير، ووضعت «راوية» يدها على وجنتيها الملتهبتين بأنفاس سامح، ومضت للنافذة تطل منها، فوجدت سامح في شرفة حجرته يطل من نافذته عليها، ويبتسم لها، فلم تدرِ بنفسها إلا وهي تغلق النافذة في وجهه وتنتفض.

ودخلت مطبخها لتجهز طعام أولادها، وعاد الصغار من مدرستهم بصخبهم وصياحهم، وهي لا تسمع ولا ترى ولا تشعر إلا بتوهج وجنتيها، وبريق لامع في عينيها، وشيئًا آخر يسري في أوصالها لا تعرف له وصفًا أو سببًا، ولم تدرِ إلا وابنتها تناديها على آثار دخان يتصاعد من آنية الطعام إثر احتراق اللحم الذي كانت تجهزه غداء لأولادها.

وانتبهت لنفسها ولحق صغارها عليها، وصنعت لهم نوعًا آخر من الطعام وهي ما زالت سارحة شاردة تحاول أن تسيطر على نفسها، وعلى مشاعرها، ولا تستطيع أن تفسر كيف لأنفاس سامح التي لامست وجنتيها لربع ثانية من الوقت تفعل بها

كل هذا، وكيف لم تستطع اثنا عشر عامًا قضتها تقاسم فيها علاء زوجها وسادة واحدة، وغطاء واحدًا ولم تشعر به كرجل أبدًا؟

واستغفرت ربها، وأقبلت تصلي وتصلي وتصلي طالبة الرحمة والعفو من خالقها على شعور ليس لها حيلة فيه، حتى عاد علاء زوجها مزمجرًا كعادته، طالبًا للطعام، فأحضرته له وأطعمته، وجهزت له باراشوته البفتة، وهي تتطلع في وجهه ساهمة سارحة في ملكوت غير الملكوت، فصاح فيها علاء:

– مالك يا ولية؟ هتصوريني ولا إيه؟ مالك بتبحلقي في خلقتي كده ليه؟

ثم ذهب خياله للمسار الغلط، ودعاها لتتبعه إلى غرفتهما، فيتحفها برؤيته بطاقمه البفتة، وفي تلك الليلة حاولت «راوية» جاهدة أن تشعر به، أو تشعر بأي شيء بلا جدوى، حتى أعتقها ونام معتقدًا بأنه قام بواجبه نحوها، وتخيل نفسه وقتها قيصرًا رومانيًّا، عائدًا لروما مظفرًا بالنصر بعد أن سيطر على تمرد، وكبح جماح جيوش الأرض كلها، وأخضعها لسلطته.

ونام وظلت «راوية» ساهرة، وقامت واختلست النظر من خلف نافذتها، فلمحت سامح يدخن سيجارة في شرفة غرفة نومه، وظنت «راوية» أنه لم يكن يراها رغم أنه كان يسلط عينيه على بلكونتها، وأنها وحدها هي التي تراه بوضوح، وتعتريها فرحة غريبة كلما رفع عينيه نحو شباكها.

وطلع الصبح على يوم مكرر آخر من أيامها المكررة الرتيبة المملة، فقامت رواية وأنجزت أشياءها، وذهبت للحاجة ليلى لتطمئن على زياد، وما أن دقت الباب حتى فتح لها سامح بنفسه، بشحمه ولحمه، وابتسامته ونظرة عينيه، فارتبكت «راوية» ودخلت تنادي الحاجة ليلى، فأغلق سامح الباب واتجه نحوها، وقال لها:

- ماما ليلى مش هنا، أخدت زياد وسافرت، وهتيجي بكرة، عندها واجب في القاهرة لازم تعمله النهارده.

فتسمرت «راوية» في مكانها من المفاجأة، ثم اتجهت نحو الباب معتذرة، مغادرة، فجذبها سامح من يدها وقال:

- من فضلك اديني الفرصة أعتذر لك وأشكرك و..

فجذبت يدها من بين يديه مرتبكة مبعثرة وقالت:

- من فضلك يا أستاذ سامح، لو سمحت ما يصحش كده.

- أنا آسف، أنا ما أقصدش أبدًا، الموضوع وما فيه إني خايف تكوني أخدتي عني فكرة وحشة، وعاوز بس أوضحلك الأمور.

- الأمور واضحة، وبعدين يعني فكرة وحشة ولا حلوة، هو احنا أصحاب علشان توضحلي وأوضحلك؟ الموضوع خلص خلاص، واحنا مفيش بنا حاجة أصلًا تستدعي الكلام ده.

فتجرأ سامح وقال:

– لأ في بيننا، وأنا حاسس بيكي وأنتِ حاسة بيا، وأنا طول الليل سهران بفكر فيكي، وأنتِ كمان، أنا كنت شايفك من ورا الشباك سهرانة وبتفكري فيا، احنا بيننا انجذاب سحري ملناش حيلة فيه، ومش قادرين نقاومه يا «راوية»، اسمك «راوية» وأنتِ فعلًا «راوية»، عنيكي كتاب مفتوح للي يقدر يقرا، ورواية للي نفسه يعيش وأنا قريتك يا «راوية».

وسقطت «راوية» على أقرب كرسي، وانهارت من شدة البكاء، فلم تكن تعرف أن أحدًا في هذا الكون يكترث لحالها، أو يهمه أمرها، أو أن أحدًا يشعر بها، أو يفهم شعورها، ووضعت يديها على عينيها وأخذت تتحدث من خلف يديها ودموعها المتساقطة كشلالات نياجرا:

– أنا زوجة وأم، والكلام ده ميصحش تقوله، ولا يصح إني أسمعه يا سامح.

فركع على ركبتيه أمام كرسيها الجالسة عليه، وأمسك يديها، وأزالهما من على وجهها، وقال:

– قدامك فرصة للحب والفرح، وأنا فرصتك يا راوية.

واستجمعت رواية شجاعتها التي خانتها، وعقلها الذي أخمدته مشاعرها، ودفعته بقوة أسقطته على ظهره، وذهبت مسرعة تتحصن في بيتها، وتنتفض وتستغفر، وتصلي لله أن يبعد عنها الشيطان الذي سكن أمامها، واحتل حياتها الفارغة المكررة، الموزعة على شرفات الجيران، وحقدت «راوية» على زوجها،

واشتعل قلبها كرهًا له، ولكن ليس له وحده، كرهت أباها وإخوتها، وأهل الكرة الأرضية كلها ما عدا ابنيها، كانا كشعلة نور في آخر طرقات الظلام الذي تعيش فيها، فمسحت دموعها، وقامت لتصلي وتحضر لهما طعامهما، فدق جرس التليفون، ورفعت السماعة بعد أن ضبطت نبرة صوتها فوجدته هو، سامح على الخط الآخر، ولم يقل لها كلامًا كثيرًا، وإنما تنهد وقال لها كلمة واحدة، قال لها:

- أحبك.

وكانت الكلمة الوحيدة، كالضربة القاضية التي قضت عليها تمامًا، وأسقطت مقاومتها أرضًا بلمس أكتاف الحنين للحب والحياة، فلم تستطع إغلاق الخط، ولم تستطع كذلك الرد، فأكمل كلامه بنفس طريقته وقال:

- أحتاجك وتحتاجيني، يبقى ليه الكبر والتعنت؟ وليه نعذب نفسنا يا راوية؟

- أنت عاوز مني إيه بالظبط؟

- عاوزك أنتِ يا راوية.

فأسقطت السماعة، وأغلقت الخط في وجهه، واستمدت قوتها من جديد بوصول أولادها للبيت، فتشاغلت بهم وبطلباتهم، وتعلمت أن تغلق كل النوافذ حتى تحمي نفسها من التطلع إلى الشقة التي في الدور الثالث.

وفي اليوم التالي قررت أيضًا ألا تفتح النوافذ، وخرجت بعد خروج أولادها وزوجها تطوف الأسواق، وانتقت أصعب أنواع الطعام، وعادت لتعده حتى

يستغرق كل وقتها، فلا تفكر في التطلع للنوافذ، ورفعت سماعة الهاتف حتى لا يستطيع سامح الوصول إليها، فقد كانت في معركة كبرى تقاوم فيها نفسها قبل أي شيء، وعاد زوجها قبل موعده بساعات، وانفجر فيها معاتبًا وقال:

- ممكن أعرف رافعة سماعة التليفون ليه؟ ده اسمه إهمال، ساعتين بحاول أكلمك والتليفون مشغول؟ ووضع السماعة بعصبية.

- أصلي كنت بعمل لكم الأكل والأصناف كتير زي ما أنت شايف، فما خدتش بالي إن السماعة مرفوعة.

- ومين قالك تعملي أصناف كتير؟ وبعدين إيه اللي رفع السماعة كده؟

- أكيد وأنا بنضفها رفعتها ونسيت أرجعها مكانها، معلش.

فرد بعصبية:

- تعرفي ده اسمه إيه؟ ده اسمه التصرف بغباء.

فأطالت النظر له، وهو يحاضرها ويصيح فيها، وقالت له:

- معاك حق، اللي أنا بعمله ده اسمه فعلًا غباء.

فمضى أمامها وقال:

- اعملي حسابك، خلاص كلها شهر ولا اتنين بالكتير وهننقل في الشقة الجديدة، أنا خلاص اتفقت عليها، ومضيت العقد كمان.

فصرخت فيه لأول مرة في حياتها بهستيريا:

– مش هتنقل من هنا، ومش هروح في أي حتة تانية، وبطل تعاملني على إني شنطة في إيدك، أنا بني آدمة وليا رأي وشعور وإحساس ولازم تفهم ده.

فتطلع فيها بنظرته القاسية الجامدة وقال:

– طب يا بني آدمة يا اللي عندك شعور، وعندك رأي كمان، أحب آخد رأيك ما بين إنك تهدي وتسمعي الكلام وتيجي معايا البيت الجديد أنا وولادك، وما بين إنك ترفضي، وساعتها هتبقي ما تلزمينيش، وهجيب اللي أحسن وأجمل منك مليون مرة، عروسة جديدة في البيت الجديد.

فردت بعصبية:

– أحسن، أنا خلاص مش قادرة أعيش معاك بالطريقة وبالأسلوب ده، سيبني أنا وولادي نعيش هنا، وروح أنت والعروسة الجديدة اللي أحسن مني مليون مرة، عيشوا واتهنوا في بيتك الجديد.

فنظر لها من طرف عينيه وقال:

– غريبة، ده أنتِ مستبيعة قوي، مكنتش أعرف إنك كده، عمومًا علشان تبقي عارفة، ولادي مش هيفارقوني، غوري أنتِ في ستين داهية، لكن الولاد هيفضلوا معايا، وهوديهم البلد عند أمي تربيهم، ومش هتشوفيهم تاني، علشان تعرفي تستبيعي يا ست «راوية» يا اللي عندك رأي وشعور.

وتركها ومضى لغرفته، وحمل حقيبة بها ملابسه وبراشوتاته وعاد، وقال لها:

- أنا مسافر يومين مأمورية شغل مستعجلة، وهسيبك تفكري وتهدي شوية علشان تعرفي تختاري ما بين بيتك الجديد وجوزك وولادك وما بين إنك ترجعي لأهلك لوحدك، وتنسي إن ليكي ولاد خالص، أصل أنت ملكيش في الطيب نصيب.

ودخل للمطبخ بهدوء بعد أن سقطت أمامه منهارة، وجلب بعض الأطعمة التي نضجت، والتي كانت تتشاغل بها عن أحزانها معه وأخذ يتناول طعامه كأن شيئًا لم يكن، وفتح التلاجة وشرب، وقشر إصبعًا من موز وأكله دفعة واحدة، وتجشأ وحمل حقيبته ومضى دون أن يلتفت لها، وهي هامدة صامتة سارحة في ملكوت ما بعد الموت التي تحيا فيه.

ومع صوت غلق علاء للباب، وفي نفس اللحظة طلبها سامح على التليفون، واستيقظ أولادها على صوت غلق الباب بقوة بعد خروج علاء، وصوت التليفون، وأسرعوا إليها، وارتموا في أحضانها، فتمزعت «راوية» ما بين باب الرحمة الذي أغلقه علاء في وجهها لتوه، وبين رنين الحب الذي يأتيها عبر أثير صوت سامح مع رنين التليفون، وبين أحضان ولديها، وقرة عينها، وإكسير الحياة التي يجعلها تصبر وتحتمل، فأخذت ولديها في أحضانها وبكت، والتليفون لا يكف عن الرنين، وكأنه الخلفية الموسيقية لهذا المشهد المأسوي، وظل سامح يعيد المحاولة غير يائس، فقامت «راوية» وأمرت أولادها بارتداء ملابسهم، وأخذتهم في نزهة طويلة، اشترت لهم

فيها الحلوى، وطافت بهم ومعهم مدينة الملاهي، وركبت معهم معظم الألعاب، واستمتعت بصوت ضحكاتهم المجلجلة، وأحضانهم الدافئة أثناء خوفهم من بعض الألعاب، وعادت بهم في آخر الليل وهم سعداء يرقصون حولها، ويغنون، وجهزت لهم عشاءهم وأدخلتهم غرفتهم وقبلتهم ليناموا. وبدت «راوية» وكأنها تكفر عن خطأ جسيم ارتكبته في حقهم حين راودتها نفسها ولو للحظات قليلة أن تقبل عرض زوجها السخي جدًّا بأن تحظى بحريتها في ممارسة حياتها بالطريقة التي تتمناها.

ومن جديد رن جرس التليفون، ففزعت «راوية»، وخافت أن ترد عليه، خافت من ضعفها، وقلة حيلتها، خافت من خوفها، ولكنها اضطرت آخر الأمر أن تجيب كي لا توقظ ولديها بعد أن ناما، وكان الطالب على الخط الآخر سامح، ولم يعطها الفرصة لغلق الخط، وبدأ أول كلامه لها بإعلان حبه، وقال بحزم وقوة:

- بحبك يا رواية، أرجوكِ ما تقفليش الخط، واسمعيني للآخر، لو سمحتِ أنا رجل ناضج مش شاب مراهق، وأنا فعلًا بحبك من ساعة ما وقعت عيني عليكي، شئ اكبر منى بيشدني ليكي، ومش قادر أقاومه، أنا حاسس انى مسئول عنك عن سعادتك ان دروى هو انى ارجع لك ابتسامتك الغايبة حاسس إنك حاجة بتاعتي أنا، وملكي أنا بس مش ملك لحد غيرى .

فأجابت «راوية» بعصبية:

- أنا ملك نفسي، وملك ولادي، أنا مش بتاعة حد، ارحموني بقى وسيبوني في حالي.

وأكملت وكأنها تذكرت شيئًا، فقالت:

- طب ما أنت كنت بتحب لبنى مراتك، وتلاقيك كنت بتقولها كده باردو، ودلوقتي نسيتها، وبتحب غيرها، وبكرة تحب غيرها وغيري، أنتم كلكم كده مخلوقات أنانية، مبتعرفوش تحبوا أصلًا.

- أيوة أنا كنت بحب مراتي، وعمري ما هنساها، بس أنا من حقي إني أعيش، وأحب تاني زي ما أنت من حقك تحبي وتعيشي .

- أنا عايشة ومبسوطة، ومن فضلك سيبني في حالي لو سمحت.

فاجأها سامح بآخر سهم في جراب حربه الشرسة ؛ لاخضاع القلعة الحصينة وقال:

- أنتِ ست ميتة، واقفة بتتفرجي على الحياة من ورا الشبابيك، أنا متابعك وشايفك، وعايش معاكي وحاسس بيكي، أنتِ واقفة على شط الحياة تتابعي الناس اللي عايشة حواليكي وأنتِ ميتة، اطلبي الطلاق يا راوية، حقك تنهي تعاستك بإيدك، وتنزلي بحر الحياة وتحبي وتتحبي.

فلم تجيب «راوية»، وصمتت تمامًا، فقد ألجمتها كلماته بلجام من نار، وتأكدت من كلامه أنه يفكر فيها، ويتابعها، وليس مجرد شخص يستغل ضعفها، ويراودها عن نفسها، وأغلقت الخط، وذهبت إلى غرفتها، وقضت الليل جالسة في الظلام تعيد عرض شريط حياتها كله.

وطلع الصبح وهي لم تذق النوم ولو لساعة، وأيقظت أولادها ليذهبوا لمدرستهم وتبقى وحيدة تدور في غرف بيتها لا تعرف ماذا تفعل، وماذا تريد، ونظرت للتليفون، وانتظرت أن يرن رناته التي تخافها، لكنه بقي صامتًا هامدًا كقلبها الضعيف الذي أنهكته حرب طويلة من التمني، والتطلع لأبسط حقوقه في الحب والحياة، واطل الليل عليها وهي على حالها منتظرة رنات التليفون، ولكنه أيضًا لم يرن، وطلع الصبح لليوم التالي، وهي تنظر للتليفون، وتنتظر رنة الحياة، ولكنها لم تدب فيه، وبقي صامتًا، صامدًا، هامدًا، لا يرن كما لو كان يعاندها كباقي أحداث حياتها، فلم تدرِ بنفسها إلا وهي ترتدي ثيابها وتغادر بيتها، وتصعد للشقة التي في الدور الثالث، وتدق عليها بقوة وبعنف، وكأنها تضرب أقدارها، وكأنها تقتص في باب الشقة لكل ما حدث لها، ففتح لها سامح الباب، فارتمت في حضنه تبكي وتبكي وتقول:

- أنا إنسانة محترمة، أنا عمري ما كنت خاينة يا سامح، أنا عمري ما كنت خاينة، صدقني.

فضمها لصدره بقوة فنامت في صدره، وأعادت كلامها:

- أنا مش خاينة يا سامح، أنا مش خاينة، وأخذت تبكي وتبكي، فتركها سامح حتى هدأت تمامًا.

ثم أجلسها، وقدم لها كوبًا من العصير، تناولته بيدها المرتعشة، وشربت وهي ترتعش وتنتفض بجنون من انفعالها وبكائها، وكررت كلمتها للمرة العاشرة بعد المائة وقالت:

- أنا مش خاينة يا سامح.

فجلس أمامها سامح، وفاجأها برده الغريب عليها، وكأنه كومة من القش على ظهر بعير بائس، قصمت الحياة ظهره قبل أن يرفعه، ويتطلع نحو الشمس، باحثًا عن مكان يؤويه، وقال:

- لحد إمتى يا «راوية»؟ لحد إمتى تفضلي مش خاينة؟

فرفعت بصرها نحوه تستفهم عن معنى سؤاله.. فأكمل:

- أنا عارف إنك مش خاينة، بس هي كل ست خاينة في الدنيا اتولدت خاينة علشان تفضلي ست مش خاينة؟ يبقى لازم تطلبي الطلاق ونتجوز.

فردت بعصبية:

- لو مكنتش ظهرت في حياتي كان زماني عايشة وراضية ؛ ظهورك لخبط حياتي .

- أي حياة؟! حياة الموت اللي أنت عايشاها في بيتك؟ ولا حياة الفضول اللي اخترعتيها لنفسك في بيوت جيرانك؟ فوقي بقى والحقي أجمل سنين عمرك قبل ما تضيع منك، وأنتِ بتتفرجي على حياة الناس حواليكي ومش عايشة حياتك، أنا لما لبنى ماتت كنت هتجنن، ولقيت نفسي بعمل زيك كده، وبتفرج على حياة الناس من

ورا شبابيكهم، وبعيش فيها معاهم، وبعدين بقيت أجيب قصص وروايات وأعيش حياة أبطالها لحد لما شوفتك، ولاحظت إنك بتعملي زيي، وبتتابعي حياة الناس من ورا شبابيكهم، وحسيت بيكي، وحسيت إني مسئول عنك، مسئول إني أرجعلك حياتك، وأنا بدور على حياتي، احنا اتخلقنا لبعض يا «راوية».

– وولادي يا سامح؟ أنا ما أقدرش أعيش من غير ولادي، وعلاء بيهددني إنه هياخدهم من لو سبته، وهيوديهم لمامته، وممكن ما أشوفهمش تاني.

– مستحيل ده يحصل، عمر الأب مهما كان جبروته ما يحرم أم من أولادها، وأنا أوعدك إني أقف جنبك وأساعدك، بس أنتِ بردو لازم تساعدي نفسك، تمسكك بحياة أنتِ كارهاها علشان ولادك، مش في صالح ولادك، ممكن تتعسي نفسك وتتعسيهم معاكي، لما يتربوا في بيت كله كره ومشاكل ممكن ما تقدريش تكملي في صورة الزوجة اللي مش خاينة، وتوصميهم بعار يفضل معاهم طول حياتهم، وهو ربنا لما خلقنا وشرع الطلاق بين الزوجين اشترط إن ما يكونش عندهم أطفال علشان يطلقوا؟ ربنا لأنه عادل ادالنا حرية إننا نكمل حياتنا بالطريقة اللي تناسبنا من غير ما نعصاه، ولا نغضبه، فكري في كلامي، وهتلاقي إني عندي حق، وأنا مستني منك رد، خدي الوقت اللي أنت عاوزاه في التفكير، وأوعدك إني مش هأثر عليكي، ولا هحاول أتصل بيكي، بس اوعديني يا راوية أنتِ كمان إنك تفكري، وأيًّا كان قرارك أنا هوافق عليه، وهحترمه.

وعادت «راوية» لبيتها وكأنها أزاحت جبلًا من الحديد عن صدرها، واتفقت بينها وبين نفسها أن تفكر في الأمر، وما أن خطت خطوات نحو مطبخها لتعد الطعام لأولادها حتى رن التليفون، فاتجهت نحو تليفونها وهي تضحك وتقول لنفسها بدلال لم تعهده في نفسها، كما لو كانت تفض غلاف أنوثة فابريكا ما زال بتكت صنع الخالق لم يسبق لها استعماله من قبل:

- أوام يا سامح رجعت في كلامك واتصلت بيا؟ ما قدرتش تصبر وتنفذ كلامك؟

وانفرجت أسارير وجهها، وعلت الابتسامة العريضة شفتيها، وقالت بنعومة وصوت راقص من الفرحة وهي تضبط خصلة طائرة من شعرها على جبينها العاجي المتأجج بالحمرة.

- ألووووو..

ولكن سرعان ما زبلت ابتسامتها، ودقت صدرها بقوة وهي تصرخ:

- يا لهوي، استر يا رب، أنا جاية حالًا، الستر من عندك يا رب.

ورمت السماعة، وطافت الشقة تبحث عن ثيابها وهي متوترة مستغفرة، تدعو الله أن يسترها بستره، فقد كان المتكلم طوارئ مستشفى أبلغوها أن زوجها عندهم في حالة خطيرة، وقد تعرض لحادث كبير وهو عائد من سفره على الطريق.

وسجدت «راوية» لله تستغفره وتدعوه وترجوه بأن ينجي علاء، وأن يطيل في عمره من أجل أولاده، وطارت «راوية» على مكان المستشفى ترتعش خوفًا على زوجها وأبِ ابنيها، ولم تكن حالته مطمئنة، فقد كان الشاش يعلو وجهه، ويلتف نحو خصره ليهبط مع منحنيات جسده حتى يكتف قدميه، وتقدمت منه «راوية» وهو غائب عن الوعي تمامًا، وأخذت تبكي وتناديه ليفتح عينه وهو لا يسمعها، ولا يشعر بها، ولا بالدنيا من حوله، وبقيت طوال الليل تدعو له وتستغفر لذنبها ولفعلها، وجاءت أمه من البلد لتقاسمها القلق واللوعة التي تعتصر قلبها، وكيانها كله، ثم أمرهم الدكتور بالانصراف، فطلبت من والدته أن تبقى بجوار الصغيرين وهي ستقضي الليل معه حتى تطمئن عليه، وعادت أمه لترعى الصغار، وبقيت «راوية» بجانب علاء لا تحول عينيها من عليه تطمئن على أنفاسه، وتبكي على صدره وتقرأ القرآن تقربًا إلى الله ليزيح عنه، ويعيده لأولاده، ورغم خوفها وقلقها وجنونها، لكنها لم تقل في أي دعوة من دعواتها وهي تحدث الله عنه أن يشفيه لها، لم تطلب من الله في دعواتها الكثيرة الكسيرة رغم رعبها عليه وصدقها في خوفها من فقده أن يعيده الله إليها، كانت دائمًا تطلب من الله أن يعيده لأولاده، وكأن كل ما يربطها به وكل ما يربطه بالحياة أولاده فقط.

ومضى الليل ثقيلًا طويلًا، وطلع الصبح على عيون «راوية» التي لم تغمض، وعلاء على نفس حالته، ولا جديد يقوله الأطباء عنه، ومر يوم وآخر وراوية بجانبه

لا تتركه، ولا تفكر أن تتركه، وتدعو نفس دعوتها الصادقة له بأن يعيده الله سالمًا، معافى لأولاده، لأولاده فقط.

وغفلت عيونها رغمًا عنها، فصحت على صوته يناديها، فلم تتمالك نفسها من الفرحة، وأسرعت إليه، ففتح عينيه، ونظر لها بامتنان وابتسم، وحاول أن يتكلم، فلم تساعده الحروف، أما هي فأسرعت إليه وهي تبكي، وتحمد الله على سلامته، وتدعو له، وتربت على صدره حتى غاب عن الوعي من جديد، وجاءها الأطباء وطمأنوها أن حالته استقرت، وأنه يستجيب للعلاج، وأن الكسور مسألة وقت وسيعود سالمًا معافى بإذن الله، وطلبت أمه منها أن تعود لبيتها؛ لتأخذ حمامًا دافئًا وتستريح ثم تعود له من جديد بعد أن تستريح قليلًا، على أن تبقى أمه بجانبه حتى تعود، فوافقت لأنها كانت منهكة من التعب، ولأنها اطمأنت على حالته من كلام الأطباء، وعادت «راوية»، وطول الطريق لا ترى غير علاء، وصورة علاء، ولا تنطق إلا دعاء له بالشفاء، والعودة لولديه سالمًا، وكان شيء ما داخلها يلجم لسانها فلا تكمل دعوتها بأن يعود لها هي أيضًا، شيء يتمنى له أن يعود للحياة سالمًا معافى لبيته وأولاده، وشيء آخر فيها لا يريده لها، ولا يريدها أن تكمل معه، وعادت لبيتها متلهفة على أولادها، ودخلت بيتها واحتضنتهم بعينيها وقلبها، فوجدت بيتها نظيفًا منظمًا هادئًا، ووجدت أولادها مهندمين نظيفين، فاطمأنت لرعاية جدتهم لهم، وأخذت حمامها الدافئ ودخلت حجرتها لتأخذ قسطًا من الراحة، وأول ما فعلته

حين اختلت بنفسها في حجرتها أن أغلقت شبابيك الجحيم؛ لتحجب عنها التطلع نحو شقة الدور الثالث.

وجلست «راوية» على فراشها، واستجمعت شريط حياتها، وحدثها شيطان لعين حديثًا ظلت تهز رأسها لتسقط بذوره من فكرها، حتى لا ينبت أشجارًا في جنة وهم تحيا فيها، ولو في الخيال، وقال لها شيطانها:

- وما المانع بعد أن تطمئن على صحة علاء أن تطمئن هي الأخرى على نفسها في حياة توفر لها الحب الذي حرمت منه، والاهتمام الذي منعت منه في دنياها.

فهزت رأسها لتسقط الفكر اللعين الذي ينهش رأسها، فلا حياة لها بعيدًا عن ولديها، ولكنه عاد ووسوس لها:

- وما المانع لو استطاعت رؤيتهما والاطمئنان عليهما مع جدة ترعاهما وتحافظ عليهما، خاصة أن الأولاد الذين يضحي آباؤهم وأمهاتم في سبيل سعادتهم حين يكبرون ينشغلون بحياتهم، ويعيشون في عالمهم بعيدًا، ويتركون آباءهم وأمهاتهم ليكملوا وحدهم طريق تعاستهم، وما المانع أن تحب وتعيش؟

وغلب «راوية» نوم التعب، فسقطت مغشيًّا عليها، ونامت وحلمت بنفسها مع سامح في كل أوضاع الصور المجنونة التي تبض صخبًا وحبًّا وحياة، تلك التي رأتها في بيته مع زوجته المتوفاة، والتي أطلعتها عليها الحاجة ليلى، كانت تضحك بجنون، وكان سامح في الحلم أوسم وأرق مما هو في الحقيقة، وكانت سعادتها لا توصف

حتى أنها كانت مبتسمة أثناء نومها، إلى أن صحت على صياح ابنيها وشجارهما معًا، فتقلبت في فراشها، ووضعت الوسادة على رأسها حتى لا تستيقظ من حلمها الجميل، ولكن شجارهما علا صوته أكثر وأكثر، فلم تستطع أن تكمل نومها، وقامت غاضبة، وما أن فتحت باب حجرتها حتى رأت ابنها هيثم يصفع أخته على وجهها، ويأمرها أن تسمع لكلامه؛ لأنه أخوها الذكر وهي الأنثى التي لا تناقش، وإنما تطيع أو تصفع على وجهها إن عصت كلام الذكور من أهلها، فانزعجت «راوية»، وقامت تجري نحوه كالمجنونة، وقالت بعصبية وهستيرية وهى تهزه بعنف وغضب وقوه بعد ان تبدل صوتها وتغيرت ملامح الام الطيبة الحنونه وهى تنظر لولدها:

- أنت مين قالك الكلام ده يا زفت أنت؟ وازاي تعمل كده في أختك؟

فخاطبها بثقة وغطرسة ذكورية كاذبة:

- تيتا قالتلي كده.

فاحتضنت ابنتها بحنان وقالت:

- ستك كلامها غلط، واوعى تمد إيدك على أختك مرة تانية، أنت فاهم؟ أنا ما علمتكش كده، ولازم تسمع كلامي أنا.

فبكت ابنتها حنان وهي تقول:

– طول الوقت تيتا تقول لهيثم كده، أنت الراجل، وأنت الكبير، وهي بنت، ولازم تتعود تسمع كلامك، هيثم كان متغير خالص يا ماما وعاجبه الكلام.

– وليه ما قولتليش يا حنان؟ كنت ضربتهولك وعرفته ازاي يعامل أخته؟

– علشان أنتِ ما كنتيش معانا، وكنت خايفة ما ترجعيش.

وانهارت ابنتها في البكاء، فضمتها «راوية» وقالت لها وهى فى واقع الامر تحدث نفسها أيضًا:

– أنا هنا جنبك يا حبيبتي، وعمرى ما هسيبك، ولا هسيب حد يضايقك ويقلل منك، حتى لو كان أخوكي أو جدتك.

وفاقت «راوية» من أحلامها تمامًا، واحتضنت ابنتها التي طرقت أسياخ الحديد الساخنة في قلب «راوية» وقالت:

– أنا فجأة لقيت نفسي لوحدي من غيرك ومن غير بابا، وبقيت أبص على كل شبابيك أصحابي اللي ساكنين حواليا ألاقيهم جنب أهاليهم بيتغدوا مع بعض، وبيضحكوا مع بعض، كنت أزعل وأتخيل نفسي مكانهم.

فهزتها «راوية» بعنف وهو تقول:

– أنتِ عندك حياة، وعندك ماما، وبابا جنبك ومعاكي وبيحبوكي، اوعي تبصي على شبابيك جيرانك، فاهمة؟ مالكيش دعوة بشبابيك الجيران، أنتِ سامعة؟ عيشي حياتك، وافتحي كتبك ولعبك، واوعي أشوفك واقفة في شباك أو في بالكونة تبصي

على حياة حد، لازم تعيشي حياتك أنتِ، ومن هنا ورايح الشبابيك دي هتفضل مقفولة، أنتم سامعين؟ هتفضل مقفولة، مفيش شبابيك هتتفتح بعد النهارده، مفيـــش شبابيك ...

وانهارت وسقطت «راوية» على ركبتيها، وبكت بكاء منعها من تكملة حروف كلامها، وبكت بهستيريا، واحتضنت ابنيها بحنان بعد أن أخذت قرارها، وفاقت من أوهامها، وتعلمت أن تغلق نوافذ وأبواب قلبها للريح ربما تستريح.

وعادت «راوية» لزوجها، ومعها ابناها بعد أن قررت وحزمت أمرها على أن حبها الأول والأخير والأهم هو ابناها، وأنها لن تسامح نفسها أبدًا إن تركت ابنتها قرة عينها تعاني ما عانته هي في بيتها حتى وصلت لبيت علاء، وألا تتركها للحياة من خلف النوافذ، وأن قدرها أن تكمل المعاناة صامتة صابرة ما دام التغيير سيصنع من منى ابنتها حبيبة قلبها «راوية» جديدة.

ودخلت «راوية» على زوجها، فابتسم وكأن رؤيتهم أعادت الصحة والحياة في أوصاله من جديد، واحتضن ابنيه وأخذ يطمئنهم على حالته وعلى عودته معهم قريبًا لبيتهم، وقضى وقتًا يملأ عينيه بصورتهما البريئة الجميلة، ويتطلع نحو «راوية» بنظرة جديدة غريبة، ثم نادى أمه، وأمرها أن تأخذ الأولاد وتعود للبيت؛ لتستريح، فقامت «راوية» وكأن عقربًا قد لغها، ومضت نحو ابنيها واحتضنتهما بقوة، وقالت وهي تخص هيثم ابنها بالحديث:

– هيثم حبيبي، زي ما اتفقنا مع بعض الصبح، طول ما بابا برة البيت أنت مكانه راجل البيت، يعني تراعي أختك وتحبها وتحميها وتحافظ عليها، ده معنى كلمة راجل البيت، الراجل يا حبيب قلبي مش بالزعيق والخناق والضرب، الراجل بالرعاية والعناية والقلب الكبير، سامعني يا حبيبي؟

فهز لها ابنها رأسه موافقًا على كلام أمه، فتدخلت جدتهم في الحوار وقالت:

– وفيها إيه يعني لما يضرب أخته لو غلطت؟ إيه التربية المايعة بتاعتكم دي؟ لازم تعودي ابنك يبقى حمش وخشن.

وحاولت «راوية» أن ترد على كلام حماتها، ولكن فاجأها رد علاء على أمه بنفسه حين قال:

– «راوية» معاها حق يا أمي..

فتطلعت «راوية» في وجه زوجها، لا تصدق مع تسمعه منه، فابتسم لها ونظر نحوها نفس النظرة الجديدة الغريبة، وانصرفت والدته بأولادهما، وبقيت «راوية» وحدها مع علاء، فطالبها علاء أن تقترب منه قدر المستطاع، فاقتربت، فمد يده بضعف وأمسك يدها، وطبع عليها قبلة الامتنان والحب لأول مرة في حياتهما وقال:

– سامحيني يا «راوية»، أنا قسيت عليكي كتير، وزعلتك كتير، وده ذنبك، ربنا انتقم لك مني.

– ما تقولش كده يا علاء، ربنا بيبتلي عباده علشان يرحمهم مش علشان ينتقم منهم.

– لا يا راوية، أنتِ استحملتيني كتير، وصبرتي عليا كتير، وأنا افتريت عليكي كتير، وظلمتك كتير، ويوم الحادثة وطول الطريق مش عارف ليه لقيتني عمال أفكر في الكلام اللي قولتهولك قبل ما أسافر إني هسيبك وهتجوز أحسن منك، ولقيتني بقول في نفسي، وهو أنا هلاقي مين في الدنيا أحسن منك؟ عمري ما هلاقي أحسن منك، لكن أنتِ لو سبتيني هتلاقي كتير أحسن مني، ورغم كده عمرك ما فكرتي إنك تسيبيني.

فارتبكت «راوية» وقالت:

– ملوش لزوم الكلام ده دلوقتي.

– لزومه إنك تعرفي إن العربية وهي بتتقلب بينا، وأنا شايف الموت بعيني كان نفسي أقول لعزرائيل يستنى شوية، يديني فرصة أطلب منك تسامحيني على كل اللي عملته فيكي يا حبيبتي.

فأبرقت عينا «راوية» من الذهول؛ لأنها أول مرة تسمع من علاء كلمة حبيبتي، وقد كانت كلماته بردًا وسلامًا نزلت على نيران صدرها المشتعلة، وأطفأتها تمامًا، أما علاء فقبل يديها بحنان وهو يطلب منها أن تعفو عنه وتسامحه، ورغم كل أربطة الجبس التي تحتضن جسد زوجها الواهن الضعيف إلا أنه بدا لها من كلماته معها

وكأنه مارد قوي يحملها على جناحيه لبلاد الأمان والحنان، بعيدًا عن الشجار والصخب، بعيدًا عن نوافذ الجيران، بعيدًا عن شقة الدور الثالث وخوفها على ابنيها، بعيدًا عن سامح نفسه، حتى أن قبلته الهزيلة التي طبعها على يديها وهو ينظر في عينيها وينادي بكلمة حبيبتي التي لم تسمعها منه من قبل كانت لها وقع تأثير ساحر عصف بكيانها، وجعلها تسرح في حقيقة مشاعر الإنسان المعقدة والمركبة؛ إذ كيف لقبلة واهية، وكلمة وحيدة مبتورة أن تشعرها بـأشياء فشلت اثنتا عشرة سنة معاشرة لهذا الرجل أن تشعرها بها.

ووجدت صورة سامح في خيالها تبتعد وتبتعد، وتأتي رياح طيبة عاتية خارجة من رنين صوت زوجها وهو يقول لها أحبك لتقضي على شبح صورة سامح وتقتلعها تمامًا، وتلقيها خارج أبواب وشبابيك عقلها.

أما علاء فأكمل كلامه معها وقال لها:

– ما دام عزرائيل طلع كريم معايا كده وسابني أعيش كمان كام يوم كمان أوعدك يا راوية إن لو ربنا طول في عمري وقمت من رقدتي دي لأعوضك عن كل اللي فات من عمرك معايا، وعمري ما هزعلك أبدًا تاني، وكمان علشان أثبتلك كلامي ده أنا هقطع عقد الشقة الجديدة، وهنفضل في شقتنا القديمة؛ لأني عارف إنك بتحبيها ومتمسكة بيها، وأكتر حاجة كانت هتضايقك في الشقة الجديدة إنها من غير بالكونات، وشبابيكها ما بتطلش على جيران خالص، وأنا عارف إنك بتحبى تبصي من ورا الشبابيك وتتفرجي على الجيران.

– لا يا علاء، أنا اللي بطلب منك إننا نتنقل وبسرعة للشقة الجديدة، أنا خلاص اقتنعت بكلامك، وحاسة إننا هنبدأ فيها حياة جديدة، وهتكون قدم السعد علينا يا حبيبي.

فنظر لها علاء بتعجب، وقال:

– الستات دول ما يتفهموش أبدًا، في إيه؟ كنتي رافضة الشقة الجديدة، وفي إيه دلوقتي شايفاها قدم السعد؟ أنا مش فاهم حاجة.

– مش مهم تفهم، المهم إنك بدأت تحس.

– يعني إيه بقى الكلام ده؟ مش فاهم.

فأجابته ضاحكة:

– يعني تخف وتقوم بألف سلامة علشان تعوضني، مش أنت قولتلي كده؟

– طبعًا يا راوية.

– لا، قول لي يا حبيبتي، علشان الكلمة دي بقالي سنين محرومة منها، وما صدقت سمعتها منك، ومش عاوزاك تبطل تقولهالي.

– حاضر يا حبيبتي، كل طلباتك مجابة يا حبيبتي، مبسوطة يا حبيبتي؟

فتجرأت «راوية» أكثر وأكثر وقالت:

– طب ولو في طلب صغير كده ممكن تعملهولي؟

فقال لها:

- طبعًا، أغيرلك عفش البيت، أنا عارف إنك بتحبي التغيير.

فقالت له:

- لا، أمانة عليك يا شيخ أول ما تقوم بالسلامة تغير «غياراتك البفتة» دي كمان، الدنيا بتتغير يا أخويا.

- وهو الموضوع مهم قوي عندك كده علشان تطلبيه مني وأنتِ شايفاني محبس ومكسح؟ وأنتِ بتفكري في البفتة واللي مش بفتة يا ولية؟

- أبدًا، أصلهم بيطلعوا عيني في الغسيل.

- تصدقي إن زمايلي الأندال اللي كنت ببات معاهم في مأمورية السفر المشئومة دي هاروني تريقة عليهم؟ وقالولي هى مراتك مستحملة منظرك ده ازاي كده؟ هو شكلهم وحش اوى كده يا راوية؟

فضحكت «راوية» وقالت:

- أوي أوي أوي يا عيون «راوية».

فضحك من كلماتها وضحكت معه، وتعالى ضحكهما معًا يعلن فصولًا جديدة من فصول حياتهما، ربما تكون أسعد وأفضل... ربما.

**** تمت ****

القصة الثانية

لا تلمسوا النجوم

مقدمة

تلك النجوم البديعة البعيدة كعقد من اللؤلؤ في صدر السماء، تلك النجوم رفيقات أفراحنا في ليل الدنيا، والشاهدة على عذاباتنا في عز نهاره، تلك النجوم التي كم حدثناها، وسمعنا منها، ووشوشناها بأسرارنا، وبأخبارنا، وكم شهدت علينا في ليالي قضيناها ساهرين من الفرح نطير إليها دون أن نطير. وكم حجبت دموعنا ضوءها الفضي المتلألئ ونحن نشكو لها من خيبات أيامنا في ليل الفقد، وليالي السهر جبرًا بأمر نافذ من الأحزان.

ولكن ماذا يقول لنا العلم عن النجوم، وما الذي نعرفه عنها، ففي أحيان كثيرة يفقدنا العلم استمتاعنا بالأشياء، وانبهارنا برونقها وبجمالها، ومن فينا يتخيل أن النجوم التي نحلم بها، ونتمنى أن نطير إليها ونلمسها بأيدينا ما هي إلا أجسام متوهجة تحرق من يقترب منها، ومن يلمسها، ورغم ذلك ستظل النجوم ما حيينا رمزًا للجمال والخيال، وعنوانًا للشهرة، وصديقات في السهر والسفر والسمر، وجمال بعيد نراه ونستمتع به ولا نلمسه. وربما كل الأشياء البعيدة جميلة فقط؛ لأنها بعيدة لا نقترب منها، ولا نلمسها، ولكي تظل جميلة لا بد وأن تبقى بعيدة، نراها ولا نلمسها.

لا تلمسوا النجوم

تجمع المارة وتزاحموا ليروا نجوم السينما على الطبيعة، فتكالب عليهم عمال الأمن ليفضوا جمعهم، ويبعدوهم بعيدًا عن مكان التصوير، وبدأ البلاتوه الخارجي في الانتصاب في وسط الشارع، وحضر مجموعة الكومبارس الذين سيكون كل دورهم أن يمروا من أمام الكاميرات وخلف الأبطال كبدلاء للمارة في الشارع، حتى تظهر اللقطة حقيقية، ويصدق المشاهد واقعية أحداث الفيلم.

وكان مصطفى مشرف من ضمن افراد الكومبارس البسطاء، شاب في العقد الثالث من عمره ، بسيط في شكله ومظهره المتواضع، والذي لا يؤهله للكثير، وأقصى تطور من الممكن أن يناله هو أن يتحول من كومبارس صامت لكومبارس متكلم، كجرسون في مقهى، أو سكرتير في شركة يقدم الأوراق فيها للبطل ويبتسم ويكمل باقي دوره بسماع توبيخه من المدير بطل العمل، ورغم ذلك كان فخورًا بنفسه وبمهنته، وكان يعود لحارته كل مساء يجالس أصحابه ويحكي لهم عن مغامراته مع النجوم، وكيف أن علاقته بالنجوم تتطور، حتى أن أحدهم طلب منه أن يناوله حقيبته، أو أن إحداهن طلبت منه أن يساعدها في التخلص من سخافة بعض المعجبين.

وكان مصطفى مقتنعًا تمامًا أنه نجم من المشاهير، وكان يذهب لصالون عبده حيحا، حلاق الحارة، ولا يطالبه بإخفاء صلعه فحسب، بل وعمل حلاقة لمطرب راب معروف أو لنجم هوليودي مشهور، وكان كلما تحدث مع أصحابه كان يتكلم عن أزمة الإنتاج ومشكلات دور العرض، وغرفة صناعة السينما، كان ينقل ما يسمعه من كلام النجوم في البلاتوه بتعبيرات جادة، توحي لك بخطورة ما ينقله من أخبار، وما يناقشه من مشكلات.

وجلس افراد الكومبارس، ومن بينهم مصطفى، ينتظرون مجيء نجوم العمل؛ للبدء في التصوير، وحضر كل النجوم إلا مدللة القلوب، ومعشوقة الشباب «فدوى فهمي»، وبدأ فريق العمل في التذمر والتساؤل، وفقد المخرج أعصابه، وتوتر المنتج قلقا"على نقوده، وصاح الجميع إلى أن حضرت قادمة من بعيد، تسبقها نسمات تحمل عطرها الأنثوي الصارخ، واتجهت الأعين نحو القمر الذي تعطف وقبل أن ينزل من سماء الدنيا؛ ليشرفهم بوجوده على الأرض بينهم، كانت فدوى جميلة صارخة الأنوثة، وكانت تعرف أن كل إمكانياتها في هذا العالم هو جمالها، وبديع تكوين منحنيات جسدها المثير، فلم تتردد أن تطوع كل إمكانياتها في سبيل إسعاد رجل الشارع، وفي زيادة ثراء منتجي أفلامها، وفي ملء قاعات عرض أفلامها بالمراهقين والتافهين، حتى ذاع صيتها، ووصلت في سنوات قليلة لأن تبقى نجمة الشباك الأولى رغم ضعف موهبتها التمثيلية، وفقر أدائها الخالي من المشاعر والحضور .

حضرت الجميلة أخيرًا، وما أن حضرت حتى ساد الصمت، وكف الاعتراض، وعلت الابتسامات على أسطح الوجوه، وتسابق من في البلاتوه على إلقاء التحية، والسؤال عن الأحوال، ويبدأ المشهد الذي كان عبارة عن لقطة في حارة قديمة تمر البطلة فيها من أمام قهوة شعبية بجلابيتها الضيقة المقلمة المفتوحة لما فوق ركبتيها بكثير، تتمايل وتتراقص، وخلف ظهرها ضفيرتها الطويلة تتراقص هي الأخرى، تلك اللقطة الأشهر في أفلام المقاولات التي لا تعرف من أي حارة جاءوا بها لتبقى لقطة ثابتة في أفلامنا الشعبية، فيواجهها ذئب الحارة الذي لا بد وأن يكون أغنى رجل فيها، ولا بد أن يكون صاحب البيت الذي تسكنه البطلة ؛ ليطالبها بالإيجار المتأخر، فتبكي وتجري، فتصطدم بالبطل، الرجل الشهم الشجاع الذي يحبها، ولا بد أن يكون فقيرًا؛ ليتوعد الغنى وينتقم لحبيبته، سيناريو قديم تكرر عرضه فى السينمات وحفظه الجمهور عن ظهر قلب، ولكن الجديد في الفيلم هذا هو البطلة وجمال البطلة وليست القصة القديمة المحفوظة سالفا".

ويبدأ التصوير، وتعبر البطلة الشارع، وحولها افراد الكومبارس الذى من بينهم كان مصطفى يؤدى دوره كعابر لطرقات الحارة تلك وامامه تسير فدوى بدلالها الآخاذ، وما أن تصل فدوى أمام ديكور بيت قديم، حتى تسقط بالكونة البيت، وفي اللحظة المناسبة، وقبل أن تسقط على رأس الجميلة، يجري عليها مصطفى الكومبارس الشهم الشجاع ؛ ليدفعها أمامه بعيدًا، ولا يستطيع هو أن يدفع بنفسه

وراءها، فيسقط الخشب على نصفه السفلي، ويصرخ مصطفى من الألم، ويتجمع كل من في البلاتوه ليطمئنوا على النجمة التي فزعت لدرجة أنها صرخت:

- يا مامي..

وتركوا الكومبارس الغلبان تحت الخشب يصرخ، وطلبوا له إسعافًا عامًّا يأتيه بعد ساعة ونصف من الألم والعذاب، ليأخذوه ويجبروا له قدمه التي تهشمت، ويرقدوه في فراش المستشفى العام وحيدًا، فكل أهله كانوا في قرية صغيرة في صعيد مصر، وهو كان يعيش وحيدًا، بعيدًا عنهم؛ ليجرب حظه في الفن، ويتجمع حوله أصدقاؤه من الكومبارس، يزورنه ويسألونه عن حاله، ويلومونه على ما فعله بنفسه، ومن بينهم نادية عزت، كومبارس صامت، ممثلة متخصصة في مشاهد الطوابير والأتوبيسات وزحام الجمعيات.

مدت نادية يدها وأخرجت من شنطتها ربع فرخة محمرة، وطبق شوربة وأرز، وقالت:

- خد يا أخويا، اتغذى وقوي قلبك، تلاقيك اتهريت حقن ودوا يا حبة عينى

- متشكر يا نادية، ما كانلوش لزوم كل ده، أنا عارف إنك لسة ما أخدتيش يوميتك م المنتج، وده كتير على اوى .

- ليه يعني؟ هو أنا كنت عملت إيه ؟ دي حاجة بسيطة اوى، بس أنت ليه بس عملت كده في روحك يا مصطفى؟ دول ناس ما يستهلوش المعروف، عجبك كده؟

أهو ولا حد منهم سأل فيك، ومش بعيد يطلعوك م الفيلم، ويخصمولك يوميتك، وأنت دلوقتي صاحب عيا ومحتاج لفلوس، طب ده أنا سمعت إن الست فدوى فهمي دلوقتي في مستشفى كبير اوى بتتعالج من الصدمة، واحتمال يسفروها برة بطيارة خاصة علشان نفسيتها اللي اتأثرت جدًّا من الحادثة.

فيضحك مصطفى ويقول:

- خليها على الله يا نادية ياختي.

- بردو أختك يا راجل؟ ده أنا صارفة عليك دم قلبي، وأنت مفيش دم خالص كده؟

- أنتِ عارفة يا نادية إني مبفكرش دلوقتي خالص غير في مستقبلي الفني.

فتجمع نادية بقايا عظم الفرخة والأطباق الفارغة بغيظ وتقول:

- طب أفوتك بعافية علشان تعرف تخطط كويس لمستقبلك الفني، أنا عارفة ياخويا بتجيب كلامك ده منين؟ مستقبل إيه؟ وزفت إيه؟ إيش حال إن مكنتش مكسح بسبب الزفت الفني ده.

وتركته ومضت تتمتم بكلام آخر لم يسمعه، فقد كانت تحبه، وتلمح له، وكان هو غارقًا في خياله عن طموحاته وآماله، غير مستوعب حجمه الحقيقي ككومبارس، ولد كومبارس ليعيش ويموت كومبارس . ومرت الأيام ولا أحد يسأل عنه من

فريق الإنتاج، ولم يصرفوا له أي تعويض أو نقود، حتى يوميته خصموها من حسابه، ولولا نادية لكان مات جوعًا.

وبعد حوالي أسبوعين أو ثلاثة أسابيع رقد فيها في فراشه جائعًا وحيدًا، جاءه طارق يدق بابه، فتحامل على نفسه وقام ليفتح باب غرفته المتواضعة، ذات الحمام المشترك مع خمس غرف أخرى على نفس السطح الذي يسكنه وحيدًا، فوجد أمامه رجلًا ببدلة زرقاء، ذات خطين ذهبيين على جانبيها، وكاب أزرق به خط ذهبي أيضًا، يسأل عنه، فأدخله الغرفة وقال له مصطفى بطيبة شديدة، وبسذاجة أشد:

- هو سعادتك طيار يا بيه؟

فضحك الرجل ضحكًا شديدًا، وقال:

- طيار إيه؟ لا يا ابني، أنا عمك أنور، سواق فدوى هانم، وده لبس الشغل، وهي بعتاني علشان أقولك تاخد الظرف ده، وتيجي معايا دلوقتي علشان أوديك المستشفى؛ لأن فدوى هانم حجزتلك في مستشفى كبير اوى .

فتردد مصطفى وقال:

- لا، أنا بقيت كويس يا عم أنور، اشكرها بالنيابة عني.

فيجيبه الرجل :

- يا ابني ما تقطعش عيشك، الناس دي اللي ييجي منهم أحلى من عينها، وأنا سمعت اللي أنت عملته معاها، وده أقل واجب تقدمهولك، بس الصراحة هي

كانت مسافرة بلاد برة ولسة راجعة، وكانت فاكرة إن فريق الإنتاج قام بالواجب.. يلا يا ابني، متضيعش نفسك.

فأمسك مصطفى بعصا قديمة، كانت في شبابها عكازًا لجد جد جد نادية زميلته الكومبارس، ثم تحول لعصا لتقليب الغلية في بستلة غسيل أمها، ثم مسندٍ يرفع به رف لطابق من طوابق دولاب ملابسها المتهالك، ولكنها ضحت بالدولاب من أجل مصطفى ومن أجل أن يتكئ عليه مصطفى حبيب القلب، وأمسك مصطفى العصا وتساند على نفسه ليغير جلابيته البيضاء، فمن غير المعقول أن يخرج نجم مثله من بيته بالجلابية.

وقبل أن يرفع ثوب جلبابه ليخلعها دفعت نادية الباب ودخلت محملة بطبق فول بالطماطم والدقة، وخمسة أرغفة من الخبز البلدي الساخن، وطبق مخلل من الباذنجان بالشطة وقالت:

– أنا جهزتلك الغدا يا مصطفى، إيه ده؟! هو أنت رايح فين؟ ومين سعادة البيه الطيار ده؟

فرد مصطفى ضاحكًا وقال:

– طيار مين يا جاهلة؟ ده عم أنور، سواق الست فدوى فهمي، أصل الست «فدوى فهمي» زميلتنا في الفيلم بعتتلي السواق علشان تطمن علي، متخافيش ((شيك أب)) بسيط في المستشفى اطمن على صحتى وراجع .

ضحكت نادية وقالت:

- فدوى فهمي زميلتنا !! .. وشيك أب كمان !! وماله يا مصطفى؟ طب اقعد كل باسم الله، متروحش على لحم بطنك ياخويا، ده أنت صاحب عيا.

فنظر عم أنور لها وقال:

- هنتأخر يا بنتي على المستشفى.

ثم نظر لمصطفى وقال:

- يلا يا ابني، اعمل معروف، آخرتني.

- طب ممكن تعزم على ضيفك ياكل معاك، اتفضل، أنت طيب يا عم أنور، باسم الله.

- يا هانم هنتأخر على المستشفى، وبعدين فول بالطماطم وبدنجان؟ هو أنا ناقص؟ ده أنا لو عصرتيني أنزل فول وبدنجان وبصارة وطعمية، اعملي معروف ما تأخريناش أكتر من كده .

فقالت:

- خلاص، أنا جاية معاك يا مصطفى .

ولم تعطيهما الفرصة للرفض او القبول نزلت معهما، واستقلوا السيارة الفارهة، ووصلوا إلى مستشفى خاص كبير ومشهور على ضواحي قاهرة المعز، واستقبل الريسبشن حالة مصطفى باهتمام شديد، وأدخلوه حجرة فخمة أنيقة، وأخذوا كل

الإجراءات الطبية على أعلى مستوى طبي وخدمي، ونادية بجانبه لا تتركه، وكلاهما في عجب من الاهتمام والرعاية والعناية.

وجلبوا له طعامًا فاخرًا، وفاكهة مستوردة، وجلست بجانبه ممرضة كالتي تظهر معهم في أفلام السينما ؛ لتطعمه بيديها، فاستشاطت نادية غضبًا من المنظر، ومن استسلام مصطفى لها، وابتسامته البلهاء التي تعلو وجهه، وهو يمعن النظر في وجهها، ومدت يدها وقالت للممرضة:

- عنك أنتِ يا حبيبتي، روحي شوفي شغلك أنتِ وأنا هقوم بالواجب.

وأخذت منها الطعام ووضعته في فمه كله دفعة كبيرة بغيظ، فتكلم والطعام يتناثر من فمه:

- إيه ده يا نادية؟ أحرجتيها، ما كانش يصح تقولي كده، الست بتشوف شغلها، وبعدين الناس دي ما بتصدق تشوف ممثلين في السينما زينا، وتلاقيها عاوزة تلزق فيهم وتتصور معاهم.

- هي بردو اللي عاوزة تلزق؟ طب ممكن تاكل وأنت ساكت لأحسن غرقتني مطرة شوربة وخضار من بقك ده؟ وبعدين أنا ريحتها وخففت عنها وبخدمك أهوه، ولا أنت عاوز أأكلك بسهوكة علشان تشبع؟

وقلدت حركات الممرضة وهي تطعمة ببطء، فضحك مصطفى وقال لها:

– طبعًا هي شايفاني واحد مشهور وبيظهر في أفلام السينما مع كل النجوم، فلازم ترسم علي وأنا واخد بالي بس مطنش.

فضحكت نادية وقالت:

– بتعجبني ثقتك بنفسك اللي مش لاقيالها أي أمارة، نفسي أعرف مشهور بأمارة إيه؟ وجايب الشلوت اللي أنت واخده في نفسك ده منين؟ لما أنت نص مشاهدك في الأفلام بقفاك والنص التاني يا يظهر صباع رجلك يا صباع إيدك، مطلعوش الاتنين مع بعض في أي فيلم لك يا مصطفى شفتولك قبل كده.

– أنت دايمًا كده بتكسري مجاديفي، وبتحبطي أحلامي، بكرة تشوفي أنا هبقى إيه.

وكان مصطفى مصدقًا نجوميته وأوهامه، ومتخيلًا أن الشهرة بالنسبة له مسألة وقت لا أكثر، ثم سمعوا هرجًا ومرجًا، وأصواتًا عالية، وخطوات كثيرة خلف باب الغرفة، لم يتبينوا أمرها إلا عندما دخلت النجمة الجميلة المثيرة فدوى فهمي وأطلت كشمس شتاء بعد صباح ممطر عاصف، واتجهت نحو فراش مصطفى وقالت له:

– كويس أنت دلوقتى يا... هو أنت اسمك إيه؟

فنظر لها مصطفى وهو فاتح فمه وعينيه على مصراعيهما، وهز رأسه بالـ «نعم» وأكمل ببله وتخلف واضح:

– اسمي مصطفى يا ست الهانم فدوى.

فأكملت النجمة كلامها وقالت:

- بعتلك فلوس مع عم أنور، وصلتك يا ترى؟

فأومأ مصطفى برأسه وهو ما زال فاتحًا فمه وعينيه على مصراعيهما، وهز رأسه بالـ«نعم»، فقالت:

- لما تحس إنك بقيت كويس ابقى تعالى وأنا هديلك شغل في فيلم جديد بعمله، يلا باي.

ومضت دون أن تعطيه فرصة هذه المرة لأن يفتح فمه وعينيه ثانية على مصراعيهما ويهز رأسه بالـ«نعم».

التفت مصطفى لنادية وقال:

- جالك كلامي؟ الست فدوى هتديني دور معاها في فيلمها الجديد، عرفتي بقى إني موهوب، وإن النجوم بتطلبني بالاسم أمثل قدامها؟

فردت نادية:

- أستغفر الله العظيم، نجوم مين؟ وإيه هو اللي مؤمنة بموهبتك؟ ودور إيه اللي تمثله قدامها؟ يا أهبل دي بتعطف عليك عشان اتكسحت بسببها، صدقة يعني.

فغضب مصطفى وانفعل، وأخذ يدفع في الأدوية التي بجانب فراشه، وأسقطها بحركة تمثيلية مضحكة وقال:

- من فضلك يا نادية، سيبيني لوحدي شوية.

فاتجهت نحوه نادية، وربتت على كتفه، وقالت:

- متزعلش ياخويا، أنا خايفة عليك يا مصطفى لتتعشم وبعدين عشمك يطلع على شونة.

- قولت لك سيبيني لوحدي دلوقتي.

فقالت وهي تنصرف:

- خلاص، أنا هروح دلوقتي وهفوت عليك بكرة، ولو عوزت حاجة ياخويا رن لي على المحمول.

وأسدلت عليه الغطاء، وخرجت تدعو له وتقول:

- ربنا يهديك يا مصطفى يا رب.

وقضى الليل يحلم بالشهرة والمجد، والمعجبين والأضواء، وفي الصباح جاءه الطبيب يخبره أنه أصبح بخير، ويستطيع المغادرة وقتما يريد، على أن يعود للمستشفى بعد أسبوع ليزيل الجبس، والحساب مدفوع مسبقًا من الفنانة فدوى فهمي، ففرح مصطفى باهتمام زميلته النجمة به، وقام وخرج من المستشفى، واستقل تاكسي، وعاد لبيته البسيط قلبه عامر بالأحلام، وبالدور الذي ينتظره في فيلم فدوى فهمي الجديد، وجيبه عامر بالمكافأة التي بعثتها له مع عم أنور، وبعد أسبوع بالتمام جاءه عم أنور يدق بابه ليأخذه للمستشفى ثانية؛ ليزيل عن رجله الجبس، وبعد أن أنجز مشواره ونزع جبل الجبس من على جسده الضعيف، توجه به السائق إلى بيت فدوى

فهمي ليقابلها، فأدخله عم أنور لبهو ريسبشن القصر الفاخر الذي تملكه النجمة الحسناء، فانبهر مصطفى، وتلفت حول نفسه وكأنه في عالم العجائب، فحتى في خياله لم يكن يتخيل أبدًا عالم ما وراء القصور، وما تخبئه أبواب بيوت الأغنياء خلفها من عز ونعيم، حتى أفاق على صوت الخادمة تقول له:

– ست فدوى مش فاضية تقابلك، وبتقولك فوت عليها بكرة في اللوكيشن ده الساعة عشرة الصبح، وهتديك دور في فيلمها الجديد.

وأعطته «كارت» يحمل اسم المكان، ودعته لمطبخ القصر ليأكل لقمة كما أمرتها سيدتها فدوى فهمي، فمضى خلفها، ثم التفت على ضحكة صاخبة مجلجة من النجمة التي كانت تأخذ حمام شمس في حديقة الدار الخلفية بملابس البحر، وحولها مجموعة من رجال الفن والصحافة، فدفعته الخادمة أمامها وقالت:

– امشي قدامي أنت بتبص على إيه؟

وأدخلته المطبخ، وجهزت له طاولة عامرة بالطعام الفاخر والفاكهة المستوردة، وأخذ يتناول طعامه بنهم شديد، وهو يختلس النظرات من نافذة المطبخ على النجمة بملابسها المكشوفة الفاضحة، وهي تضحك مع هذا، وتجامل هذا، وتستمع لنكتة هذا، وتضحك لهذا، وقد ازداد بلهه أكثر وأكثر، فهو من نوعية الأشخاص الذين يزداد بلههم كلما ازداد تعجبهم.

إلى أن رن تليفون القصر، وما أن ردت الخادمة، وعلمت شخصية الطالب، حتى انقلب القصر النائم في هدوء النعيم إلى خلية نحل، وذهبت الخادمة على الفور، وحدثت النجمة في أذنها، فقامت مسرعة، وأنهت حديثها مع ضيوفها، وجرت على سلم القصر متجهة لغرفتها، وبدا من الواضح جدًّا أنهم يستعدون لاستقبال ضيف مهم قادم، ويهيئون المكان لاستقباله، ومصطفى ما زال يأكل، وهو ما زال على تعجبه وبلهه وسذاجته في تفسير الأمور. فنظرت نحوه الخادمة وقالت:

- وأنت ياخويا مش هتهوينا بقى؟ بقالك ساعة بتاكل، أنت إيه؟ ما بتشبعش؟

ثم مدت يدها وجذبت الطعام من أمامه، وأمرته بالانصراف، فقام متلكأ، فدفعه بواب القصر خارج القصر، وأغلق في وجهه الباب، وعانى مصطفى في رحلة العودة حتى وصل لبيته، فجلس على فراشه وأخذ يستجمع الأحداث والأشخاص، ولم يفهم شيئًا، لكنه تذكر اهتمام النجمة به، فضحك من قلبه، ومر النهار وهبط الليل، فاحتضن مصطفى أحلامه ونام، حالمًا بالمجد والشهرة، والوقوف أمام فدوى الجميلة، وطلع الصبح بضوئه الذي يعيد للأرض الحياة، وارتدى أعظم ثيابه التي هي بنطلون مقلم وقميص كاروهات، وذهب على عنوان التصوير في اللوكيشن المذكور في الكارت، فأدخلوه وأجلسوه ثلاث ساعات حتى انتهى المخرج من عمله، ثم طلبه ليجري له «تيست» يختبر به قدرته التمثيلية، وطلب منه أن يقول مجموعة جمل بطرق مختلفة، فكان مصطفى يردد الكلام ولا يمثله، فيعطيه مجموعة جمل أخرى، فيكرر مصطفى نفس الأداء البغبغاني حتى مل منه المخرج وتركه

ومضى دون تعليق، وتركه ساعتين أخريين من الوقت، وقد كان مصطفى معتادًا على الانتظار، أو بمعنى أصح اللطع والإهمال، واللامبالاة التي يعامل بها الكومبارس أمثاله، فلم يبدِ اعتراضًا، وبقي صامتًا هامدًا منتظرًا.

إلى أن هاج وماج اللوكيشن بحضور النجمة اللامعة، والأنثى الفاتنة «فدوى فهمي»، فتزاحم حولها العمال، وتدخل الأمن لفضهم، أما هي فمضت مختالة بسحرها وفتنتها، تتدلل على المنتج الذي كان مستاءً من تأخيرها المتكرر، ولكنه نسي الاستياء والتأخير بمجرد أن نظرت نحوه وابتسمت، والتقت عينا النجمة بمصطفى الجالس بعيدًا من أذان الله صباحًا ينتظر، فابتسم لها، ولكن عينيها لم تكن تراه أو تعرفه، ولم تستوقفها ابتسامته في وجهها، وما الذي يستوقفها لتراه وابتسامته موجة في بحر الوجوه المبتسمة المعجبة بها ليل نهار.

ومضت النجمة نحو المخرج الذي تهلل وجهه بقدومها، وبدأ يشرح لها دورها في الفيلم الجديد، ثم توقف وكأنه تذكر شيئًا وقال لها:

- إيه يا فوفو اللي أنت بعتهولي ده؟ ده كلام يا نجمة؟

- أنا ما بعتش حاجة.. تقصد إيه؟!

- إزاي وفي واحد جايني من طرفك بكارت عليه إمضتك؟

- أوه سوري، افتكرت، ده واحد كومبارس غلبان صعب عليا، شوف له أي دور في الفيلم معانا.

– بس أنا امتحنته، ده ما بيعرفش يمثل خالص.

– يعني هو كل اللي في الفيلم بيعرفوا يمثلوا، وحياتي يا ميتو شوفله أي دور، ده راجل غلبان وأنقذ حياتي، وحياتي يا ميتو.

فتردد وقال لها:

– ما دام حلفتيني بحياتك يا فوفو ما أقدرش أردلك طلب، ممكن نشغله ساعي في الشركة بتاعة البطلة اللي أنتِ هتقومي بدورها، ونديله لقطتين يقدم فيهم الشاي والقهوة، ونطلع وشه خمس أو ست ثواني على الشاشة، وده علشان خاطرك بس.

فنظرت النجمة نحو مصطفى، وأشارت له بيدها، فنظر خلفه؛ ليتأكد أنه المقصود، فنادته من جديد، فقام مهرولًا نحوها وقلبه سيقفز من قفصه الصدري من فرحته؛ لأنها نظرت نحوه ونادته.

واتجه نحوها مبتسمًا ابتسامة باتساع الكرة الأرضية، وانحنى أمامها يحييها، حتى كادت رأسه أن تلمس ركبتيه، فوضعت يدها الكريمة على كتفه وقالت:

– قولتلي اسمك إيه؟

– اسمي مصطفى.

– طب يا مصطفى روح البس واستعد علشان هتمثل معايا الشوط اللي جاي.

فجرى مصطفى كالرهوان على غرفة الملابس؛ ليستعد لارتداء ملابس شخصية الساعي في شركة، وهو يؤهل نفسه للتقمص، مصدقًا ذاته، سعيدًا بإنجازه وبفوزه بدور في مواجهة فدوى الجميلة، وطلب أوارقًا يراجع بها دوره، فقالوا له:

- دورك مش محتاج مراجعة؛ لأن دورك كلمتين، هتدخل على البطلة شايل صينية وتقولها وأنت بتنحني اتفضلى العصير يا هانم، فترد عليك وترمي الصينية في وشك، وتقولك غور من وشي يا متخلف، فتخرج من البلاتوه وتروح بيتكم.

ولكن مصطفى لم يقتنع، وأصر على طلبه بورقة فيها دوره مكتوبًا؛ ليراجعه حتى تساعده على التقمص، فأعطاه الريجيسير ورقة كتبها له بخط يده وهو يضحك ويقول:

- اتفضل اتقمص، سكوت يا جماعة علشان أستاذ مصطفى دخل في الشخصية ما تخرجهوش من المود.

وانقلب البلاتوه رأسًا على عقب ضحكًا على مصطفى، وهو لا يدري بشيء، فقد كان يغدو ويعود في البلاتوه كبندول الساعة مراجعًا لدوره، ولم يلتفت أبدًا لسر الضحكات من حوله، حتى لا يفقد موده ويخرج من تقمصه.

وأدى مصطفى دوره سعيدًا مبتسمًا حتى وقت أن كانت صينية العصير تلقى في وجهه، كان يتلقاها سعيدًا مبتسمًا، فأضحك كل من في البلاتوه عليه، ورغم أن الضحكات كانت سخرية منه إلا أنه اعتبر هذا تشجيعًا له ولفنه، وعاد لبيته سعيدًا

فرحًا بالإنجاز الذي عمله، ومر على نادية عزت رفيقة كفاحه، وبعث لها ولدًا صغيرًا من أهل الحارة لينادي عليها، فتنزل لمقابلته، فصعد لها الولد وكانت مشغولة تغسل ملابس جارتها سونة صاحبة دكان الجزارة التي في آخر شارعهم، مقابل عشرين جنيهًا لا غير، فقالت للولد:

- روح للي باعتك قوله نادية مش فاضية دلوقتي يفوت عليا بكرة.

فذهب الولد وعاد لها وقال زميلك مصطفى مشرف بيقولك لازم تنزلي له ضروري، فردت الست سونة صاحبة الغسيل على الولد وقالت:

- جرى إيه يا واد؟ ما قالتلك إيدها مش فاضية، يفوت بكرة ولا بعده، إحنا ناقصين بلاوي؟

فسمعت نادية اسم مصطفى فانتصبت واقفة وقالت:

- ثواني يا ست سونة وراجعة حالًا.

ولم تنتظر ردًّا، وجرت ويدها تقطر ماء وصابونًا، وملابسها المبتلة تتسبب في رجفتها وبردها رغم أنهم في شهر سبتمبر، وجرت نادية على مصطفى وقالت:

- عملت إيه يا مصطفى؟

فرد بتكبر وأنافة:

- ابعدي بس هتبوظيلي القميص.

- قميص إيه يا أبو قميص؟ دي وكالة البلح بطلت تستورد الموديل ده من زمان.

- عملت الدور بطريقة أبهرت كل من كان في الاستوديو، ووقفت قدامها وكلمتها.

- المهم قبضت ولا زي كل مرة.

- قبض إيه يا مادية؟ أنا الأهم عندي الفن وبعد الشخصية.

- بقولك إيه يا مصطفى أنا هقولك كلمة هتسمعها منى لأول ولآخر مرة، ما تيجي يا ابن الناس نتلم على بعض ونتجوز وأرجع بلدكم معاك، نزرع مع بعض القيراط اللي حيلتك وأخلفلك عيلين يساعدوك ونفضنا سيرة من السيما ومرمطتها دي؟

فالتفت نحوها مستنكرًا، وقال:

- جاية تقوليلي الكلام ده دلوقتي بعد ما طلعت أول سلالم الشهرة؟

فردت نادية عليه باسمة كعادتها وقالت:

- وأنت بقى طلعت ولا لسة واقف على السلم؟

فرد بفخر:

- أنا دلوقتي أخدت دور أكبر من الأول.

- ازاي يعني؟

فقال لها:

- عندي دور ساعي في شركة كبيرة تملكها البطلة.

- وطبعًا طلعت على سلم المجد علشان تقدم صينية الشاي للبطلة، ومش بعيد تكون زعقت في وشك أو رميتها في خلقتك، مش كده؟!

فرد عليها مصطفى غاضبًا:

- من فضلك بطلي تكسري مجاديفي، وبعدين أنا قدمتلها صينية عصير، والكاميرا جت على وشي خمس ثواني.

فتراجعت نادية خطوتين للخلف، وقالت:

- أنا هقع على ضهري من كتر الانبهار.

- بقولك إيه؟ أنت عاوز مني إيه دلوقتي؟ علشان أنا مش فاضيالك، ورايا غسيل.

- عاوز أشاركك فرحتي، وعازمك على ربع كباب وكفتة من عند عم عكاوي الفحل.

- بقولك إيه؟ أنا طالعة أكمل غسيل وأنت بقى دلوقتي أنصحك تروح تلم أهل الشارع عليك، وتغنيلهم «يا أصحابي يا أهلي يا جيراني أنا عاوز أخدكو في أحضاني»، ولا أقولك؟ روح أجر بسكلتة زي بتاعة عبد الحليم في فيلم «معبودة الجماهير» تاخد فدوى فهمي عليها وراك وتغنوا أغنية «حاجة غريبة»، أما أنا فزي ما قولتلك عندي غسيل.

ومضت وتركته، فناداها:

- رايحة فين يا نادية؟

فنظرت نحوه بشفقة وقالت:

- رايحة أنشف إيدي علشان ما أوسخلكش القميص الكاروهات أو البنطلون المسطر اللي أنت لابسه.

وتركته ومضت ولم تلتفت له، أما مصطفى فعاد للبلاتوه في اليوم التالي ليمثل مشهده الثاني، ويحمل الصينية ويدخل للبطل حبيب البطلة، ويقدم له الشاي هو وضيوفه أصحاب البطلة، ومن المفترض أن تكون تلك اللقطة حدثًا فارقًا في حياة مصطفى السينمائية؛ لأن الكاميرا ستسلط عليه نصف دقيقة كاملة؛ لأن البطل سينظر له من أسفل حذائه البالي القديم لأعلى طربوش ملابس الساعي التي يرتديها، ثم يقول:

- إيه ده؟ هو لسة في شركات بتشغل رجالة تقدم شاي وقهوة بالمنظر ده؟ أنا ذنبي إيه أصطبح كل يوم الصبح على سحنة الساعي الملخبطة دي؟

ويقرر البطل أن يطرده ويستبدله بفتاة وصولية تحاول أن تسرق البطل من زوجته؛ لتصير صاحبة الشركة، وينشأ صراع بين امرأتين في الفيلم وفي خارج الفيلم أيضًا، فالبطلة الثانية لا تقل عن فدوى إثارة ورغبة في الشهرة والثراء، والفيلم في واقع الأمر عبارة عن مباراة بين نجمتين لإثبات فتنتهما، وسرقة العيون والقلوب،

وإيرادات الشباك، وأفيشات الشوارع، وأخبار المجلات من بعضها، وهذا كله لصالح مخرج مقاولات يعرض جمالها بسخاء ليجني ثمن عرضه مالًا وثروة.

وكان دور مصطفى سينتهي إلى هذا الحد، لولا تدخل القدر ليحرم مصطفى من نصف الدقيقة التي كان سيحظى بها أمام الكاميرا، أول درجات المجد في أحلامه البسيطة، فقد عادت النجمة لليوم التالي في البلاتوه معكرة المزاج، وقررت أن تستبدل مشهد الساعي بإضافة مشهد جديد لها يخدم سياق الفيلم، وهو في الواقع يخدم الطريقة التي ترى أنها الأنسب لعرض النجمة الجديدة بالطريقة التي تناسبها هي، فوافق المخرج والمنتج على الفور، وبعثوا لعامل في الاستوديو أن يعطي لمصطفى أجره ويأمره بمغادرة البلاتوه.

فخلع مصطفى بدلة الساعي وخرج من تقمصه للشخصية، ومضى مغادرًا للبلاتوه وهو حزين على أمله الضائع في النصف دقيقة أمام الكاميرا، وما أن التفت عائدًا حتى سمع أحد الفنيين العاملين في ديكور البلاتوه يحدث الآخر ويقول له:

– اسمع بقى، ما هو أنا لو ما أخدتش حقي دلوقتي مش هيحصل كويس، ما هو لما النجفة تقع على فدوى وتموت الدنيا هتتقلب، وابقى دور على اللي هيسأل فيك وفيا وقتها، ولا ابقى قول أنا اتفقت إني أوقع النجفة عليها وأموتها مصعوقة بالكهربا، وموتها وما أخدتش حقي.

فقال الآخر:

– وطي صوتك، دلوقتي يقبضونا، همه بس مستنيين يطمنوا على التنفيذ يا راجل، هو في حد بيدفع مقدم في الزمن ده؟ صبرك شوية يا حسن هتفضحنا.

وسمع مصطفى بالصدفة كلام العاملين، فلم يتمالك أعصابه، وجرى لمقابلة النجمة التي ما أن سمعت أنه يريد مقابلتها حتى هاجت وماجت وقالت:

– عايز إيه الزفت ده؟ هو أنا علشان عطفت عليه واديته كلمتين يقولهم في فيلمي هيحسب إننا أصحاب؟ أما حاجة تجنن.

وأشارت للبيسة التي تساعدها في ارتداء ملابسها وقالت:

– روحي يا روحية قولي له الست فدوى بتقولك غور في داهية.

فقالت لها لبيستها:

– ما يصحش كده يا ست فدوى، ده الراجل أنقذ حياتك.

فردت فدوى بعصبية:

– واديتله قرشين وعالجته على حسابي، عاوز إيه تاني؟ روحي مشيه يا روحية بدل ما أجيبهم يشيلوه ويرموه برة.

ومضت روحية اللبيسة نحو مصطفى وقالت:

– الست بتقولك مش فاضية عندها مشهد دلوقتي.

فنظر مصطفى لبلاتوه التصوير وكان اللوكيشن يتوسط سقفه نجفة كبيرة الحجم مليئة باللامبات الكهربية، ووجد العاملين اللذين سمعهما يتحدثان واقفين على مقربة من أسلاكها ينظران نحو فدوى، وبديا وكأنهما يجهزا موقع السقوط .

وتقدمت فدوى ووقفت تحت النجفة وعدلت ملابسها وشعرها، وما أن نطق المخرج «أكشن» حتى صرخ مصطفى في النجمة في الوقت المناسب ...

- ابعدي يا نجمة عن النجفة، احسن هيوقعوها عليكي .

فجرت فدوى مبتعدة عن النجفة، فوقعت النجفة بعيدًا عنها، وأخرجت شذرًا رهيبًا، وصرخت فدوى ووقعت مغشيًّا عليها من الصدمة، وأسرع الجميع إليها، وتجمع العمال حول مصطفى يستجوبونه من أين له بمعلومة سقوط النجفة، وتحلقوا حوله مستجوبين وهو واقف وسطهم مذهولًا، فقد بدا وكأنه المذنب وليس من أنقذ البطلة من ميتة محققة شنيعة.

واستدعى المنتج البوليس الذي تحفظ على مصطفى ليستجوبه، واحتجزه في القسم، فقال لهم ما عرفه من معلومات سمعها من العاملين، لكنه فشل أن يخرج العاملين من بين فنيي الديكور، وأنكر رئيس العمال وجود عامل اسمه حسن، وأصبح حسن كفص من الملح الذائب في الماء، وانقلب الرأي العام بحثًا وتفسيرًا عن لغز محاولة اغتيال فدوى فهمي، واحتل مصطفى صفحات الجرائد، ليس في صفحة الفن، ولكن في صفحة الحوادث، وقضى مصطفى يومين من أسوأ أيام عمره في حبس انفرادي، وخضع لأكثر من عشرين استجوابًا عله يغير من أقواله بلا

جدوى، بعد يومين قضاهما مصطفى في تخشيبة القسم ينام ويقوم على استجوابات، وشك وريبة في شخصه الطيب ونفسه البريئة. ولولا نادية التي لاحقته بساندويتشات الفول والطعمية لكان مات جوعًا حتى أفاقت فدوى من فزعها، وعرفت القصة، وأجرت اتصالاتها على أعلى مستوى، وطلبت مقابلة مصطفى لتتبين الأمر، فتم الإفراج عنه بضمان محل إقامته، وانتظره عم أنور سواق الهانم ونادية زميلته الكومبارس الجدعة خارج القسم، فخرج لهم خائفًا حزينًا، فربتت نادية على كتفه وقالت:

– ما تخافشي يا مصطفى ياخويا، ربنا هيظهر الحق، أنت راجل طيب، وربنا مش هيسيبك صدقني.

وقال له عم أنور:

– تعالى معايا يا ابني، فدوى هانم مستنياك.

فردت نادية:

– والنبي يا عم أنور كفاية لحد كده، وسيبه في حاله، ما جالوش من ورا فدوى هانم دي غير وجع القلب، مرة كان هيتكسح، والتانية بقى فيها سوابق وصوره طلعت في الجرايد وسط المجرمين، وهو راجل كومبارس معروف، وله سمعته في الوسط بردو.

فقال عم أنور لنادية مترجيًا إياها:

- يا بنتي سيبيه ييجي معايا، أصل الست عاوزة تكافئوا ما تقطعيش رزقه.

- قولها كتر خيرها وكفاية لحد كده.

فرد مصطفى وقال لنادية:

- أنا هروح معاه أقابلها يا نادية، روحي أنتِ دلوقتي.

فدفعته نادية في صدره بغيظ وقالت:

- روح ياخويا وماله، إياك يولعوا فيك المرة دي، أنا مالي، أنا الحق عليا إني خايفة عليك.

وتركته ومضت بغيظ وقلق أيضًا، وركب مصطفى مع عم أنور وذهب به عم أنور لبيت النجمة التي بدت في منتهى القلق والخوف، ولم تكن فدوى بمفردها، كان معها اثنان من الثيران البشرية الذين يقال عنهم «بودي جارد»، ورجلان آخران كانا يعملان بالبوليس قبل أن يتركا الخدمة ليديرا عملًا خاصًّا بهما لتدريب فتوات هذا الزمن في هذا الوسط، الذين يلقبونهم بالبودي جارد.

وخضع مصطفى لاستجواب جديد، فحكى ما سمعه للمرة الثالثة والعشرين، وكاد يبكي من انفلات أعصابه أمامهم، فرق قلب فدوى فهمي لحاله وقالت:

- خلاص، أنا مصدقاه، دي مش أول مرة ينقذ حياتي، روحوا اقلبوا الدنيا واعرفولي مين الاتنين دول.

وأخرجت فدوى من شنطتها مبلغًا من ورق بنكنوت، رزمة كبيرة، ومضت بها نحو مصطفى لتعطيهم له، وتأمر الخدم أن يأخذوه لمطبخ القصر ويطعموه كالمرة

السابقة، وقبل أن تفعل، دخل عليهم مخرج العمل الذي فاجئها بأن هناك كاميرا في خلفية البلاتوه استطاعت أن تصور خلفية اللقطة، وفيها بعض من عمال الكهرباء، وهو قد استطاع إفراغ الشريط وحمله إليها لتراه، فجذبت فدوى مصطفى من يده بشدة كاد أن يسقط فيها منكبًّا على وجهه ليشاهد معها اللقطة في حجرة في قصرها مجهزة لمشاهدة الأفلام قبل طرحها على شاشات السينما، وما أن تم عرض الفيلم حتى صاح مصطفى، وأشار على عاملين خلف الكاميرات، وقال:

– ده حسن اللي سمعته بيتكلم، وده صاحبه، همه دول يا فدوى هانم اللي شوفتهم وسمعتهم.

فعمل المخرج على إيقاف الصورة وتكبيرها مرات ومرات، وسأل مصطفى:

– أنت متأكد؟

فأكد له مصطفى كلامه، فنادت فدوى بعصبية ثيرانها البشرية، وطالبتهم بأن يأتوا بهذين العاملين من تحت الأرض بأي شكل، فقام مصطفى ليغادر فاستوقفته فدوى وقالت:

– وأنت يا مصطفى هتفضل هنا معايا عاوزاك، لسة الموضوع ما انتهاش، وكمان أنا عاوزة أكفأك على إنك أنقذت حياتي لتاني مرة.

فتردد مصطفى ونظر حوله لا يعرف ماذا يفعل، وماذا يقول، فسبقته النجمة ونادت على الخدم عندها في القصر، وأمرتهم أن يجهزوا له غرفة في حديقة قصرها

ليقيم فيها، ولم تعطه فرصة للرفض، وأمرت الطباخين أن يأتوه بالطعام في حجرته الجديدة، وتركته حائرًا ومضت بعد أن أمرته ألا يغادر البيت قبل أن تعود.

وأكرم الخدم مصطفى، وأغدقوا عليه من خير النجمة الوفير، فأكل وشبع، ودخل غرفته الأنيقة في حجرة قصرها، ونام ولم يدرِ بالدنيا من شدة تعبه، وقام على صوت صخب مجنون وموسيقى وضحكات وأصوات عالية، فخرج من حجرته ليتبين الأمر، فوجد زمرة من نجوم السينما وقد تجمعوا في حفل حول حمام السباحة في قصر النجمة؛ لتثبت للجميع أنها ما زالت قوية، وأن الأمر لم يؤثر فيها، ولكي تستثمر الموضوع كإعلان مجاني لها على صفحات الجرائد والمجلات وبوستات الفيس بوك رغم أنها كانت في أضعف حالاتها، فقد ضاعفت عدد الثيران البشرية المسماة بالبودي جارد الذي يحمونها.

وارتدت فدوى فستانًا أنيقًا مثيرًا أظهرت فيه سحرها وفتنتها، واستسلمت لكل الكاميرات والموبايلات أيضًا، وغذت غرورها وبارانويا مرضها النفسي بكلمات الإعجاب، وآهات الشوق المكبوت في العيون النهمة.

أما مصطفى فقد أطل من بعيد من نافذة حجرته بالحديقة الخاصة على العالم الساحر المزكرش بالأواني والأصباغ، منبهرًا فاتحًا فمه وعينيه لا يصدق كل هذا الكم من هولاء النجوم، ببدلهم الأنيقة، وفساتينهم المكشوفة، وما أن لمحته فدوى حتى أشارت له بيديها لتضفي على الحفل إثارة وفضولًا، فأتاها مهرولًا، فجذبته من يده لتراقصه، حتى كاد قلبه أن يقف من هول السعادة، فلم يكن حتى في أحلامه

يجرؤ أن يتخيل فدوى هانم بين ذراعيه بأناقتها وسحرها وعطرها الذي ينتشر حولها أينما ذهبت، وخصلات شعرها الذهبية وهي تتطاير فتداعب خديه في حلم لم يجرؤ مصطفى أن يحلم به.

وتجمع حولها كل الصحفيين والفنانين والفضوليين يريدون أن يسمعوا مصطفى بعد أن قرءوا في الصحف والمجلات ما قيل على لسانه، وبعضهم اتهمها بالجنون لأنها تؤوي في بيتها هذا الرجل المشكوك في أمره وفي كلامه، ومصطفى منبهرٌ غامض وصامت يعطيك إيحاء بأنه حويط، قليل الكلام، ولكنه في واقع الأمر خائف مرتجف مرتعش، مبهور بالعالم الملون الذي استيقظ فوجد نفسه فيه.

وفي تلك الليلة راقص مصطفى معظم فنانات الحفل، بعضهن راقصنه تسلية ومزاحًا، والبعض الآخر فضولًا وحشرية؛ ليسمعن منه قصة الاغتيال المزعوم ويتأكدن من صحته وصوابه، لكن مصطفى ظل غامضًا صامتًا، مما أثار جنونهن، وما استفزهن منه أكثر تمنعه من شرب المنكر الذي كان المشروب الرسمي للحفل، وانتهت الحفل بعد شروق الشمس، وبعد أن رقص توتو، وغنى ميمى، وصفق لهم شوشو، ولم يكن توتو وميمى وشوشو راقصات أو ممثلات، بل كانوا منتجين ورجال أعمال ممن لهم اسم وصيت في عالم المال والأعمال.

وعاد مصطفى لحجرته غامضًا صامتًا أيضًا، وكأنه شاهد كل علامات الساعة مجتمعة في حفل النجمة المزعوم، فالنجم لا يحاسب أمام الكاميرات والأضواء، ولكن خلف الكاميرا وأمام الواقع شيء آخر قد يصدم من يشاهده أو يبهره، وقد

انتاب مصطفى الحالة الأولى من الصدمة رغم فرحته برؤية النجوم والنجمات، والحديث معهن، بل ومراقصتهن أيضًا، وتمنى لو قابل نادية ليحكي لها ويتمنظر عليها بما رآه وما سمعه في الحفل، ونام مصطفى واستيقظ في الصباح على حالة الطوارئ التي تتلو نبأ قدوم شخصية مهمة جدًّا للقصر لمقابلة النجمة.

وتقدم الجنايني من غرفة مصطفى، وطرق بابه بقوة، وبلغه أمر النجمة بالمغادرة والعودة بعد ساعتين من الزمن بعد أن ينصرف الشخص المهم الذي تستعد النجمة لاستقباله، وكان مصطفى يشعر بصداع وتعب في سائر جسده من جراء تلك السهرة التي لم تكن تخطر له على بال، فما كان منه إلا أن قال للجنايني:

– هو إيه ياخويا أصله ده؟ تعالى يا مصطفى اسكن في القصر، روح يا مصطفى من القصر، ده بيسموه إيه ده؟

فقال له الرجل:

– امال احنا نعمل إيه؟

– وأنتم إيه اللي مصبركم على الغلب ده؟

– أكل العيش، أصل الست مغرقانا في خيرها، كسوة وأكل وفلوس، واحنا أصحاب عيال.

– طب وأنت بتمشي بتروح فين الساعتين دول؟

- ولا حتة، ساعات أعمل نفسي خرجت وأدخل أوضتي وأقفل الباب عليا وأطفي النور وكأني مش هنا، حد يعني هيسأل فيا ويهتم بيا موجود ولا مش موجود؟

- يعني أنت هتدخل أوضتك دلوقتي؟

- لا، عندي كام مشوار كده فرصة هروح أعملهم وآجي، وأنت كمان شوف وراك إيه روح اعمله وتعالى.

فقال مصطفى في سره:

- لا، وأروح ليه وآجي ليه؟ أنا أحسن حاجة أطفي النور وأعمل إني خرجت، يعني هو مين هيسأل عني وييجي يشوفني.

وأغلق مصطفى النور والباب، وعاد لفراشه، وأكمل نومه الهانئ، وخلت الفيلا سوى من النجمة وبودي جارد واحد بقي ليستقبل الشخصية المهمة، ويغلق خلفها باب القصر، ويبقى منتظرًا في الخارج، ودخلت فدوى لتأخذ حمامها، وتستعد لاستقبال ضيفها، وما أن دخلت في مغطس بانيو حمامها وغمرتها المياة الدافئة والصابون حتى ظهر أمامها شبح ملثم، وأشهر في وجهها سلاحًا، وأمرها ألا تصدر صوتًا، فبقيت صامتة خائفة مرتعشة، وقبل أن يقترب الشبح بنصل سلاحه من رقبتها سمعت الضيف المهم يناديها من خلف باب حمامها الموجود في غرفة نومها لتخرج له؛ لأنه اشتاق لها، حتى أنه جاء قبل ميعاده بساعة كاملة؛ لأنه لم يستطع

الانتظار، فحمله الشوق وطار إليها قبل موعده، فلم تجبه فدوى التي كانت تحت تهديد السلاح، فناداها ثانية، ولما لم تجبه النجمة من وراء باب حمامها هذه المرة أيضًا قرر أن يدخل لها بنفسه، وما أن أمسك بمقبض الباب ليحركه، ويدخل حتى صرخت فدوى بذعر ورعب، ونادته أن ينقذها، ففتح الباب، وما أن لمح الشبح الملثم حتى ارتبك وصاح وفر هاربًا، وتركها لمصيرها وحدها، وجرى وراءه البودي جارد لما رآه بهذه الحالة ؛ ليساعده ويتقرب منه، فترك مكانه على باب النجمة، وركض خلف الشخصية المهمة يناديها ويطمئن عليها، وظلت فدوى تصرخ وتصرخ بلا مجيب.

فضحك الشبح الملثم ونظر نحوها وقال:

- دلوقتي مفيش غيري أنا وأنتِ، ولا خدمك ولا فتواتك، ولا حتى الراجل المهم اللي أنتِ بتتحامي فيه هينقذك مني، خلاص يا فدوى، جه وقت لازم نتحاسب فيه وكل واحد ياخد حقه.

- خد كل فلوسي ومجوهراتي وسيبني أعيش.

فضحك وقال:

- ولا أموال الدنيا تهمني، أنا عاوز عمرك، زي ما ضيعتي عمري لازم أضيع عمرك.

- أنت مين؟ أنا ما أعرفكش.

فضحك وقال: هوريكي يا فوفو أنا مين؛ لأن دي آخر ساعة ليكي في عمرك، واللي محكوم عليه بالإعدام لازم يجيبولوا آخر طلب يطلبه، ودلوقتى هتعرفي أنا مين.

ومد يده، وقبل أن يخلع اللثام عن وجهه كان مصطفى قد اقتحم الحمام على أثر صوت صراخ النجمة، فقد كان نائمًا لا يبالي بشيء حتى سمع أول صرخاتها، فانتفض من فراشه لا يعرف ماذا يفعل، وما الذي يحدث في القصر، وما أن نظر من خلف نافذته حتى رأى الشخص المهم يفر هاربًا، ووراءه البودي جارد؛ ليحميه هو ويهدئ من روعه، حتى شعر أن شيئًا غير مريح قد وقع، وعندما توالت صرخات النجمة تأكد أنها في خطر، فدخل القصر الذي كانت أبوابه مفتوحة على مصراعيها بعد هروب الرجل المهم الجبان.

واستعان مصطفى بخياله السينمائي، وبالمشاهد الأكشن التي يراها في البلاتوه أثناء التصوير، واقتحم غرفة مكتب النجمة؛ ليبحث عن مسدس، فعلى حد علمه أن الأثرياء لا بد أن يقتنوا الأسلحة النارية من باب الوجاهة والثراء، وليس دفاعًا عن النفس كما يظن البعض، فمهمة الدفاع يتولاها فتواتهم الملقبون بالبودي جارد، ولم يدُم تفتيشه طويلًا، فقد وجد أكثر من سلاح، فحمل واحدًا وصعد إليها غير عابئ بما يمكن أن ينتظره، واقتحم الحمام، وأشهر السلاح في وجه الشبح الذي فر هاربًا هو الآخر، وقفز من نافذة الحمام على سور القصر، وانهارت فدوى، ولعنت مصطفى على تأخيره بدلًا من أن تشكره على فعله، فهدأها ومضى ليتركها ترتدي ملابسها، فنادته بعصبية ألا يتركها وحدها، وقامت مذعورة تتشبث به، وخرجت فدوى

النجمة المثيرة الجميلة من البانيو كما ولدتها أمها ومضت نحو مصطفى تبكي، فما كان منه إلا أن نظر بعيدًا عنها، ومد يديه وحمل إليها بشكيرها لتستر جسدها، ولكنها تلكأت ولم تأخذه منه، كانت تريد أن تغادر الحمام بأي وضع وأي صورة، ولم يكن يشغل بالها وضعها هذا على الإطلاق، فمد مصطفى الشهم الشجاع يديه ووضع البشكير غطاء على لوحة جسدها الجميلة دون أن يرفع نظره نحوها أو ينتهز الفرصة ويتطلع إليها.

وخرجت فدوى تبكي وترتجف، وارتمت على فراشها ترتعش، فمضى ليحضر لها كوبًا من الليمون؛ ليطفئ به خوفها، فنادته:

- أنت رايح فين وسايبني؟ ما تسيبنيش لوحدي، ما تسيبنيش لوحدي يا مصطفى.

- أنا كنت هجيبلك عصير ليمون تهدي بيه أعصابك يا هانم.

- ليمون إيه وزفت إيه؟ أنت فاكرنا بنمثل في السيما دلوقتي؟ أنا مش عاوزاك تسيبني، أنا خايفة اوى اوعى تسيبني، أنا لازم أبلغ البوليس، أنا هكلم البوليس، هاتلي التليفون يا مصطفى.

- أيوة، وتنهاري وتسافري برة تتعالجي وأتنفخ أنا في القسم أسئلة واتهامات، مش كده؟ ما هو أنا يا هانم كل ما أنقذك أتوحل أنا ويطلع عين أهلي وأهل اللي جابوني ولا مؤاخذة.

فضحكت فدوى لكلامه رغم خوفها، وأمرته أن يجلس بجوارها، فرفض وظل واقفًا وهو يقول لها:

- ما يصحش يا هانم، اهدي أنتِ بس وكل حاجة هتبقى تمام.

نظرت فدوى لمصطفى وقالت:

- كلهم جبناء، كلهم اتخلوا عني وسابوني حتى إسماعيل الباجوري جرى وسابني أموت، كلهم كلاب، كلهم كلاب.

- إسماعيل الباجوري ده اللي بيطلع في التليفزيون وفي الجرايد؟

- أيوة هو الزفت ده بعينه، متجوزني عرفي وخايف على اسمه وسمعته لحد يعرف ويطلع من الوزارة والحزب بفضيحة، فكل ما ييجي يزورني يطلب مني إني أطرد الناس كلها علشان محدش يشوفه، وآدي النتيجة، كنت هموت قدامه ولا سأل فيا، ولا فكر حتى يطمن عليا.

فقال مصطفى بطيبة وسذاجة رجل بسيط شريف:

- وأنت إيه اللي يخليكي تعملي في نفسك كده يا هانم؟

- قبلت بيه وبالوضع الزفت ده علشان خاطر يحميني.

- ازاي يحميكي وهو بيزورك زي الحرامية؟ طب وليه ما تتجوزيش راجل يحبك ويحميكي ويفضل جنبك يضلل عليكي؟

– علشان كلهم كلاب، كل اللي حواليا كلاب، مفيش راجل فيهم عرفته إلا لما طمع فيا أو استغل جمالي، كلهم كسبوا من ورايا كتير، وأنا خسرت نفسي.

ثم تطلعت إليه وقالت:

– عارف يا مصطفى؟ أنت الراجل الوحيد اللي مبصش ليا بصتهم دي مع إن كان عندك الفرصة دي أكتر من أي واحد فيهم.

قال لها مصطفى بصدق وقوة:

– أعوذ بالله يا هانم، أنا بخاف من ربنا، ثم أنا بني آدم مش حيوان، وأنتِ مهما كان حرمة ضعيفة، محتاجة اللي يحميكي ويقويكي مش اللي يطمع فيكي، بس اهدي أنتِ بس وكل حاجة هتبقى تمام.

ومضى الوقت سريعًا حتى امتلأت الفيلا من جديد بالخدم والحشم، ومازالت فدوى متشبثة بمصطفى، وطلبت خادمتها البوليس الذي حضر ليحقق في الواقعة، واتجهت الشكوك من جديد نحو مصطفى، رغم نفي فدوى أن يكون لمصطفى أي علاقة بما يحدث لها سوى الصدفة البحتة فقط، وخضع مصطفى لتحقيقات مكثفة كادت أن يعصروه فيها ؛ ليخرجوا منه عصيرًا مصفى من الأجوبة حتى أرهق إرهاقًا شديدًا، فعطف عليه السادة المحققون بعد ثلاث ساعات من التحقيقات، وتركوه ليعود إلى حجرته في الحديقة الخلفية للقصر، ولكن فدوى منعته وأمرت أن تجهز له

غرفة في حجرة ملاصقة لحجرتها حتى يكون بالقرب منها، فقد بدأت تشعر بعدم الأمان في غير وجوده، فامتثل مصطفى لأوامرها التي كانت أكبر من كل أحلامه.

وقررت فدوى أن تكافئه وتعطيه دورًا أكبر في فيلمها الذي حرمته من أداء مشهده الثاني فيه، وحذفت مشاهد الساعي، واخترع لها السيناريست بناء على رغبتها مشهدًا لرجل أعمال كبير يعقد مع شركتها صفقات كبيرة تستغرق أكثر من مشهد طبعًا على حساب القصة والمضمون للفيلم الذي ليس له مضمون أساسًا.

وأصبح مصطفى مشرفً ملاصقًا لها في كل أوقاتها، في بيتها حجرته كانت بجانب حجرتها، لا تنام قبل أن تطمئن لوجوده فيها، ولا تذهب إلى الاستوديو إلا وهو معها، واستبدلته بالثيران البشرية التي تحميها، وكان وجوده وحده كفيلًا بإشعارها بالراحة والأمان.

واستبدلت فدوى بنطلون مصطفى المسطر، وقميصه الكاروهات ببدل جديدة من أحدث موديل من ماركة بير كاردان وفيرزاتشي، على حساب المنتج بالطبع الذي لم يكن يجرؤ على أن يرفض طلب لدجاجة السينما التي تبيض له ذهبًا على شبابيك الإيرادات من جيوب المراهقين والتافهين.

وجرب مصطفى دخول الاستوديو من مدخل النجوم لأول مرة في حياته، ورأته نادية من بعيد، وفرحت به وجرت عليه تهنئه وتدعو له بالتوفيق، فنظر لها من طرف عينه وقال لها:

– صدقتِ بقى موهبتي وإني لازم كنت هطلع سلم المجد في يوم؟ ولسة يا نادية ياما هتشوفي مني.

– الصراحة ياخويا أنا مكنتش مصدقة، والصراحة أكتر بردو أنا لسة مش مصدقة، بس نقول إيه؟ ربنا قادر على كل شيء.

ضحك مصطفى من طرف أنفه كما النجوم وقال لنادية:

– هكلم المنتج يبقى يديكي دور في فيلمنا الجديد.

– الله الغني عنك وعن المخرج بتاعك يا مصطفى، ده كل أدواره لأي ست إن شالله يا رب تكون كلبة ولا قطة معدية في البلاتوه عنده لازم تطلع رقاصة ولا فتاة ليل، ولا حتى واحدة مغتصبة.

– كده بقى يبقى أنتِ مش واثقة في إمكانياتك التمثيلية.

– ما هي دي الإمكانيات التمثيلية اللي لازمة المنتج بتاعك، وبالنسبة لي ولا مؤاخذة يا مطصفى ياخويا يلعن أبو الفن والشهرة اللي تبيعني نفسي واحترامي لذاتي.

وقبل أن تكمل نادية كلامها ظهرت فدوى، ونادت على مصطفى بصوتها المليء بالنعومة والأنوثة، فترك مصطفى نادية تحدث نفسها وجرى على فدوى، فنظرت عليه نادية من بعيد، واستعوضت الله في حبيبها الذي خرج من ردائه البسيط ذات يوم، وتيقنت تمامًا أنه لن يعود، ومثل مصطفى مشاهده المبالغ فيها بتمثيله المبالغ فيه إكرامًا لعيون النجمة، وعاد معها للبيت ليستريحا وسط حسد وتساؤل كل العاملين

في البلاتوه والوسط الفني كله، عن ماهية مصطفى، وإمكانياته وكينونته في حياة النجمة، ومن أين له بهذه الثقة وهذا الحظ.

وكانت النجمة ممنوعة من الخروج للزحام أو تغيير خط سيرها من وإلى الاستوديو، ومن وإلى بيتها، فكانت تعود للقصر، فتتناول غداءها أو عشاءها وتدخل لحجرتها لا تخرج منها إلا لليوم التالي، كانت حياة مملة، وكان كل من يدخل للفيلا يخضع لتفتيش أكثر بكثير من ذلك الذي يفتشونه في المطارات للعابرين من المشتبه فيهم، وكان مصطفى ملاصقًا لها في الغرفة المجاورة يتناول طعامه هو الآخر وحده، ثم يصعد غرفته يعاني زهقًا ومللًا من النوع الفاره الأنيق، حتى ينام على فراشه الوثير ووسادة من ريش النعام، وكان ممنوعًا من المغادرة، ممنوعًا من الحركة إلا بأمر من النجمة، وذات ليلة دق باب حجرتها، وحدثها من خلف الباب يطلب منها إذنًا بالمغادرة لساعة من الوقت، ففتحت له الباب وقالت:

- أنت مش عارف إنك مينفعش تمشي وتسيبني ؛ وراك إيه يعني؟ ورايح فين أحسن من هنا؟

تردد مصطفى وانتقى كلماته قبل أن ينطق بها حتى لا يغضب فدوى، وقال:

- الصراحة يا هانم زهقان، كل حاجة حلوة في القصر، بس من غير روح ولا حياة، عاوز أروح أشم شوية هوا في حارتنا وآجي على طول، وأستأذنك لو سمحتِ سيبيني أخرج.

وأخذ يتوسل لها من خلف الباب .

ففتحت له ونظرت له النجمة بغطرسة وقالت بعصبية:

- أفندم؟ يعني القصر ده كله مفيهوش هوا يعجب سعادتك ولا أكسجين يكفي جنابك؟

فاعتذر لها مصطفى وقال:

- حضرتك أنا عاوز أشوف الناس، وأتحرك بحريتي، وأقعد بطريقتي، وآكل الأكل اللي نفسي فيه، وأتكلم مع حد يفهمني، كل حاجة في قصرك يا هانم رائعة وبديعة، بس بقواعد وأصول، أنا اتخنقت منها، ونفسي آخد منها إجازة ساعة ولا اتنين لو سمحتِ.

فنظرت له فدوى وسرحت بتفكيرها وقالت:

- بردو أنت عارف إنك مينفعش تسيبني، لازم تفضل معايا.

- خلاص تعالي معايا أنتِ.

فضحكت وظنته يمزح، فقال لها:

- والله العظيم أنا بتكلم بجد، هعزمك على أكلة كباب عند عم عكاوي الفحل هتحلفي بيها طول عمرك.

- ازاي يعني وأنا ممنوعة من الخروج؟

- اتنكري في لبس خدامة من خداماتك ونخرج من باب المطبخ وأنا معاكي.

- بردو ازاي وأنت كمان ممنوع من الخروج؟

- تتصلي دلوقتي بالسيكيورتي والحرس اللي على الباب وتقوليلهم إنك بعتاني مع واحدة من خدمك نجيبلك حاجة، ولا نقضيلك مصلحة وراجعين على طول.

ففرحت فدوى بالمغامرة، وأسرعت إلى تليفونها وحدثت الحرس، وتركها لترتدي ملابس التنكر التي هي عبارة عن عباية سوداء، ورابطة شعر سوداء من نفس لونها وتطريزها، ومضت معه وقلبه سعيد بالمغامرة، وخرجا من باب القصر، وركبا تاكسي ومضيا لحارة من حواري مصر القديمة، وفدوى معه تتلفت حولها تنظر من شبابيك السيارة على الحياة التي تمثلها ولا تعيشها، واستأذنها مصطفى أن يجلب معهما نادية، فوافقت النجمة على الفور، فطلب نادية على موبايلها فنزلت له مسرعة، وركبت معهما التاكسي، ومضوا إلى حيث قضاء السهرة الموعودة.

وتساءلت نادية عن المرأة الأخرى التي مع مصطفى، فقال لها:

- دي محاسن، واحدة قريبتي من البلد جايبها معانا أفسحها.

فنظرت لها نادية من أسفل لأعلى وقالت:

- أهلًا يا محاسن، ما هي أصل ناقصاكي أنتِ كمان يا ست محاسن.

ونظرت نادية لمصطفى وقالت:

- أظن بقى أنت اليومين دول متريش على الآخر، فهطلب لوحدي كيلو كباب وجوزين حمام.

فقال لها مصطفى:

- إيه الافترا ده كله؟ ليه؟

فضحكت نادية، وقالت:

- ما أنت لسه قايل، أهو افترا، وبعدين اللي مش هاكلوا هلفه وأخده معايا البيت، ما هو أنا لازم أستغل فرصة رضا فدوى هانم عليك قبل ما يمسكوا السفاح اللي بيطاردها ويرموك برة القصر، ويستغنوا عن خدماتك، ولا أنت فاكر العز ده كله علشان سواد عينيك؟ يا ابني اللي بيدخل حياة الناس اللي زي فدوى فهمي دول بيدفع مش بيقبض، أي أي، إيه يا مصطفى؟ بتخبطني في رجلي ليه؟ إيه الهزار البايخ الرخم بتاعك ده؟

باغت مصطفى نادية محاولًا تصحيح الموقف قائلًا:

- أصل واحدة زيك كومبارس لازم تحقد على النجوم اللي زي فدوى هانم وتقول الكلام البايخ ده، امال هتقول إيه يعني يا حتت كومبارس؟

- أنا كومبارس آه، بس بحترم نفسي، وبقدر قيمتها، اللي عاوز يديني دور أبين فيه مواهبي وقدرتي على التمثيل هيلاقي قدامه ممثلة جامدة اوى، أما اللي عايز يستغل مواهبي في الرقص، وفي لبس العريان، فأنا أرفض مجرد إني أتعامل معاه، وللأسف كل اللي صادفوني كانوا من نوعية منتجين فدوى بتاعتك دي، أي أي، إيه يا مصطفى؟ كسرت لي رجلي يا أخي.

ثم نظرت لفدوى وقالت:

- بذمتك يا محاسن يا أوختشي اللي بتقدمه فدوى ده فن ولا ابتذال؟

فقام مصطفى وجذب نادية من شعرها وقال:

- ما تحترمي نفسك بقى وتخلي عندك شوية ذوق ودم، أنا غلطان إني جبتك أطفحك كباب، اللي قاعدة قدامك دي وبتسألها عن فن فدوى فهمي تبقى..

فقاطعته فدوى وقالت:

- خدامة الست فدوى يا نادية وقريبتها من بعيد.

فارتبكت نادية وقالت:

- أنا آسفة قوي يا محاسن، وأنا بردو بشبه عليكي، أنتِ فيكي شبه كبير قوي منها فعلًا، بس هي بقى لو مسحت مكياجها ولبست طرحة وعباية زيك كده هتبقى هي اللي خدامتك، أصل الناس دول زينة.

فقام مصطفى وجذب نادية من ملابسها وقال:

- غوري يا نادية من هنا، قومي روحي، خسارة فيكي الكباب والخروجة دي، أنا غلطان أصلًا إني جبتك معانا، داهية تاخدك.

فقالت فدوى:

- سيبها يا مصطفى، نادية ظريفة، وأنا حبيتها، وهي فعلًا بتتكلم صح.

فترك مصطفى زمارة رقبة نادية بناء على طلب فدوى هانم، وأكملوا سهرتهم، وتناولوا كباب عم كوراع الفحل بنهم شديد، ثم أكملوا السهرة على قهوة بلدي بجانب مطعم الكباب، وشربوا الشاي، وتكلموا في أحلامهم. وقالت نادية:

– عارفة يا ست محاسن أنا لو كنت نجمة كنت اتبرعت بجزء من ثروتي لصالح الناس الغلابة، أو كنت على الأقل عملت أفلام بتشرح معاناتهم، واخترت مواضيع تهمهم..

فقال مصطفى:

– طبعًا أنتِ بتقولي كده علشان عارفة إنك عمرك ما هتبقي نجمة، ولا هيكون عندك ثروة، علشان قال إيه تتبرعي بجزء منها، وأنتِ بتكملي عشاكي نوم من الجوع.

فردت نادية:

– معلش يا ست محاسن، أصل مصطفى بقى روبرت دينيروا امبارح بالليل واحنا نايمين وما نعرفش، ما تخف علينا يا عم النجم، ده أنت أول امبارح الصبح كنت ساعي في نفس الفيلم اللي أنت عاملي فيه رجل أعمال وبتدخن عسلية، ولا تكونش صدقت روحك يا مصطفى؟ ده أنت أكلت كام علقة من تحت راس فدوى فهمي اللي أنت بتدافع عنها دي واتنفخت في القسم واتكسحت تلات أسابيع محدش قالك أنت فين، غيرش بس ربك العاطي سترها معاك علشان يختبرك لما يبقى معاك قرشين هتعمل بيهم إيه؟ أصل الحكاية يا ست محاسن إنه..

فوضع مصطفى يده على فم نادية وقال:

– ممكن تقفلي بقك ده شوية الله؟ يخرب بيت اللي شار عليا أجيبك معانا يا شيخة.

فضحكت فدوى وقالت:

– سيبها يا مصطفى تقول اللي هي عاوزاه، أنا مش متضايقة خالص من كلامها، هي معاها حق في كل كلمة قالتها، وأنا هفكر في كلامك ده وأوصله للست فدوى.

فرد مصطفى:

– أنا آسف جدًّا يا هانم، آدي أخرة اللي يعرف أشكال زي دي، ما تستروش وتخلي رقبته قد السمسمة، قدامي يا نادية، قدامي أرجعك مطرح ما جبتك، أنا أصلًا غلطان إني جبتك أطفحك معانا كباب، أنتِ أخرك ساندويتش بدنجان على عتبة بيتكم، ده لو حبيتي تغيري هوا البيت يعني، وكمان ممكن تعملي فضايح على العتبة، قومي يلا، قومي علشان وراكي غسيل الصبح ولازم تنشريه بدري علشان يلحق ينشف.

فضحكت فدوى، وقامت نادية غاضبة وقالت:

– أنا ماشية يا عم النجم مروحة؛ لأني فعلًا اتأخرت، وفعلًا عندي كومة غسيل بكرة، بس لازم تعرف كويس قوي إن الأشكال اللي مش عاجباك دي واللي أنت واحد منهم، أنضف وأشرف من أشكال كتير متزوقة وبتبرق من برة وهي من جوة منها خرابة كبيرة.

فرد مصطفى:

– شكرًا على المعلومة يا ست الفيلسوفة، ممكن بقى تهوينا دلوقتي وتتفضلي بقى بالسلامة؟ ويا ريت تبلعيلك شوية كلور ولا بطاس مغلي قبل ما تنامي يمكن يغسل لسانك الزفر ده وينضف قلبك الحقود شوية؟

ومضت نادية غاضبة، وانحنى مصطفى على النجمة يعتذر لها عن كلام نادية أم لسان فالت، وقلب حقودي، فلم تتمالك فدوى نفسها، وانهارت تبكي وتقول:

– نادية معاها حق، أنا فعلًا من جوايا خرابة مفيهاش ولا حتة سليمة، كلها بقايا أشياء مكسورة، ومستحيل ترجع سليمة من تاني، أنا اللي زيي لازم يموت ويتقتل ألف مرة يا مصطفى.

وحكت فدوى لمصطفى عن الرجل المهم الذي يأتيها سرًّا وتطرد كل من في القصر من أجله حتى لا يتعرفوا على شخصه؛ لأنه شخصية سياسية كبيرة ومعروفة، وهو ممن يحركون الأحداث والأشخاص في البلد، وما يربطها به قديم جدًّا، فهو أول من وقف في ظهرها واشترك في تلميعها وجعلها محط مقالات الصحافة، وبرامج التليفزيون، وأعطاها حصانة من الرقابة حتى تبدع في أداورها، وتتحول من بطلة للكبار فقط لبطلة للكبار جدًّا جدًّا فقط، وفي المقابل استغل جمالها في الإيقاع بشخصيات، والتقرب لشخصيات أخرى، وعمل صفقات تجارة واسعة لمن يريد أن يشتري، ولمن يريد أن يبيع.

فقال مصطفى بتعجب:

- ياااه، وهو في حد يعمل في مراته كده يا هانم؟

فسالت دموع صادقة من عين فدوى وهي تقول:

- ومين قالك إن أنا مراته؟ أنا حتى ورقة العرفي رفض إنه يديني شرف إني أتنسب له حتى بورقة، وخاف اللي بيعمله في الناس يتقلب عليه، وحد يستغل الورقة دي ضده.

- وأنتِ ازاي تقبلي كده؟

- وكنت ممكن أقبل أكتر من كده كمان، أنا جيت غريبة من بلدي العربي، كنت هربانة من أهلي ومن فقري، وكنت عاوزة ألمع وأطلع، وأبقى نجمة كبيرة، وكنت متخيلة إن الغاية تبرر الوسيلة، وإني لما أبقى نجمة كبيرة ساعتها هقدر أطهر نفسي وأختار طريقي وأصلح مساري، بس صعب ومستحيل كمان إن اللي انكسر فيك وإن اللي مات جواك يقدر يرجع للحياة من تاني.

وبكت وقالت بكلمات صادقة:

- أنت إنسان طاهر وبريء، اوعى تبيع نفسك يا مصطفى تحت أي سبب، محدش هيشتريك يا مصطفى لو أنت بعت نفسك.

فربت مصطفى على كتفها وقال:

- تقدري تتخلصي من كل ده، وتطردي الناس دي كلها من حياتك، حاولي وهتقدري.

فضحكت فدوى وقالت:

– تعرف الراجل اللي كان عاوز يموتني في الحمام ده يبقى مين؟ ده يبقى أول واحد باعني في السوق، وعلمني ازاي أبقى سلعة غالية، ده اول واحد قابلني في الطيارة، وأعجب بجمالي، ووعدني بالنجومية والشهرة اللي كانت في صالة درجة تالتة في ملهى ليلي قديم، وكتب معايا عقد احتكار، ووعدني إنه يوصلني، بس أسمع كلامه، وسمعت كلامه، واشتغلت معاه، وكسب من ورايا كتير، وأنا خسرت معاه كتير، وكل ما كنت بحاول أهرب منه كان يهددني بالعقد، ويرجعني بالقوة، لحد ما قدرت أوصل للي أكبر وأقوى منه، وخلصني منه، وولع له في الصالة، ولفق له تهمة كبيرة دخل فيها السجن ١٥ سنة، واديته المقابل اللي كان عاوزه، وفضلت معاه لحد ما وصلت للي أكبر منه، واللي أكبر وأكبر، يعني أنا أعدائي كتير، ولازم حد كبير يحميني ويقف في ضهري.

– أنا جنبك ومش هسيبك يا ست فدوى، ابعدي أنت عن الناس دي وأنا هفضل جنبك وهحميكي.

فضحكت فدوى من كلامه ولم تجب، وعادا للقصر بنفس طريقة هروبهم، وصعدت لحجرتها، وأخذت حمامها، وحاولت النوم، ولكنها لم تستطع، وأخذت تفكر في كل ما حدث لها، وتعيد شريط حياتها غير السعيد، وهاجمتها الذكريات بشراسة لا ترحم، ونغزها بقايا ضميرها الذي أيقظه حديث نادية الكومبارس معها، فلم تدرِ إلا وقدماها تأخذانها لحجرة مصطفى، ودقت عليه الباب، فلم يجب، فقد

كان نائمًا في فراشه، وبدا بملامحه الطيبة الطفولية كملاك هبط في جهنم قصرها من دون ميعاد.

فاقتربت منه النجمة، وقبلته من رأسه، وداعبت خصلات شعره بيديها، وكأنها قررت فجأة أن تكافئه على شهامته وطيبته بأن تعطيه نفسها، فهو ليس بأقل من غيره الذين نالوها من قبل، فاستيقظ مصطفى مفزوعًا لا يدري ماذا يفعل، وماذا يقول، ولكنه تماسك واعتذر للنجمة، وقال:

- أنا آسف يا ست فدوى، أنا كنت نايم ما حستش بسعادتك، حضرتك تؤمريني بحاجة؟ أنا تحت أمرك.

فضحكت فدوى بهستيريا وقالت:

- أنا اللي تحت أمرك يا مصطفى.

وقفزت بجانبه على الفراش بدلال، وضحكت ضحكة رنانة لها مغزى ومعنى وهدف، فقام مصطفى من فراشه، ومضى بعيدًا في آخر الحجرة يتطلع إليها، مترجيًا إياها أن تتركه وشأنه، ولا تفتنه في شجاعته التي بدأت تخونه، وأعصابه التي بدأت تنهار، فقالت له:

- إيه؟ قمت وبعدت ليه كده؟ هو أنا مش عاجباك؟

فقال لها وعينه في الأرض:

- بالعكس يا ست فدوى هانم، أنت حلم لأي واحد على وش الأرض، بس سامحيني، أنا ما بقربش من الحرام، وما بحبش أعمل حاجة حرام.

فغضبت فدوى، واستعادت شخصية النجمة المغرورة المتغطرسة وقالت:

- أنت بترفضني يا متخلف أنت؟ ولا تكونش عاوز تتجوزني يا مصطفى بيه؟

فقال لها:

- العفو يا هانم، أنا بس بخاف ربنا، وما بحبش أغضبه.

فقامت فدوى غاضبة ونادت على الخدم في القصر وأيقظتهم من نومهم وقالت:

- حد يجيبلي ورقة وقلم بسرعة.

فأتاها الخدم بدفتر أوارق، وعلبة مليئة بالأقلام، كانت توقع بهم عقود أفلامها وزواجها أيضًا، وبكل بساطة كتبت بنفسها ورقتي زواج عرفي، واحدة لها وواحدة له، ومضت بإسمها الحقيقى وأمرته أن يوقع باسمه، فأمسك القلم الذي من شدة اضطرابه وقع منه، فانحنت فدوى بدلال وتناولت القلم وأعطته لمصطفى، وهي تداعب يده وتبتسم له، فارتبك وكاد يوقع القلم من جديد، ولكنه مد يده ووقع الورقة بيد مرتعشة لا تعرف ماذا تصنع، ثم أمسكت تليفونها واعتذرت للمنتج عن التصوير؛ لأنها مسافرة لوالدتها المريضة، وأمرت الخادمة أن تجهز لها ملابسها وملابس مصطفى، وامتثلت الخادمة لأمرها وكأنها معتادة على مثل تلك المفاجآت التي بدت عادية جدًّا في القصر، وجهزوا لها السيارة الجيب، وانطلقت بمصطفى

بعيدًا رغم تحذيرات الأمن لها بعدم المغادرة، لكنها لم تمتثل، ومصطفى صامت غامض لا يتكلم ولا يعرف بماذا ينطق إذا تكلم، وأخذته لفيلتها التي بدت كالقلعة الحصينة على صخرة عالية في الساحل الشمالي، واحتفلت بزواجها، وغاصت في بحر عسل أعطت مصطفى فيه بعضًا منها، وامتصته هي كله برجولته وبراءته وقلة تجاربه، وشبابه وعفويته، وزادت فدوى جمالًا على جمالها بعد أن تفتحت وردة مشاعرها على يد بستاني شاب من عمرها، بعد كل ما مر عليها من شيوخ وكهول متصابين، وأحبته وذاق قلبها الحب لأول مرة، حبًّا حقيقيًّا عفويًّا، بلا مصلحة ولا هدف، غير الحب والارتواء من الحياة والسعادة، ورحيق الشباب النابض في عروق مصطفى الفتى القوي.

أما مصطفى فكانت فدوى أكبر من كل أحلامه وآماله، وكانت أقصى طموحات حياته أن يقف أمامها في دور أو يحظى بالجلوس بالقرب منها في بلاتوه، واستيقظت فدوى وزوجها في الصباح على خبر يزف لها نبأ أنهم استطاعوا القبض على الرجل الذي حاول قتلها، واعترف بكل محاولاته، وأنها من الآن تستطيع أن تعيش حياتها بلا تهديد، وتمارس حريتها بلا خوف، وفرحت فدوى ومصطفى وعادا للقصر فرحين، واكملا تصوير فيلمهما، ولكن لا أحد يعرف بزواجهما بناء على طلب النجمة، إلا نادية، فقد حدثتها نفسها المحبة لمصطفى بأن شيئًا قد حدث بين فدوى ومصطفى أكبر وأقوى من مجرد محاولة أو محاولتي قتل أفشلهما مصطفى بشجاعته،

كانت تعلم أن مصطفى أصبح نزوة في حياة النجمة، لكنها كانت خائفة على قلب مصطفى ومشاعره، وانطفاء فرحة تطل من عينيه كلما رأته بجانب فدوى.

كانت فدوى كثيرة العلاقات المثيرة للجدل، بمن هم أعظم وأشهر وأغنى وأقوى من مصطفى، لذلك لم يكترث أحد ممن حولها لوجود مصطفى في حياتها، ووافقوا على تصديق كذبة أنه يلازمها؛ لأنه حارسها الشخصي، وبعد مضي يومين على القبض على سيد البنش الذي حاول قتل فدوى أكثر من مرة، وأثناء قيلولة فدوى ومصطفى فاجأهما تليفون من الشخصية المهمة يريد أن يحضر لمقابلتها في القصر، فوافقت فدوى، وأمرت الخدم بالانصراف، فتعجب مصطفى وقال:

- إيه اللي أنا بسمعه ده؟ أنتِ هتقابلي الراجل ده تاني يا فدوى؟ أنا مش مصدق وداني، أنتِ أكيد جرى لعقلك حاجة.

- هيجرى لعقلي حاجة فعلًا لو رفضت إني أقابله، أنت ما تعرفش الراجل ده ممكن يعمل فينا إيه؟

فغضب مصطفى وقال:

- وأنا بصفتي جوزك مش موافق، وهمنعك إنك تقابليه.

- مصطفى يا حبيبي، ما تخافش عليا، أنا هعرف أتصرف معاه، امشي أنت دلوقتي ولما ترجع هتلاقي الأمور كلها بقت تمام.

فنظر لها بتعجب غير مصدق، وقال:

– أنتِ عاوزاني أنا كمان أمشي وأسيب مراتي مع راجل غريب؟ أنتِ أكيد مجنونة، ده مستحيل يحصل أبدًا.

– مفيش وقت للكلام الكتير، الراجل زمانه جاي، وما ينفعش يشوفك هنا، اتفضل بقى لو سمحت.

فخبط مصطفى كفًّا بكف وقال:

– ما ينفعش يشوف جوزك معاكي، لكن ينفع إن جوزك يسيبك معاه عادي كده، أنتِ بتقولي إيه؟ أنت فاهمة أنتِ بتقولي إيه؟

قبل أن تكمل كان الرجل قد جاء، فترجت مصطفى أن يصعد لحجرته ولا يظهر حتى ينصرف الضيف، ويجب أن يثق فيها ويسمع ما تقول، وصعد مصطفى للحجرة مرغمًا والدماء تغلي في عروقه.

فدخل عليها الرجل المهم مهنئًا لها؛ لأنها أخيرًا استطاعت أن تتخلص من القاتل الذي حاول قتلها، وأخبرها كذبًا بالطبع أنه قد كان له دور كبير في القبض عليه، فضلًا عن أنه عندما تركها وانصرف لم يتركها خوفًا أو جبنًا، وإنما لكي يستدعي لها المساعدة، حتى أن هذا الرجل الذي يدعى مصطفى البودي جارد الذي يلازمها هو من رجاله، ويقبض منه لكي يحميها، لكنه يبقي الأمر سرًّا بينه وبين مصطفى هذا، فهزت فدوى رأسها وقالت:

– طبعًا طبعًا، كلنا عايشين في حمايتك وتحت رعايتك يا قاسم بيه.

فقال لها:

- لا، قاسم بيه إيه قوليلي يا كوكو زي زمان.

واقترب منها يحاول احتضانها، وانتظر مصطفى أن ترفض فدوى أو أن تدفع الرجل عنها، ولكنها لم تفعل، فخرج مصطفى غاضبًا، وقال:

- هي دي الثقة يا فدوى هانم؟ وهو ده التصرف اللي أنتِ هتتصرفيه معاه؟

فتطلع فيه الرجل وقال:

- أنت مين؟ وازاي تدخل علينا كده؟ أنت اتجننت؟ مين ده يا فدوى؟

فرد مصطفى:

- أنا يا كوكو بيه البودي جارد بتاع ست فدوى اللي أنت بتدفعله علشان يحميها، إيه؟ نسيتني بسرعة كده يا كوكو بيه؟

فقال الرجل:

- وازاي تدخل علينا كده؟ وازاي ما مشيتش مع الخدامين؟ ازاي يا فدوى؟ أنا قولتلك ألف مرة إن القصر لازم يفضى تمامًا قبل وصولي.

فقال مصطفى:

– من آخر مرة كنت فيها هنا وهربت وسيبتها لوحدها مع القاتل وأنا عرفت إنك راجل جبان، وأنا هنا بقوم بشغلي علشان أحميها؛ لأن اللي زيك بفلوسه وجاهه ما يعرفش يحمي ست مسكينة لما تستجير بيه في وقت شدة.

فصاح الرجل بعصبية وبغرور:

– أنا هوديك في ستين داهية، أنت مش عارف أنت بتكلم مين؟

فقال مصطفى:

– أنا فعلًا ما كنتش عارف، بس دلوقتي عرفت، أنت كوكو بيه، راجل جبان وعجوز متصابي، بتستغل اسمك وسلطتك وفلوسك في الفساد والإفساد، وبتحب الحرام، مع إنك راجل كبير ورجلك والقبر.

فخرج الرجل غاضبًا، يصيح ويلعن ويتوعد لمصطفى الذي التفت له فدوى وقالت:

– إيه اللي أنت عملته ده؟!

– اللي يعمله أي راجل حر، ولا أنت عاوزاني أسيب مراتي في حضن راجل غريب؟

– الراجل ده ممكن يدمرك ويقضي عليك، أنت ما تعرفوش.

– أنتِ اللي ما تعرفينيش يا فدوى، أنا صحيح واحد غلبان على قده كومبارس فاكر نفسه بطل، بس أنا من جوايا فعلًا بطل، اللي يدمرني ويقضي عليا إني أفرط في كرامتي وأخسر احترامي لنفسي، أنتِ بتحبيني يا فدوى؟

فقالت فدوى وهي ترتمي في أحضانه كقطة تحتمي بصاحبها:

- أكتر من أي حاجة في حياتي يا مصطفى.

قال لها:

- خلاص، يبقى تيجي معايا وتسيبك من حياة العهر والقرف دي، وترجعي معايا بلدنا، هناك لا حد يعرفنا ولا نعرف حد، عندي قيراطين نزرعهم ونعيش من خيرهم، وتنسي كل اللي فات من حياتك، ونبدأ من جديد.

فتركته فدوى وأعطته ظهرها وقالت:

- موافقة، بس سيبني كمان كام يوم أظبط أموري، وأجهز نفسي.

فقال لها:

- بجد يا فدوى؟

فقالت له:

- صدقني يا مصطفى المرة دي بجد.

فحملها وطار بها وهو يعدها بالسعادة، ثم تناولا عشاءهما معًا، وقضى الليل يرسم لها أحلامه البسيطة جدًّا، ويصف لها حدود دنياه الجديدة السعيدة معها، واستيقظ في الصباح فلم يجدها بجواره، ولم يعرف أحد طريقًا للنجمة، فلم تكن في بلاتوه التصوير، ولا في القصر، وحتى البودي جارد الثيران البشرية التي في القصر لم

يعرفوا لها مكانًا، وموبايلها مغلق ولا يجيب، وجن جنون مصطفى، ومضى يفتش عنها، وعادت آخر الليل متعبة، فسألها مصطفى:

- ممكن أعرف كنتي فين يا فدوى طول النهار؟

فقالت فدوى:

- أنا مش قولتلك يا مصطفى سيبني كام يوم أظبط حالي؟ أنا كنت بظبط حالي، وهقولك على كل حاجة بس الصبح؛ لأني هموت وأنام، وعلى فكرة، جهز نفسك علشان هتوقع بكرة بطولة فيلم وبمبلغ كبير كمان.

فقال لها:

- والسفر؟ أنتِ مش وعدتيني إنك هتيجي معايا البلد؟

قالت له:

- والاعتزال ده مش محتاج فلوس؟ لازم نشتغل فيلمين تلاتة وبعدين نعتزل مع بعض، وسيبني أنام بقى دلوقتي وبكرة نبقى نتفاهم.

وتركته ودخلت وغابت في نوم عميق، واستيقظ في الصباح فلم يجدها، فتعجب لغيابها، وتعجب أكثر حين سمع عن سقوط رجل مهم في الدولة في قضية فساد كبرى هو قاسم شكري «كوكو بيه»، فلم يرتح للخبر، وقرر أن يعرف أين تذهب فدوى، ولماذا تختفي، وما علاقة اختفائها بالخبر الذي تذيعه كل القنوات، وتتحدث عنه كل الألسنة، ونهش الشيطان عقله، وتصور مائة سيناريو، ومائة فيلم، وقطع

خياله الخصب تليفون من فدوى تخبره فيه أنها في البلاتوه تنتظره هي والمنتج والمخرج؛ لتوقيع عقد الفيلم، فلام مصطفى نفسه كثيرًا، وطار إليها في الاستوديو؛ ليزف إليها خبر وقوع كوكو بيه الذي يهدد حياتهم بخطورته، وجبروته، وقابلها وزف إليها الخبر، فاصطنعت فرحة باهتة لا تليق بحجم الخبر السعيد، والحدث الجلل، وقالت:

- تعالى وقع عقد الفيلم وبعدين نبقى نتكلم في الخبر.

فوقع مصطفى على العقد، وقبض أكبر مبلغ في حياته، غير مصدق ما هو فيه، حتى أنه نسي أمر سفره للبلد، وأحلامه للعودة بفدوى بعيدًا، فالفرحة حين تأتي على غير ميعاد تلغي وعودًا وتهدم مشاريع، وتبني أخرى في لمح البصر، وكانت قصة الفيلم الجديدة الذي سيلعب بطولتها مستوحاة من قصته مع فدوى في محاولات الاغتيال التي نجاها منها، أو بمعنى أوضح استثمار للأحداث والأخبار، ولفضول الجمهور لمعرفة ما حدث للنجمة اللامعة، والفرجة على الكومبارس الذي تحول إلى نجم بفضل شهامته، رغم افتقاره للموهبة التي تؤهله للنجومية.

وهنأه الجميع، وأقبلوا عليه يقبلونه، فلمح نادية من بعيد تنظر نحوه بأسف، وتتطلع فيه بحزن، ثم مضت وتركته، فلم ينادها رغم تعلق عينيه بها وهي تغادر، وعاد للقصر سعيدًا بالعقد، وبالشيك، وبالدنيا الجديدة التي فتحت أبوابها على مصراعيها له.

وجلس مع فدوى يبدي بلسانه فقط اعتراضه على تأجيل قرارهما بالسفر، أما قلبه فكان يزغرد بين ضلوعه، وكانت فدوى تشعر بذلك، وتتفهمه، ولكنها لم ترد إحراجه فقالت له:

– أنا كنت عاوزاك بس تثبت للناس كلها قدراتك كنجم كبير، وترجع بلدكم نجم، ولا أنت عاوز تخرج منها كومبارس؟ وترجع ليها كومبارس؟ وبعدين ما دام قاسم وقع وغار بعيد عننا يبقى إيه اللي يخلينا نستعجل وناخد قرارنا من غير ما نستعد له؟

فنظر مصطفى لها وقال:

– ما تعرفيش قاسم إيه اللي وقعه الوقعة السودا دي؟

فارتبكت فدوى وقالت:

هو ما عملش شوية، وأعداؤه كتير، وكان لازم دي تبقى نهايته، بقولك إيه؟ أنا عاوزة أحتفل بالمناسبة دي، عاوزاك تعزمني عند عم كوارع الفحل على جوزين حمام وكيلو كباب وكفتة، ونقول لنادية كمان تيجي تتعشى معانا، أنا كلمتلها المخرج يشوف لها دور معاك في الفيلم.

فشكرها مصطفى، وتنكرت فدوى وخرجت معه، ومرا على نادية، ونزلت معهما للعشاء وقضاء سهرتهم عند عم كوارع الفحل، وجلس الثلاثة بعد أن عرفها

مصطفى بشخص فدوى، وبقيت نادية طيلة العشاء صامتة سارحة لا تتكلم كعادتها، فقال لها مصطفى:

- أنتِ ليه الصبح ما جيتيش تهنيني يا حقودة يا أم قلب أسود زي بقية الزملا؟

- أعمل إيه في نفسي؟ ما هو أنا زي ما أنت قولت كده بالظبط حقودة وقلبي أسود.

- أجمل حاجة فيكي يا نادية إنك صريحة، ورغم صراحتك دي وطولة لسانك اللي ما أعرفش ماله النهارده، فدوى هانم عملالك مفاجأة كبيرة هتطلعي منها بقرشين كويسين، وهتديكي دور في فيلمها الجديد، وبكرة ممكن تيجي تقابلي المنتج وتتفقي وتقبضي كمان.

- شكرًا ليك يا مصطفى بيه أنت وست فدوى هانم.

- هو أنتِ إيه اللي حصلك؟ مالك بقيتي فجأة كده مؤدبة زيادة عن اللزوم؟ وكمان دمك تقيل وكلامك قليل.

- أبدًا، أصل عملت بنصيحتك بتاعة المرة اللي فاتت وشربت كلور وإزازة بطاس علشان أنضف زفرة لساني، وتقريبًا همة اللي خلوني كده، ممكن أستأذنكم أروح أنا وألف الكباب وآخده معايا؟

- طول عمرك بخيلة جلدة يا نادية يا ختى

- ده اللي هو أنا، مش أنت خالص، مع إنك بقيت بطل وقبضت فلوس على قلبك قد كده، ولسه بردو بتعزمنا عند عم كوراع الفحل، وحملت الطعام

ومضت بعيدًا، وتركتهم يضحكوا وهي ترسم الضحكة على وجهها لتخفي سيل دموع قلبها.

وفي الصباح حضرت نادية وجلست بحضور فدوى ومصطفى في حضرة المخرج؛ لتتفق على دورها في الفيلم الجديد، وتملي شروطها وكأنها نجمة معتزة بتاريخها، وتقول لهم:

- أي دور في الفيلم أنا ممكن ألعبه عادي، بس أنا لا بلبس عريان، ولا برقص، ولا ينفع أظهر خلفية في بيت مشبوه، لو موافقين على كلامي أنا موافقة على أي دور مهما كان إنشالله أظهر بصوابع رجلي، أو طرطوفة مناخيري.

فضحك المخرج وقال لها:

- ده أنتِ طلعتي نمرة يا نادية وعاوزالك فيلم كوميدي يظهر خفة دمك دي.

وانشغل مصطفى بالدور الجديد، وشارك نادية أكثر من مشهد ساعدته فيه بموهبتها وخفة ظلها، حتى لفتت نظر العديد من المخرجين في البلاتوه، وجاءتها عروض كثيرة ليست أدوارًا كبيرة، لكنها بالنسبة لكومبارس مثلها تعد نجاحًا باهرًا، وأكثر ما أسعد مصطفى أن فدوى في هذا الفيلم التزمت الحشمة بعض الشيء، واختارت ملابسها بصورة جديدة ليس فيها ابتذال أو إسفاف، ولكنها كانت تتغيب كثيرًا بحجة التصوير الخارجي لمسلسل جديد آخر يحتاج منها التواجد المستمر، ولأن مصطفى كان مشغولًا بفيلمه وتصوير مشاهده، لم يعرها اهتمامًا حتى آخر

مشهد في الفيلم، والذي كان يجمعه بفدوى، وجاءها فيه تليفون جعلها ترتبك في أداء اخر مشاهدها، حتى أنها لم تستطع أن تكمله رغم أن كل من في البلاتوه ترجوها أن تنجزه؛ لأنه آخر مشهد في الفيلم، ولكنها رفضت، وادعت أن لديها موعدًا لا تستطيع التأخر عنه، حتى أنها لم تغير ملابس التصوير، وانطلقت بعيدًا بعد أن استدعت عم أنور السواق ليحملها لمكان مشوارها الهام هذا.

أما مصطفى فقرر أن يذهب لنادية في حجرة الكومبارس ليستعين بها على شيطان شكه وينساه بأحاديث نادية المرحة خفيفة الظل، وما أن دخل خطوتين نحو غرفة نادية حتى سمعها تتشاجر مع أحد العاملين في البلاتوه وتقول:

- بطلوا بقى كلام على الناس، جتكم داهية في كلامكم وفي حقدكم، مصطفى أنضف منك ومن عيلتك يا عم مرسي يا كيلاكيت، هو نجم، أما أنت هتعيش كلاكيت وتموت كلاكيت، وعشان كده هتموت منه.. موت يا عم مرسي يا كلاكيت.

- فدوى هي اللي خلته نجم، وبكرة تعمل غيره وغيره، الناس عارفة إنها متجوزاه في السر، وهي لو كانت بتحبه ومالي عينها كانت خلت جوازها منه في السر ليه؟ تسمحي تقوليلي؟

- تسمح أنت ما تقوليش حاجة وتغور من وشي علشان ما أتهورش عليك وأفتح نافوخك بخشب الكلاكيت اللي أنت فرحان بيه ده؟ مصطفى أشرف وأرجل

راجل في الدنيا، ده حتى النجمة بتاعتك دي أول فيلم ليها تلبس فيه محترم وتحترم فنها ونفسها علشان مصطفى معاها وشاكمها.

- هأ أوأوأو، لا ياختي علشان فوزي بيه مدكور اللي هي معاه دلوقتي بيغير عليها، وهو اللي طلب منها كده، امال انتو فاكرين مين اللي أنتج لكم الفيلم العائلي ده؟ ما هو فوزي بيه وفلوس فوزي بيه، وفي أي وقت يطلبها تجري وتسيب الفيلم يولع؛ لأنه هو المنتج يا نونة.

- وأنت بقى مخابرات وعامل في الكلاكيت بتاعك ده سماعات تجسس وبتسمع وبتشوف كل حاجة؟

- لا ياختي، ابن عم أمي شغال بواب على قصر فوزي بيه مدكور وهو اللي حكالي، وأنا مصدقه، واللي يشتغل مع فدوى السنين اللي فاتت دي يعرف فدوى كويس، امال انتو فاكرين إيه؟ شوية كومبارس زيكم هيغيروا الكون ويصلحوا البشرية؟

- ربنا يبشرنا بخبر وفاتك عن قريب يا عم مرسي ونطلع عليك القرافة مانستدللك على مقبرة، تكون الحرامية قشطتها وباعتك لكل طلبة الطب اللي في مصر، حتة منك تسافر المنصورة، وحتة تروح الصعيد، وحتتين في حلايب وشلاتين، وتبقى أوزوريس القرن الواحد وعشرين يا عم مرسي اللهم آمين.

فدخل عليهم مصطفى كالمجنون، وأمسك عامل الكلاكيت من رقبته، وطلب منه عنوان قريبه في فيلا فوزي مدكور، فدله على العنوان، فطار إليه ووراءه نادية تناديه وتحاول تهدئته، دون جدوى، ووصل مصطفى متأخرًا، فقد كانت فدوى قد غادرت القصر وعادت لفيلتها، فصعد لها والدماء تجري في عروقه، ودخل عليها فلم تنظر نحوه وقالت:

– من فضلك يا مصطفى، أنا تعبانة، سيبني دلوقتي أنام وبكرة نتكلم.

– أصل الكلام كله خلص مع فوزي مدكور، مش كده؟

فنظرت نحوه بخوف وقالت:

– أنت بتقول..

– بقول إنك إنسانة وضيعة، عايمة في مستنقع رذيلة، وعمرك ما هتنضفي وتبقي بني أدمة محترمة.

وأخذ يصفعها ويركلها مرات وراء مرات كالمجنون، فرفعت وجهها والدماء تقطر من أنفها وفمها وقالت:

– امال كنت عاوزني أعمل إيه؟ أسيب قاسم يدمرنا؟ مكنش هيسيبك ولا هيسبني، الناس دول أنا عارفاهم كويس، أنت ما تعرفش حاجة، كان لازم حد يحمينا منهم في دنيتنا دي، لازم يكونلك حماية علشان تقدر تعيش.

نظر لها بغضب وحقد وقد تجمعت شياطين الأرض في عينيه، وكره البشرية كلها فى قلبه، وفي صدره المتهدج مرارة واشمئزاز قرون من العار وقال بائسًا يائسا" :

- لا، هي دنيتك أنتِ لوحدك، ١٠٠ ألف واحدة في الدنيا دي معاكي ممثلات ومخرجات عايشين حياتهم جمهورهم هو حمايتهم وحياتهم، اشمعنى أنتِ اللي على طول محتاجة حماية، والنهارده بتستعيني بفوزي مدكور على قاسم شكري زي ما استعنتي بقاسم شكري على اللي قبله، واللي بعدهم مين يا فدوى؟ كام واحد لسه ناقص في لستة الحماية بتاعتك؟ عارفة أنتِ محتاجة حماية على طول ليه يا نجمة؟ لأنك أنتِ واللي زيك خليتوا الدنيا غابة، لا فيها دين ولا أخلاق، وبتدفعوا بسخاء من كرامتكم ومن شرفكم علشان تفسدوا الدنيا باسم الشخصية والواقعية، والواقع انتو اللي خليتوه كده بعهركم ورخصكم، ولازم تشربوا من نفس الكاس اللي بتسقوه للناس.

ومضى مصطفى وهو ينتفض بعيدًا، ثم التفت لها وهو يبصق في وجهها آخر كلماته:

- أنا راجع بلدي دلوقتي أزرع أرضي وأدعي ربنا يسامحني ويهديني، وأنتِ ورقتك تبليها وتشربي مايتها؛ لأني ما أقبلش تبقي على ذمتي وتشيل اسمي واحدة زيك، حتى ولو كانت نجمة.

فجذبته فدوى من ملابسه ترجوه ألا يتركها، وأن يظل بجانبها، وقالت:

– ما تضيعش نفسك يا مصطفى، لسة لك آخر مشهد في أول بطولة أفلامك، ما تتهورش وتسيبه، دي بطولة يا مصطفى، عارف يعني إيه بطولة؟

– أي بطولة اللي يدفع تمنها منتج مراتي نايمة في حضنه؟ هي دي البطولة في نظرك؟ لو هي دي أنا مش عايزها، وهسيبك أنتِ وفوزي بتاعك تعملوا للفيلم مشهد نهاية يليق بيه وبيكي يا نجمة.

ودفعها ومضى لحجرته، وجمع ثيابه القديمة؛ بنطلونه المسطر وقميصه الكاروهات ومضى خارج القصر، فوجد نادية تنتظره على باب القصر بعد أن منعوها من الدخول والقلق ينهشها عليه وقالت:

– رايح فين يا مصطفى؟

– راجع بلدنا يا نادية، أنتِ كان عندك حق، هرجع أرعى أرضي، وأعيش في جنة أهلي، بعيد عن جهنم الحمرا دي.

– وأنا يا مصطفى؟ هتمشي وتسيبني؟

– أنتِ عندك شغلك وموهبتك، ولازم تكملي، بس اوعي تتخلي عن مبادئك يا نادية علشان تبقي نجمة، اوعي تبقي فدوى تانية.

– يا ريتني كنت زيها علشان كنت شوفتني وحسيت بيا، أنا بحبك يا مصطفى وعمري ما حلمت بأكتر من إني أرجع معاك بلدك، نخلف عيلين نربيهم ونراعيهم، خدني معاك يا مصطفى.

- والبطولة والنجومية؟

- كفاية إنى أبقى بطلة في قصة حياتك، ونجمة في فيلم نكتبه وننتجه ونمثله مع بعض.

فوضع يده على كتفها ومضيا معًا، بعيدًا عن بوابة قصر النجمة ؛ بوابه جهنم الحمراء تلك ؛ ليبحثا معًا عن جنة مكان لهما على الأرض، يسعهما بأحلامهما ببراءتهما، بعيدًا عن جحيم النجوم.

**** تمت ****

القصة الثالثة

حب.. ووعد.. وثأر

مقدمة

من غير المعقول أن نتكلم عن الحب دون أن نذكر حب الوطن، ذلك الحب المقدس الذي نضحي في سبيله بالنفيس والغالي، والروح والدم، وكثيرًا ما قال القائلون في حب الوطن:

- نموت نموت ويحيا الوطن، ولست أعرف كيف لوطن أن يحيا بعد موت شعبه، حقًّا لا أعرف.

وقد دارت أحداث هذه القصة بعد زلزال عنيف زلزل الأرض من تحت أقدامنا في تاريخ غير بعيد، فقد خرجنا من بيوتنا أمام إعصار ربيعه العاصف، صفًّا واحدًا كصخرة صلدة، ولسبب مجهول ما زال البحث جاريًا عنه حتى الآن، عدنا بعد اصطفافنا أمام عاصفته الهوجاء، وقد تفرقنا أطيافًا وشيعًا وأحزابًا وفرقًا، ولم تكن أحداث أي قصة حقيقية بقدر أحداث تلك القصة مع أن أشخاصها وهميون لا وجود لهم في الحياة، ولكنهم موجودون فينا، يعيشون معنا، ويتكلمون بلساننا، ويغذون أفعالنا، ويكتبون أقدارنا، ويؤثرون في أحكامنا على كل الأمور، فتجد أن لكل حدث حولنا سببين، ووراء كل رأي رأيين، ومهما بلغت من العقل ومن المنطق ومن الحكمة لا بد وأن تنتمي لأحدهما بشكل أو بآخر، وقد حاولت أن أنقل كلماتي دونما انحياز لأي جبهة، وقد حاولت أن أنقل الأحداث دون أن أصبغها برأي

شخصي يخصني، فضلًا عن أني لم أقطع وعدًا، ولم يحركني ثأر، ولا يدق قلبي إلا فقط حب لوطني ولكل أهل وشعب وطني، حتى أني كتبت وشطبت مرات ومرات كلمات وكلمات، محاولة أن أكون حيادية على قدر المستطاع، ولا أحسب أني نجحت، لكني حاولت، والله على ما أقول شهيد.

حب ووعد وثأر

دخل مكتبه غاضبًا من الفوضى التي تعم المكان، متفحصًا آثار المولوتوف على الجدران والمكاتب، وبقايا الملفات، وأخذ يدور في الغرفة متوعدًا بعهد جديد سيولد على يديه، وكان قد تسلم مكانه لتوه بعد إجازة قصيرة ؛ ليسيطر على زمام الأمور في القسم الذي تم اقتحامه في نوبة فوضى من تلك التي يسمونها ثورة .

وكان آسر ضابطًا مجتهدًا في عمله، ومحط ثقة لكل رؤسائه، عنيدًا، ثابت الرأي، واضح الرؤية، قوي الشكيمة، بنيانه الجسدي القوي يستوقف العيون في بدلته الميري بنجومه المتلألئة على جانبي كتفه، اسمه آسر، وهو فعلًا كان آسرًا للقلوب، وخاصة قلوب الفتيات، ولكنه أبدًا لم يصادف من تستوقفه وتسرق قلبه رغم جميلات عائلته اللائي يتسابقن على النيل منه، والفوز بقلبه، حتى أن أمه طلبت منه أن يأتي بأخته سمر من النادي بعد عودته من عمله ؛ لأن سيارتها معطلة، ففهم آسر أن هذا كمين آخر من الكمائن الذي تنصبهم له والدته وأخته كي تقبض عليه بنت الحلال، وتكلبش أصابعه بالدبلة الفضية، وتسجنه سجنًا مؤبدًا بأشغاله الشاقة في قفص الزوجية الذهبي، فلم يعارض، ولم يبدِ فهمه أو استياءه، وإنما ذهب فعلًا للنادي ليعيد أخته للبيت، مخبئًا تذمره داخل نفسه، وما أن دخل حتى وجد أخته متحلقة حول عدد ممن يقال عنهن جميلات النادي، فاتجه نحوها، وما أن أقبل عليهن

ببدلته الميري حتى تسابقن جميعهن على لفت انتباهه، وطالبته أخته بالجلوس دقائق حتى تستعد، فهي تنتظر شيئًا ستجلبه لها صديقة وهي في انتظارها، فجلس بينهن صامتًا مستاءً، متظاهرًا بالهدوء، وهو يريد أن يقلب عليهن الطاولة من تفاهتهن وفراغهن، فلم يكن يجذبه في المرآة أبدًا جمالها الخارجي، ولا يمكن أن يستوقفه فيها تسريحة شعرها، أو أزياء ترتديها، ما لم يصاحب كل هذا فكر وشخصية تفرض وجودها عليه.

واصطنع آسر مكالمة وهمية على تليفونه المحمول، وأمسكه وتظاهر بأنه يتحدث لأحدهم، واستأذنهن وابتعد عنهن ينفخ ويزفر أنفاس السأم والضيق، وما أن مضى بضع خطوات بعيدًا عن طاولة أخته حتى ترامت إلى سمعه كلمات غاضبة من إحداهن، وكانت تتحدث بنبرة غاضبة، وترد على كلامها أخرى.

– وطي صوتك شوية يا منة، مش معقول كده هتودينا في داهية، وراكي ضابط وأنتِ عمالة تشتمي في الداخلية، ومش عاجبك حد.

فالتفت آسر إلى مصدر الصوت، فوقعت عينه في عينها، فتاة جريئة، متنمرة متمردة، غاضبة متحفزة، وهي تنظر نحوه قائلة:

– وأنا مش خايفة منه ولا من جهاز الشرطة كله، وهفضل أقول داخلية بلطجية لحد ما أموت .

فاتجه نحوها آسر بغضب وقال:

– مش معنى إنك بتعلي صوتك وأنتِ بتشتمي إنك شجاعة ما بتخافيش، لا خالص، معناها إنك وقحة وما اتربتيش .

– أنت مين اداك الحق إنك تهيني وتتكلم معايا بالأسلوب ده؟

– نفس الحق اللي أنت اديتيه لنفسك بإنك تشتمي جهاز الشرطة كله، اللي أنتِ بفضله قاعدة بتتشمسي في النادي علشان موفرلك حماية ما تستهليهاش، لا أنتِ ولا اللي شبهك، وعلى فكرة، أنا مش بس ليا الحق إني أرد عليكي وبس، أنا ليا الحق إني أربيكي كمان لو كان والدك ووالدتك قصروا في مهمتهم دي، ولا ما كانوش فاضيين يقوموا معاكي بدورهم .

فانتفضت غاضبة، وقامت لترد عليه، فسبقتها صديقتها وقالت:

– احنا آسفين يا باشا، منة صاحبتي ما تقصدش، ده احنا بنتناقش في حاجات وبنتكلم عن ناس هي اللي بتقول الكلام ده، وأنت فهمت غلط.

وأخذت صديقتها من يدها وجذبتها بعيدًا عنه، محاولة فض شجار بينهما غير محسوب العواقب، فمضت منة معها بعيدًا وهي تقول لها:

– ومش مكسوفة يا داليا وأنتِ بتقوليلو يا باشا ؟ هو أنتِ إيه؟ شايفة نفسك فلاحة في وسية أبوه؟ لا وهو مصدق إنه باشا، طب يروح يشتري طربوش يلبسه وهو بيسوق الأتوموبيل بتاعه في العزبة اللي جابهاله أبوه، ما هي مصر دلوقتي بقت عزبتهم، واحنا الفلاحين العبيد اللي لازم نطيع، وإلا يضربونا بالكرباج.

وكان صوت منة واضحًا رغم أنها ابتعدت بعيدًا جدًّا، مما جعله يسمع كل كلامها بوضوح وقوة، الأمر الذي أغضبه وأزعجه، حتى أنه مضى خلفها يتبعها ليعاقبها على كلامها، لولا أن أخته وصديقتها قطعوا عليه الطريق، وأوقفوه، وقالت له أخته:

- أنا جاهزة يا حضرة الظابط، يلا بينا بس هنوصل مي معانا في سكتنا، أصل السواق بتاعها اتأخر عليها.

فمضى معهما غاضبًا صامتًا، وما أن وصلوا للعربة حتى قالت أخته:

- اقعدي أنتِ قدام يا مي علشان أنا رجلي مجزوعة وواجعاني، وعاوزة أفردها على كنبة العربية ورا.

فنظر آسر في مرآة العربية لأخته ولحيلها الهبلة المفقوسة، وقاد السيارة صامتًا، فعرفته أخته بصديقتها مي، وعائلتها الكبيرة، وشهادتها العالية، ومواهبها في الطهي، ولم يكن آسر يستمع لها، ولم يعطها أي اهتمام أو يعلق على كلامها.

ورأى آسر على جانب الطريق الفتاة التي تطاولت عليه بالكلام، وصديقتها، فتوقف فجأة وسأل أخته:

- تعرفي البت دي يا أماني؟

- لا طبعًا، وأنا هعرف الأشكال دي منين.

فلحقتها مي صديقتها في الكلام وقالت:

– أنا أعرفها، دي منة شكري، وصاحبتها داليا مهدي طلبة، داليا طالبة في كلية الحقوق، ومنة في إعلام، بس إيه، عاملين فيها صفية زغلول وهدى شعراوي.

– وهمة دول أعضاء في النادي؟

– لا طبعًا، دي أشكال تدخل النوادي !! دول يا سيدي تبع جمعية حقوقية بتجتمع بيهم في النادي بتاعنا، وتلاقيهم راشقين في أي مظاهرة أو أي وقفة حقوق الكلاب، حق الحمار في النهيق، الدفاع عن حرية الكلب الجربان في ممارسة جربه، أي حاجة تلاقيهم مشتركين وبيهتفوا بحماس كمان، أي هري والسلام يعني .

كانت تتحدث وهي تشير بيديها تعبيرًا عن وجهة نظرها، حتى لاحظت انقسامًا في ظافر سبابتها، فأصابها حزن، وتوقفت عن الكلام، وتفرغت لظافرها المقصوف تنظر نحوه بأسى بالغ، وضحك آسر على تعليقات مي وعلى مأساتها المروعة في فقد جزء من ظافرها المعتنى به عناية لا ينالها أكثر من نصف أطفال الشوارع، وقبل أن يقود سيارته مبتعدًا، لمح ثلاثة من الشباب يتجهون نحو الفتاتين، ففهم بحسه الأمني أن شيئًا غير مقبول سوف يحدث، فانتظر دقائق حتى وقع ما توقعه بالفعل؛ حيث إن الشارع الفارغ من المارة كان مكانًا مناسبًا لتجمع بعض الشباب الفاسد لمضايقة الفتيات الخارجات من النادي العريق، وقطع الطريق عليهن فيما يعرف بالمصطلح البغيض المسمى تحرش، فأمسك آسر بتليفونه وطلب دورية الشرطة القريبة من مكانه وأمرهم بالحضور حالًا.

وفي اللحظة المناسبة ترجل من سيارته واتجه نحوهم، وما أن رآه الشباب حتى هموا بالهروب، لولا أنه جذبهم من ملابسهم وضربهم ضربًا مبرحًا أوقعهم أرضًا، حتى جاءت عربة الدورية فحملتهم فيها، فأمر ضابط الدورية الفتاتين المذعورتين منة وداليا أن تركبا معهم العربة لعمل المحضر، فرفضتا بشدة ركوب البوكس مع المجرمين، فتدخل آسر وقال لصديقه :

- هجيبهم بعربيتي وأحصلك على القسم نكمل المحضر، ما تقلقش.

وأخذهم لعربته، وأجلسهما بجانب أخته التي استاءت جدًّا مما حدث، ومن ركوب الفتاتين ذوات المستوى الاجتماعى الاقل منها، وإفساد خطتها في تعريف أخيها بمي صديقتها، وأخذت تنظر للفتاتين من أعلى لأسفل، ومن أسفل لأعلى بتعالٍ، حتى وصلوا لبيت مي، فأنزلها، ثم اعاد أخته إلى البيت، ثم عاد أدراجه للقسم ؛ ليكمل المحضر ومعه الفتاتان، فباغتته داليا معتذرة عما حدث، وشاكرة لما فعله معهما، فرد عليها آسر قائلًا:

- مفيش حاجة تستدعي الاعتذار والشكر، أنا شغلتي أحميكم وأحافظ عليكم.

ثم نظر لمنة قاصدًا بكلامه مضايقتها، وقال:

- وأربي اللي أهله ما عرفوش يربوه.

فنظرت منة من شباك السيارة متجاهلة كلامه، حتى لا تجيبه بما لا يحب أن يسمعه، ووصلا إلى قسم الشرطة، ودخلت الفتاتان خلفه، وكان القسم تعمه

الفوضى بحوائطه المحروقة، وأثاثه المكسور، فأدخلهم آسر وتبادل الكلام مع صديقه عن ضرورة إنجاز المحضر بسرعة حتى لا يؤخر الفتاتين أكثر من ذلك، فعمل صاحبه المحضر في وقت قصير، وأخذ توقيعهما على المحضر، وطالبهما بالانصراف على أن يحضروا مرة أخرى لتكملة الإجراءات، حتى يأخذ الجناة جزاءهم، فشكرتهم داليا ومضت بصديقتها التي ظلت صامتة لا تشكر ولا تمتن رغم كل ما حدث، وعاد آسر لبيته متعبًا، فاستقبلته أخته أماني لتخبره عن إعجاب صديقتها مي به، وكيف أنها اتصلت بها وبقيت تتحدث فوق الساعة عنه بإعجاب، فقاطعها آسر وقال:

- أماني ريحي نفسك، أنا مش هتجوز بالطريقة دي، ولما أنوي هبقى آجي وأطلب منك عروسة، وساعتها اتطوعي واعملي القصص والأفلام دي، أما دلوقتي فأنا عاوز أنام.

وربت على كتفها بيده ممتصا" لغضبها وصعد غرفته منهكًا، واستلقى على فراشه لينام، ولكن نظرات منة الفتاة الوقحة الجريئة لم تفارق خياله، ولم يستطع أن يفسر ما الذي جذبه لها، وهو الكاره لتلك النوعية من الفتيات، ثم وضع التفكير جانبًا ونام .

وفي الصباح ذهب ليمارس عمله، ويشرف بنفسه على أعمال البناء والتجديد للقسم الضائعة ملامحه من جراء الفوضى، وتلقى تليفونًا بأن يستعد لتأمين موكب الوزير بعد ساعتين من الآن، فتفقد القوات وعمر سلاحه واتجه نحو المكان المطلوب منه تأمينه، والذي سيعبر منه الموكب، فبدأ في عمل الكردون الأمني، وأخذ

يذهب ويعود ليتفقد المكان كل ربع ساعة حتى يطمئن على استتاب الأمن، وبعد قليل سمع هرجًا ومرجًا خلف الكردون الأمني، فاتجه صوب الصوت فوجد مجموعة من الشباب الغاضب يحملون لافتات مكتوب عليها، الحرية لفريد والحرية لمجدي، والحرية لمحمود، ويهتفون مطالبين لأصدقائهم السجناء بالحرية، وكانت كل اللافتات تحمل اسم شاب من المقبوض عليهم في أحداث تسميها الشرطة شغبًا، ويسميها بعض الشباب ثورة.

وتفقد آسر اللافتات، ثم أمر الشباب بالانصراف بهدوء، فلم يستجيبوا، فهددهم بما يمكن أن يحدث لهم، فبدءوا في التراجع قليلًا للخلف حتى انكشفت لافتة كانت في قلب التجمع، ولم يكن يلحظها، وقد كتب عليها «داخلية بلطجية»، وما أن اقترب غاضبًا منها لينزعها ويلقيها أرضًا حتى وجد وراءها تلك الفتاة، بنفس تلك النظرة الجريئة الوقحة، فنزع منها اللافتة وداس عليها بقدميه، ومنع رجاله من الاقتراب لصاحبتها، ومن التعرض للشباب بسوء، وصاح فيها أن تنسحب فورًا، وأن ينسحبوا جميعًا، وإلا سيحتاجون إلى لافتات يحملها غيرهم مطالبين فيها بالإفراج عنهم، ثم قال بغضب بأن قطع الطريق أمام المارة، وإثارة الفوضى في الشوارع هي البلطجة بعينها، وإن من الحرية أن ينجز المرء رسالته في حياته، وإن عليهم كطلبة أن ينهوا دراستهم ويرفعوا أعباء مسئوليتهم عن آبائهم، وبعد أن يستقلوا ماديًّا قد يستطيعون بعدها أن يتكلموا عن الحرية.

وتقدم آسر في قلب تجمع الشباب الغاضب، وهو يتفحص وجوههم وعيونهم جميعًا قائلًا:

- من إمتى واحنا بنواجه بعض وكأننا أعداء واحنا ولاد بلد واحد؟ وأنا مش عدوك ولا أنت عدوي، عدوك وعدوي اللي خلانا نواجه بعض على إننا أعداء.

و استطاع فض جمعهم بصياحه فيهم، وتهديده لهم، دون تدخل من أحد من قواته، فقد كانت له هيبة في مظهره، وقوة إقناع في كلامه، وأعاد الهدوء أمام موكب الوزير حتى مر بسلام، فتنفس الصعداء، وعاد لبيته متعبًا على عادته كل يوم، وتناول طعامه، وأخذ حمامًا ساخنًا، وجلس في فراشه يفكر في أمر ما يحدث حوله، وتذكر تلك الفتاة الجريئة الوقحة، واللافتة التي كانت تحملها، وأراد أن يصرف تفكيره عنها فجلب اللاب توب الشخصي وأخذ يجوب أرجاء الفيس بوك ليعرف ماذا يقال فيه، وكان له عدة بروفايلات؛ يواجه أصدقاءه بشخصيته الحقيقية، ويتفقد أحوال الشباب بآخر، ويقيم مغامراته العاطفية كشاب في ريعان شبابه بآخر، وما أن فتحه حتى وجد عدة رسائل من صديق له في الداخلية وقد ترك له لينك لبيدج يتحدث عن كل جرائم الضباط من عهد الملك إسماعيل، ويسب فيهم، ويحرض على قتلهم، ففتحه آسر فوجد ما جعل دمه يفور، وأعصابه تنهار، من أسماء وعناوين أعز أصدقائه، وبعضهم من أفراد أعمامه، بتحريض واضح على قتلهم.

وكان من إحدى عاداته أن يدخل تحت أي اسم مستعار، ويناقش هؤلاء الشباب في كلامهم، ويواجههم بمبرراته وبطلاقة لسانه في الرد على تهكمهم، وسخرية

تعليقاتهم، وكان يعتبر هذا جزءًا من عمله ؛ تصحيح صورة مشوهة ساعد فيها كثير من تجاوزات زملائه الضباط في التعامل مع المواطنين، وكان رأيه أنه يستطيع بالقوة والإقناع وأد المواجهة بينه وبين الشباب الغاضبين بالحجة والمنطق، قبل المولوتوف والقنابل المسيلة للدموع والرصاص المطاطي، ولكن تلك البيدج كانت قد فاقت كل توقعاته، فقد كانت اللعنات تنصب عليه وعلى زملائه، وكأنهم من قوات بني صهيون الذي يجب قتلهم والتخلص من سطوتهم، وكان أشدهم حقدًا وغلًّا بروفايل يحمل اسم ((الداخلية بلطجية))، فتسارعت دقات قلبه وفتح البروفايل؛ ليعرف صاحبته، فوجدها هي ((منة شكري)) الفتاة الجريئة الوقحة التي خرجت له من تحت طبقات براكين الأرض، فلم يصدق كم الصدف غير السعيدة التي تجمعها به في كل مرة، فعمل طوال الليل حتى استطاع أن يهكر صفحتها، ودخل عليها ليقرأ أخبارها ومحادثاتها، فوجدها تنتمي لمجموعة حقوقية لزعيمها ملف مكتظ الأوراق على مكاتب الأموال العامة في الداخلية، هذا غير التحقيق المستمر في تهمة تلقي أموال مجهولة المصدر من الخارج بغرض إثارة الفتن، والتحريض على العنف بين الشباب.

وبحث أكثر وأكثر في بوستاتها، فعرف أنها كانت مرتبطة بشاب ثوري من شباب الثورة النقي، وقد لقي حتفه بالرصاص في أشهر ميادين مصر، وتفقد صورها معه والضحكة التي كانت تتراقص في عينيها وهي بجواره ويدها في يده، فاستاء لها، والتمس العذر لوقاحتها ولكرهها، وبدأ في الرد على كلماتها الغاضبة وسيل شتائمها

وسبها بهدوء؛ ليصحح لها كثيرًا من المعلومات المغلوطة التي يتناقلونها في دنيا الفيس الواسعة المتشعبة الآراء والأرجاء، والمعلومات والمصادر.

وقضوا الليل، هي تشير له فيديوهات اليوتيوب المصورة لضباط أثناء تجاوزهم أو إهانتهم للمواطنين أثناء عملهم، وهو يشير لها صور زملائه الضحايا في الكمائن والأقسام المحروقة، ويتساءل كيف لإنسان من دم ومن لحم أن يرى أصحابه وزملاء دفعته بعد أن تحولوا لمصابين وشهداء، ويستطيع السيطرة على أعصابه وضبط النفس رغم علمه بتجاوزات زملائه أحيانًا وغطرستهم، حتى نسجت خيوط الفجر ثوب النهار، ولم يستطع أحدهما إقناع الآخر، وكانت تجيبه دون أن تعرف هويته، حتى تعب كل منهم من الآخر، فنام وهو يحادثها، واللاب توب يعلو ويهبط فوق صدره، وكأنه مؤشر لشهيقه وزفيره، ونامت بعد أن سقط الموبايل من يدها.

وفي الصباح اتجه لعمله منهكًا متعبًا، وقضى نهاره كسولًا متثائبًا، وعاد من عمله، فصعد لحجرته ونام ببذلته الميري بعد أن فشلت كل محاولات أمه وأخته في إيقاظه لتغيير ملابسه، أو تناول طعامه، واستيقظ قبل الفجر بقليل، فقام جائعًا وغير ثيابه، وتناول طعامه باردًا، ثم عاد لفراشه، ولكن شيئًا جذبه ليفتح اللاب توب الخاص به، ويكمل محادثة الأمس مع صاحبة بروفايل الداخلية بلطجية، وكانت وكأنها هي الأخرى مستيقظة منتظرة محادثته، فما أن ألقى عليها السلام حتى ردت بسرعة غريبة، وتساءلت عن غيابه اليوم في محادثتها، ولبعض الوقت بدءوا في محادثة تعارف

حاول فيها أن يخفي عنها شخصيته الحقيقية، وكانوا يذكرون الجانب المتفقين فيه مع بعضهما في أصناف الطعام، والميل للقراءة، وحب الحياة، وكان حديثها ممتعًا بثقافتها العريضة، وأفقها الواسع، وطموحاتها الكبيرة، فانجذب نحوها أكثر وأكثر، وسألها عن نشاطاتها لعله يستطيع أن يشاركها فيها، وذكرت له فيها اجتماعاتها مع قيادتها التي تنظم مسيراتها ضد الظلم والفقر والجهل، فقال لها:

- أنتِ ما سمعتيش عن المثل اللي بيقول بدل ما تلعن الظلام أوقد شمعة؟

قالت منة باستنكار:

- يعني إيه؟

- هي ليه قيادتكم دي بدل ما تجمعكم في مسيرات ووقفات، ما تقسمكوش فرق وتنزلوا على الأماكن اللي اتفشى فيها الجهل، وقلة الوعي، وتعملوا حملات محو أمية مثلًا، وتعلموا الناس، وتنشروا بينهم التوعية، وتساعدوا الناس اللي انتو عمالين تتكلموا باسمهم ليل ونهار، كأنكم أوصياء عليهم.

- لأن دي مش مسئوليتنا، دي مسئولية البلد، هي اللي تعلم، وتاخذ بإيد الناس.

- مصيبة لتكون دي رأي قيادتكم؛ لأنها بتتلقى فلوس من الخارج كتير علشان تنفق منها على الفقرا اللي صعبان عليها حالهم، وبتثور علشانهم وباسمهم.

فقالت منة بغضب وبحماس:

- أنا ما أسمحلكش تتهم ناس بتحب بلدها بإنها بتتمول من الخارج.

فقال بغضب:

- ولكن دي حقيقة، وممكن أثبتهالك لو تحبي.

فردت عليه بغضب أشد منه:

- لا ما أحبش، ومن فضلك قيادات جماعتنا فوق مستوى الشبهات.

- وإن أثبت لك صدق كلامي؟

فأغلقت المحادثة ولم ترد عليها، وأكملت كلامها على صفحات الفيس سبًّا ولعنًا وتحريضًا كأن شيئًا لم يكن.

وفي اليوم التالي بعث لها بأخبار نقلًا عن وكالة «ويكيليكس» الشهيرة بأسماء الأشخاص المتورطين بتلقي أموال من الخارج فلم ترد، فذكر لها تاريخ بعض الشخصيات التي تتعامل معها، ورحلتها القصيرة من فقر مضجع لثراء فاره، بسيارات أنيقة آخر موديل، ومساكن فخمة في أحياء راقية، ولم ترد عليه أيضًا.

فجن جنونه من تجاهلها له، وقرر أن يتجاهلها هو الآخر، وأغلق بروفايله، وانصرف للعب جيم مشهور، كان يدمن تخطي مراحله الصعبة واحدة تلو الأخرى، لكنه لم يشعر بالمتعة هذه المرة، ولم يقاوم نفسه، ففتح الفيس ثانية، وطاف كل صفحاته التي ضد النظام والداخلية، فوجدها وقد كتبت كلامًا أكثر من مستفز أثار جنونه، وذكرت فيه عن تجاوزات للشرطة من تعذيب للمقبوض عليهم من الشباب

واعتداء جنسي على الفتيات منهم . فرد عليها بعد أن جن جنونه منها، ومن تطاولها، ومن نظرتها العدوانية التي لا تريد أن تغيرها:

- أظنك عمرك ما كنتي من البنات دي، عرفتي منين؟

- للأسف أعرف بنات منهم حصل لها ده على إيد بلطجية الداخلية.

- أنا بقى أعرف واحدة من أصحابك دول كانت هتتعرض لحادثة تحرش، لولا تدخل أحد ضباط الداخلية اللي مش أنقذها وبس لا ده كمان رفض إنه يركبها البوكس، ووصلها بنفسه لبيتها، وكأنه سواق أبوها، بس يظهر إن أصحابك بيحكولكيش على كل حاجة.

ثم زاد كلامه حدة وكتب لها:

- تقريبًا تصميم السيستم الفكري عندك ما بينقلش غير الحاجات السيئة وبس؛ لأن الإنسان السيئ غالبًا هو اللي مش بيشوف غير الحاجات اللي شبهه وبس.

- وأنت مين أنت علشان تعرفني وتحكم عليا؟ ولا هي شغلتك إنك مطبلاتي من اللي بيظيطوا للنظام الفاسد؟

- أنا واحد شريف من شعب البلد اللي أنتِ عمالة تشتمي فيها ليل نهار، أما شغلتي إيه فشغلتي إني أربي اللي أهله ما عرفوش يربوه، وأغلق صفحته غاضبًا مستاءً.

وتوقفت عن الكتابة بعد أن عرفته كما عرفها هو من قبل، فتفاجأت مفاجأة غير سارة بالمرة ألجمتها، وجعلتها ساكنة هامدة، تعيد ترتيب الكلمات والأحداث، وانقطعت اتصالتهم لبضعة ايام وانشغل آسر بعمله، فقد كان مكلفًا بتأمين العملية الانتخابية للبرلمان القادم، ولم يكن يملك الوقت حتى لتغيير ثيابه، وظل أسبوعًا كاملًا يتفقد اللجان، ويمر عليهم ليباشر عمله قبل نزول المنتخبين للجان، ولكنه أثناء عمله لاحظ على خلفية أسوار المدارس التي تقام بها الانتخابات رسومات وشتائم مسيئة لهم وللدولة، واتهام بتزوير الانتخابات، ودعوة لمقاطعتها، فزفر أنفاس الغضب، وطالب بدهان هذه الأسوار بألوان العلم قبل الصباح، وأشرف على دهانها بنفسه، وأمر رجاله بمراقبة الحوائط لمعرفة المتسبب في هذا، وانصرف لبيته متعبًا، وقد خارت قواه.

ونام آسر بملابسه الميري كالعادة، ولم يستغرق نعاسه ساعة ونصف الساعة حتى رن جرس تليفونه ليرد على صاحب الاتصال، ويعرف منه أنهم أمسكوا بعض الشباب الملثمين، وقد كان يعيد كتابة الشتائم على الأسوار بعد طلائها، فقال لهم:

- اتحفظوا عليهم وأنا جاي دلوقتي حالًا أعرفهم شغلهم.

وقاد عربته بجنون بعد أن فقد صبره وحلمه من كم الشتائم الذي يتعرض لها هو وزملاؤه ليل نهار، شتائم لا تفلح معها كل المحاولات في إيقافها، أو حتى تقليلها، حتى ذابت حبال الصبر والحلم في نفسه الهادئة، وعقله الرزين.

وما أن دخل آسر القسم حتى وجدهم خمسة من الشباب، وسبعًا من الفتيات، وطاف بعينه الغاضبة عليهم واحدًا واحدًا، يأكلهم بنظرات غاضبة، فوجدها بينهم بنظرتها الوقحة، ويديها الملوثة بحبر الكتابة، وبنفس النظرة الجامدة الجريئة حتى اخر حدود الوقاحة تنظر نحوه ولا تبالي، فجلس هادئًا لا يعرف ماذا يفعل، ثم نادى أحد رجاله وسألهم ماذا فعلتم معهم:

فقال له أمين الشرطة:

- لم نفعل معهم أي شيء، منتظرين أوامر سعادتك يا باشا.

فردت عليه منة بجراءة ووحشية بربرية:

- فعلًا ما عملوش أي حاجة غير إنهم شتمونا بالأم والأب، وشدونا من هدومنا ووقعونا على الأرض وبس، كان المفروض إنهم يشنقونا بتهمة الرسم وحرية التعبير يا باشا، مش كده يا ملايكة الداخلية؟

فقام آسر غاصبًا، وشبك يديه خلف ظهره، ومضى نحوها وقال لها:

- لا طبعًا، حرية التعبير مقصورة عليكم أنتم وبس، تشتموهم وتتهموهم وتشهروا بيهم وبأهلهم ليل نهار على الحيطان، وعلى يفط القماش في اعتصاماتكم السلمية، وعلى صفحات بروفايلاتكم في الفيس وتويتر، وهمة أصنام ما ينفعش ترد الشتيمة والسب، وتقف حراسة طول الليل والنهار تحميكم وتحمي ممتلكاتكم وأنتم نايمين متدفيين بتشربوا الشاي، والنسكافيه،

والهوت شوكلت في سرايركم، تشتموهم وتبوظوا شغلهم، والمفروض إنهم لما يقابلوكم ياخدوكم بالحضن علشان تبقى شرطة كيوت وتحترم حرية المواطن في الشتم والسب مش كده؟

ثم اتجه إلى مكتبه وجلس عليه وقال بنبرة غاضبة وقال:

- اسمع يا دلوعة أمك يا حيلتها منك ليها، المرة دي سماح، والمرة الجاية ورحمة أبويا لهوديكم ورا الشمس، وهعلقكم من رجليكم زي فيران التجارب واحد واحد، أنا أصلي شغلتي أربي اللي أهله ما عرفوش يربوه، ودلوقتي غوروا من وشي ما شوفش وشكم هنا تاني، مفهوم يا شوية عيال يا روح ماما منك له ليها؟ ما هو مش ناقصة شغل عيال، ومش هنسيب شغلنا ونتفرغ لهيافة اللي خلفوكم، مفهوم ولا أقول كمان؟

فاتجه نحوه زميل له وقال:

- إيه يا آسر أنت هتسيبهم يمشوا بالبساطة دي؟

فرد عليه بصوت خافت:

- احنا مش فاضيين للعب العيال بتاعهم ده، ومش ناقصين دوشة، خليهم يغوروا في داهية تاخدهم.

ومضى الشباب واحدًا واحدًا، إلا منة، فقد تلكأت في الانصراف وهي تنظر نحوه نظرة متحدية وقحة كعادتها، أما هو فتجاهل النظر نحوها كأنه لا يراها، رغم

أن تركيزه كان عليها وعلى ردود أفعالها، فقد تعود أن يرى من جانب عينيه متظاهرًا بعدم الاكتراث بالآخر.

وعاد بيته ليتابع ما تكتب ؛ ليعرف انطباعها عما حدث فلم تكتب شيئًا هذه الليلة، فنام آسر محتضنًا اللاب توب، علها تفتح أو تكتب شيئًا، لكن هذا لم يحدث، حتى انقضى الليل عن نومة غير مريحة، وبال مشغول بالفتاة الجريئة الوقحة.

واستيقظ في الصباح وذهب إلى عمله كعادته، وقابل أصدقاءه، فأخبره صاحبه احمد وزميلة فى القسم بأن زميلهم الثالث في القسم قد عاد من إجازته، فقال آسر لصديقه أحمد الذي يحبه ويتفاهم معه كثيرًا:

- أهو طارق ده واللي زيه همة اللي مبوظين سمعة الداخلية كلها ياخي.

فرد عليه أحمد:

- بس ما تنكرش إنه ظابط كفاءة.

- كفاءة في النفخ، يا راجل ده أساليبه كلها رخيصة وضعيفة، يا ابني ده شايف الناس كلها بلالين في إيده، وكل ما يقع تحت إيده واحد عاوز ياخد منه كلمتين يقولك أنا هنفخه وهو هيقر ويعترف على طول، تعرف أنا كل ما بشوفه بفتكر المنفاخ على طول .

- ريح نفسك يا آسر، لكل واحد أسلوبه في التعامل، المهم نحافظ على الأمن، وبعدين عايز الصراحة؟ العيال بتوع اليومين دول بقوا طايحين ومش عاجبهم حد، وبقوا فعلًا يستحقوا النفخ.

- أنت كمان يا أحمد؟ أنت كمان بتقول كده؟ طب ما يبقى معاهم حق يشتمونا ليل نهار ما دام الواحد منكم شايف نفسه بقت شغلته منفاخ؟

فضحك أحمد من كلام آسر، وقطع ضحكهم صديقهم المنفاخ كما يلقبونه طارق، دخل عليهم طارق العائد من إجازته مستاءً:

- إيه ده؟ إيه اللي حصل للقسم في غيابي؟

فرد عليه آسر:

- أبدًا حبة بلالين فرقعت في القسم.

فضحك أحمد وآسر، ولم يفهم طارق مقصدهما، وجلس الثلاثة معًا وحكى لهما طارق عن إجازته وكيف كانت، فقال آسر:

- والله يا ابني الواحد محتاج إجازة طويلة يريح أعصابه اللي باظت اليومين اللي فاتوا دول.

فقال أحمد:

- تقصد السنتين اللي فاتوا، أنا عن نفسي أول ما مراتي تولد هاخد شهر أريح جنبها في البيت.

أما طارق فضحك وقال:

- وليه بقى؟ هو أنت يا أخ أحمد اللي هترضع المولود؟

فقال آسر:

- لا، أصل المدام شارطة عليه إن البامبرز من اختصاصه.

وضحك الاثنان، فرد أحمد على كلامهما بأسى وقال لهم:

- معذورين، ما هو أنتم ما جربتوش يعني إيه الواحد يقعد سبع سنين يلف على الدكاترة علشان يشوف ضافر عيل له.

فربت على كتفه آسر وقال:

- والحمد لله ربنا انعم عليك وهتبقى أب كمان شهرين، ما تصدعناش بقى وتقفل الدنيا في وشنا، وإحنا لسة ما دخلناش دنيا.

وضحك الثلاثة ضحكة صافية من قلوبهم الفتية، دون أن يعلموا ما تخبئه لهم الأقدار في علم الله وحده سبحانه، وأخذوا يتبادلون الأخبار عن الانتخابات، وكيف تسير، وحال البلد، وقضوا وقتهم في تبادل أخبار البلد، وآخر أخبار مغامراتهم العاطفية والمهنية.

وعاد آسر لبيته، وقبل والدته، وتناول طعامه، وصعد لحجرته ليستعد لمقابلة أصدقائه في المساء، ولكن شيئًا شده ليفتح اللاب توب، ويقرأ أخبار أهله، فوجد منة الجريئة حد الوقاحة وقد كتبت أخبارًا عن التجاوزات والشتائم التي نالتها في قسم

الشرطة على يد بلطجية الداخلية، غير ذاكرة ما بدر منها، وما تسبب في تلك الشتائم، فلعنها آسر، ولعن نفسه أكثر على إصراره غير المبرر في متابعة وقاحتها التي لا تنتهي، وأسلوبها المستفز.

وقام وغادر بيته، وقاد عربته بعصبية، وتمنى لو قابلها وجذبها من شعرها وصفعها على وجهها، أو أمسك كتفيها وهزها بعنف ليسقط عن رأسها أفكارها الوقحة التي لم يعد يطيقها، ولا يعرف ما الذي يجعله مصرًّا على متابعة وقاحتها وحقدها، لكنه قرر أن يتوقف عن متابعتها، ويعود إلى حياته المكررة المملة، ومرت أيام كثيرة مكررة من أيام عمره الفتي الواعد، رزق فيها صديقه أحمد بأول مولود له، وسماه على اسمه آسر، وفرح به آسر كثيرًا حتى أنه اقتنع بفكرة أن يتزوج، وبدأ يطيع أخته وأمه في جلساتهم العائلية التي تجمعه ببنات العيلة؛ لانتقاء العروس المنتظرة، وتجمعات صديقات أخته؛ ليبحث عن العروس المناسبة، ولكنه عجز في آخر الأمر عن أن يجد من تحرك قلبه، أو تجذب عينيه نحوها، وكانت كلهن بالنسبة له مجرد لوح فنية جميلة خالية من أي معنى، أو كزهور زينة جميلة بلا لون، ولا رائحة، وظلت صورة منة، الفتاة الجريئة الوقحة تحتل جزءًا غير قليل من تفكيره ومن اهتمامه، وظلت نظرتها المتحدية الوقحة تستقر في ذاكرته بثبات وقوة، إلى أن طلب منه الانضمام إلى قوة مكافحة الشغب للسيطرة على الوضع.

وكانت مناسبة وطنية كبيرة قد أعد شحن الشباب لها مسبقًا، وكان اختيار آسر لتلك المهمة، لما عرف عنه من قوة الشكيمة والثبات، وانتقل آسر لمكان عمله، وأعد

قواته، ووضع خطته المحكمة للسيطرة على الميادين المطلوب استتاب الأمن بها، وبدا اليوم هادئًا مستقرًّا، غير أنه قبل أن ينتصف النهار ظهرت مجموعة من الشباب المعترضين يعلنون تمردهم وغضبهم، ويريدون أن يحتلوا الميدان بالقوة، فتصدت لهم قوات الأمن بقوة أشد، وعندما فشلوا في إرجاعهم أدراجهم، ألقوا عليهم القنابل المسيلة للدموع، والرصاص المطاطي، فواجههم الشباب بالطوب والحجارة، وأظلمت الدنيا حولهم، وتعذرت الرؤيا من جراء الغبار المتخلف عن القنابل، وعن تكسير الأرصفة؛ للحصول على الطوب الذي بدأ ينهال كالمطر، ووقعت إصابات كثيرة من الطرفين، وكأنها وطيس معركة لتحرير الوطن من الأعداء، وفي تلك الأجواء المؤسفة يتعذر عليك تمامًا أن تعرف من هم الذي يصح أن يقال عنهم الأعداء بعد أن يصاب كلا الطرفين من مقاومة الآخر له، واعتدائه عليه.

وأصيب آسر في جبهته، لكنه ظل واقفًا في مكانه إلى أن سيطر على الوضع، وأعاد الهدوء إلى الميدان، واستطاع القبض على مجموعة من رءوس الشباب، وتحفظ عليهم، وما أن انقشع الغبار، وتقهقر إلى الخلف عائدًا إلى مكانه في قلب القوات حتى تعثرت قدماه بها .

فنظر أسفل قدميه فوجدها هي «منة» وقد أصيبت بجروح بالغة، وفقدت وعيها من جراء الغاز الذي استنشقته، والطوب الذي أصابها، فلم يفكر، ولم يتردد لحظة، وحملها وأسرع بها بعيدًا، يحاول إفاقتها بكل ما أوتي من معلومة عن الإسعافات الأولية للمصابين في مثل تلك الأحداث، ففتحت عينيها الجريئة الجميلة، ونظرت له

وهي بين يديه، وقرأت في عينيه الخوف والقلق عليها، ثم غابت عن الوعي من جديد، وحملها في سيارته وأسرع بها بعيدًا عن الأحداث الملتهبة، حتى أقرب مستشفى، وأدخلها الاستقبال، وأوصى بها الأطباء، وعاد لموقعه مسرعًا بعد إسعافات بسيطة أجروها لجبهته المجروحة، وقبل أن يلحظ غيابه أحد، وظل واقفًا بقية مدة خدمته قلقًا خائفًا، لا يستطيع صرف نظره عنها، أو تفكيره فيما يمكن أن يكون قد حدث لها.

وبعد أن أنهى خدمته طار إلى المستشفى ؛ ليتفقد أحوالها، ويطمئن عليها، فوجدها قد غادرت بعد أن أفاقت دون أن تخلف وراءها عنوانًا أو مكانًا يطمئن عليها فيه، وعاد لبيته، وما أن رأته أمه بتلك الحالة حتى انخلع قلبها عليه، وأسرعت نحوه وقالت:

- يا حبيبي يا ابني، إيه اللي حصل يا آسر يا حبيبي؟ يخرب بيت المظاهرات على اللي بييجي من ورا المظاهرات.

- مفيش حاجة يا أمي، دي حاجة بسيطة جدًّا، صدقيني، سيبيني بقى أطلع أستريح، وجهزيلي الأكل لأحسن أنا واقع من الجوع، وميت من التعب.

فذهبت أمه لتجهز له الطعام، وهي تدعو على من تسبب في جرح ابنها بالموت والخراب في نفس الوقت، ومن جراء إصابات الشباب بالغاز كانت تصدر دعوة من قلب كل أم في كل بيت من بيوت الشباب الثوار على النظام، وعلى من تسبب في إصابة ابنها بالموت والخراب.

وفي نفس الوقت أيضًا انقسمت البرامج على ماركتات مقاهي الفضائيات التي يدير حواراتها كل من هب ودب، ويستطيع أي معتوه ساذج أن يشترك برأيه عن طريق التليفون الخاص بالبرنامج، ويسب ويلعن فيمن يريد دون أي مسئولية أو قيد، وكانت بعض البرامج تزايد على الشباب، وتذكر الوحشية التي عاملوهم بها، والبعض الآخر يذكر محاسن ملائكة الضباط في الحفاظ على أرواح الشباب، والهمجية التي أصبح الشباب فيها، وكلاهما صادق، والقضية كاذبة فاجرة فاخرة من نوع القضايا الوطنية التي أول من تسيء له هو الوطن ذاته، الذي يحيا على أرضه أطراف يواجهون بعضهم البعض بالسب والاتهام، والعنف أحيانًا باسم الوطن، والوطن بريء منهم جميعا.

وفي نفس الليلة اشتعل الفيس بوك واليوتيوب صورًا وأخبارًا من كل الآراء، وشتائم وسبابًا للطرفين من طرفي خلاف مجهولين هو الرأي العام الفيسبوكي، الذي لا تعرف له رأيًا عامًّا يذكر، أو توجهًا معلومًا، وإنما خيوط واهية واهنة من أخبار وآراء لا ترقى لمستوى الفهم البشري العادي.

أما آسر فكان نائمًا لا يدري بالدنيا حوله، ومنة التي كانت غائبة عن الوعي ولا تدري بالدنيا حولها، واستيقظ الاثنان صباحًا على سيل من التليفونات التي تريد أن تستوضح الأمر؛ من معارف وأصدقاء الطرفين، فأغلق هو هاتفه، وأغلقت هي هاتفها، ثم سرحت طويلًا قبل أن تأخذ قرارًا بمحادثته، وأرسلت له رسالة شكرته فيها على كل ما فعله من أجلها، ففتح الرسالة وابتسم، وأجابها:

- الشرطة في خدمة الشعب يا أفندم.

- مش كل الشعب يا أفندم، في بعض الشعب مسحول عندكم في أقسامكم ووراء مكاتبكم يا باشا.

- تاني يا منة؟ هنرجع للكلام ده تاني؟ مفيش فايدة فيكي يعني؟

فصمتت لبرهة وكتبت كلامًا ومحته، وكتبت كلامًا آخر ومحته من جديد، ولما طال انتظار آسر لردها الذى طال اجابها هو وقال :

- ما تحتاريش، هي كلمة الاعتذار صعبة بس ضرورية في المواقف دي، وأنا قبلت اعتذارك، بس الاعتذار لازم يكون وجهًا لوجه، وما ينفعش أبدًا يبقى كتابي.

- وأنت مين قالك إني عاوزة أعتذر؟ وأعتذر عن إيه؟

- لما تقابليني بعد ساعة من دلوقتي هقولك عن إيه.

فكتبت بسرعة وبدون تردد:

- فين؟ المكان فين يا حضرة الظابط؟

- اوصفيلي مكانك وأنا هعدي عليكي بالعربية ونشوف هنقعد فين.

فأعطته عنوانها، وقامت واستعدت وتزينت زينتها البسيطة التي أعجبته فيها، فقد كانت زينة منة في نظرات عينيها، وكان ميك أب جمالها في عقلها وجراءتها، وقوة شخصيتها المميزة.

وتقابلا لأول مرة من دون صدف، ومد يديه ليسلم عليها، فنامت يدها في يديه كعصفور استقر في عشه بعد طول طيران، وجلسا في مقهى عريق من مقاهي القاهرة المشهورة، وعرفته بنفسها:

– منة شكري، طالبة بسنة رابعة إعلام يا حضرة الظابط، ولا تحب أقولك يا باشا؟

فقال لها:

– اسمي آسر.

– غريبة، مع إن ده مش اسمك على الفيسبوك؟!

– لا، اسمي على الفيسبوك ده تقدري تقولي عليه اسم شهرة.

فضحكت ضحكتها الجميلة وقالت:

– لو على اسم الشهرة بيتهيألي تسمي روحك أنا شغلتي إني أربي اللي أهله ما عرفوش يربوه.

وقلدته بطريقة ساخرة ساحرة، وضحكت وحدها، ولكنها توقفت عن الضحك حين فاجأها وقال لها:

– منة، أنا بحبك.

ارتبكت وبشدة، فلم تكن جراءتها تساعدها في موقف كهذا لم تجربه من قبل، ووقفت لتستأذنه في أن تنصرف، فأمسك يدها ليجلسها من جديد، فاستسلمت

يدها في يده، واستقر العصفور في عشه لدقائق أخرى، ناعمًا بالدفء، ثم عادت، وبدا عليها الارتباك، ونزعت يدها من بين يديه وقالت:

- من فضلك، أنا لازم أمشي، ورايا حاجات مهمة مقدرش أتاخر عليها.

- مش شايف يعني معاكي كشاكيل محاضرات علشان تتحججي بالكلية؟

- لا، أنا عندي اجتماع في «جمعية حقي»، أنا أمينة الجمعية دي، ومينفعش أتخلف عن الحضور، والنهارده هتكون كل قياداتها حاضرة، ومحضر الاجتماع معايا في شنطتي، ومقدرش أغيب عنه.

- وأنا عاوز أحضر معاكي اجتماع الجمعية دي.

- بصفتك إيه؟

- اعتبريني عضو جديد في جمعيتكم، مش هي اسمها «حقي»؟ وأنا يا ستي واحد عاوز يعرف حقه زيكم.

فترددت قليلًا، وأمام إصراره وافقت، واتجها معًا لمقر الجمعية، وجلس آسر في أول الصف، وكان مستاءً من كم العنف الموجه، والتحريض الواضح من أفراد الجماعة على كل شيء، وأي شيء، وكانت كل كلماتهم إساءة للوطن تحت مسمى حب الوطن، واحتقار لكل مؤسسات الوطن تحت شعار من أجل أن نحافظ على الوطن، فلم يستطع آسر الصبر، وقام وقاطع القيادات، وأخذ يسألهم ويربكهم عن مضمون الجمعية، وسبب تكوينها، والهدف منها، وكانوا يجيبونه إجابات مائعة

مراوغة، لا تجيب شيئًا، فقد كانوا بارعين باللعب بالألفاظ، وتوظيف المصطلحات، والتظاهر بالإجابة التي يجب أن تستخرجها بنفسك من سياق الكلام الممل المطول الذي ينسيك ما كنت تسأل عنه، سؤالًا وراء سؤال، وجوابًا وراء جواب ممل ومكرر، إلى أن فاض صبره، فألقى في وجههم كرة من اللهب على هيئة سؤال، وكان خاصًّا بتمويل الجماعة، وتاريخ بعض قادتها، وشبه اشتراك بعضهم في صفقات مشبوهة مع شخصيات معروفة بالفساد والإفساد الذين يطالبون بالثورة عليهم، فساد الصمت مدة غير قليلة من الوقت حتى اضطرت القيادات إلى إنهاء الأمر بالآية الكريمة التي تقول: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» ((صدق الله العظيم)).

وأنهوا اجتماعهم وانصرفوا غاضبين، فنظرت منة لآسر نظرة غاضبة من جراء ما قال من كلام لقيادتها التي تحترمها وتوقرها، ومن فعله بعد أن ضايقهم وأحرجهم، ومضت أمامه تدب الأرض بقدم الغضب، فلحق بها وحاول تهدئتها، وقال لها:

- الأحسن بدل ما تغضبي من كلامي فتشي وراه وأنت هتعرفي إن أنا معايا حق.

- الأشخاص دي فوق مستوى الشبهات، ومن فضلك ما تتكلمش عليهم بالطريقة دي.

- وأنا علمني شغلي إن مفيش حد فوق مستوى الشبهات.

- هو شغلك ده مربط الفرس، وأنتم دلوقتي شغلتكم إيه غير تلفيق التهم لكل اللي يعارضكم علشان تخلصوا منه؟

- وأنتِ المفروض إنك إعلامية، أو هتبقي إعلامية، وهتنوري الطريق للناس اللي هتتابع شغلك، تسمحي تقوليلي هتنقلي أخبارك ازاي وأنتِ لا بتبحثي ولا بتدوري ولا بتتأكدي من أي معلومة بتتقال قصادك؟ اسمحيلي أقولك إنك هتبقي إعلامية فاشلة، وهيضحك عليكي كل من هب ودب بكام كلمة مترتبة من أي حد بيعرف يتكلم، ده أنتِ حتى نفسك رضيتي على نفسك إنك تبقي عروسة في إيديهم، تنزلي وقت ما يقولولك انزلي، تتظاهري وقت ما يطالبوكي تتظاهري، تسمحي تقوليلي نزلتي انتخبتي مين في الانتخابات الحالية؟

- ولا حد، كلهم وشوش محروقة لنظام بائد مسيره هيقع على إيدينا في يوم.

- كنتي تقدري تدوري على أفضلهم وتديه صوتك، لكن نظرتك السودا المشككة في كل الناس ما عدا قياداتك ما خلتكيش تشوفي أي حد كويس، والنتيجة إن اللي هييجي ناس تشرعلك مش على مستوى رضاكي، وتفضل الدنيا سودا، والبلد واقعة، والمظاهرات شغالة، تسمحي تقوليلي أنتِ عاوزة إيه بالظبط؟

فقالت بحدة:

- عاوزة أزيل كل الفاسدين من مناصبهم وكراسيهم اللي ما يستحقوهاش، وأنضف البلد.

- وطبعًا علشان كده بتمتنعي عن التصويت بالطريقة المشروعة في الانتخابات، وتسيبي فاسدين تانيين يحلوا محل الأولانيين، وتنزلي غضبانة علشان تشيليهم همة كمان زي اللي قبلهم، وتقريبًا كده يا منة أنتِ شغلتك في الحياة بقت إنك تغضبي علشان تشيلي اللي مش عاجبك، في حين ما بتحاوليش تهدي علشان تفكري تحطي مكانه مين من اللي أنتِ شايفاه يستحق من وجه نظرك، واللي هيخلي البلد في حالة استقرار، ويوقف تيار الغضب في قلوبكم وعقولكم، يعني أنتِ وجماعتك تخصص شيل وبس، مش حط كمان يا منة، وهي دي المشكلة.

وتركها ومضى غاضبًا منها، فنادته:

- آسر، أنت رايح فين؟

- أنا رايح شغلي اللي عارف هو إيه، وعاوز منه إيه، وإمتى وليه.

وتركها وأدار محرك سيارته مبتعدًا عنها بعد أن تجمدت ملامحه الغاضبة في وجهها، ودخل قسم الشرطة، وقبل أن يستقر على كرسيه خرج أحمد مستاء وقال لآسر:

- مفيش فايدة، طارق مطلع عين الشباب في التخشيبة.

ثم نظر أحمد لصديقه وقال:

- تقريبًا بياخدلك بتارك من دماغك اللي فتحوهالك امبارح شوية العيال السيس الفنكي اللي متلقحين جوه دول، بس الصراحة العيال تستحق إنها تبقى بلالين، وصاحبك طارق منفاخ كبير على حق ربنا بجد.

التفت آسر لأحمد وقال:

- وازاي تسيبه يعمل كده؟ احنا شغلتنا نعملهم محاضر ونحولهم للنيابة، مش نسجنهم وننفخهم.

ودخل آسر التخشيبة، فوجد الشباب مقيدين نائمين على بطونهم يصرخون من الألم، وطارق يوسعهم ضربًا في أماكن يعلم أنها تؤلم دون أن تترك أثرًا على أجسامهم؛ ليعترفوا ويجيبوا على كل أسئلته التي يريد أن يعرفها منهم، وفي آخر الزنزانة شاب معلق من قدميه يصرخ ويستغيث، فأنزله آسر وهو يصيح في زميله.

- إيه الوحشية دي؟ عملك إيه الشاب ده علشان تعمل فيه كده؟ يا أخي حرام عليك اعتبره أخوك، أو على الأقل بني آدم زيك، اللي يشوفك يقول إن أنت بينك وبينهم تار شخصي، مش كده يا طارق حرام عليك، اتقي ربنا، دول ولاد ناس زيي وزيك، بني آدم ليه أم وأب مكوية قلوبهم عليه، عملك إيه ده علشان تعلقه كده زي الخروف يا أخي؟!

فرد طارق بغضب:

- تف في وشي ابن الـــ....

- تلاقيك شتمته بأمه يا طارق، مش كده، دي مش طريقة شغل.

ثم فك وثاق الشباب المقيدين وقال لطارق:

- ممكن تسيبني أنا أكمل التحقيق لو سمحت؟ دي مش طريقة شغل.

- وأنت بقى اللي هتعلمني شغلي يا آسر باشا؟

واشتبكا معًا في مشادة كلامية تدخل فيها صديقهم الثالث أحمد؛ ليفضها ويجذبهم بعيدًا عن التخشيبة ومن فيها، فخرج آسر غاضبًا، وهدد طارق أن يصعد الأمر لو لم يتوقف طارق عن طريقته تلك، فقال له طارق:

- حتى ولو طريقتي دي خلتهم يتكلموا ويقولوا مين اللي حرضهم على كده واللي وراهم؟ وراهم جمعية حقوقية مشبوهة اسمها «حقي».

انتبه آسر للاسم وقال:

- وأنت ناوي تعمل معاهم إيه يا طارق دلوقتي؟

- هكتب محضر بأقوالهم وأحولهم للنيابة تحقق في جمعية «حقي» دي لما نشوف حكاياتها هي الأخرى، جتهم كسر حقهم كلهم، قرفونا في عيشتنا، لا عارفين ناخد أجازة ولا قادرين نعيش زي الناس، حاجة تقرف.

فقال أحمد:

- أسيبكم بقى تقرفوا براحتكم، وتكتبوا محضركم، وتنفخوا مساجينكم، وأروح أنا لابني حبيبي آسر، حبيب قلبي أقعد جنبه شوية أحسن واحشني موت، وزماني وحشته أنا كمان.

- يا ابني أنت من ساعة ما خلفت بقيت تزوغ كتير، وما عدناش بنشوف وشك إلا شبح في القسم، هو أنت شغال معانا ولا شغال دادة للواد وأمه؟ ولا ظروفك إيه بالظبط؟

- اعذرني يا آسر، الواد ابني جه بعد سنين عذاب، ومش مصدق إنه بقى حقيقة قدامي، ولازم كل شوية أطل في وشه علشان أتاكد.

فضحك آسر وقال: خلاص روح اتاكد، بس انجز، مش هنقضي الحياة كلها تأكيد يا أبو آسر.

فقال لهم طارق:

- وطبعًا أنت متكيف وسعيد إنه سمى الواد على اسمك، علشان كده بتغطي عليه، لكن أنا نايبني من وراكم أنتم الاتنين إيه غير واحد عاملي فيها ملاك الرحمة، الأم تريز، ومش سايبني أشوف شغلي من غير خناق وزعيق كل شوية، والتاني بعد ما خلف بقى الدادة أحمد دودي، وسايب شغل القسم كله على دماغي وقاعدلي جنب الواد وأمه.

وضحك الثلاثة معًا، وأنهى آسر نوبته في عمله، وعاد لبيته، فوجد ألف رسالة من منة تعتذر فيها، وتؤكد له صدق معلوماته التي قالها عن جمعيتها المزعومة، وتعده بالتوقف عن نشاط الجمعية وتركها في أقرب وقت، فدخل معها في الشات، وهنأها على قرارها، وأخذ رقم تليفونها، وقضى الليل يحادثها، وكلاهما سعيد محلق فوق سماء الدنيا، وأول ما فعله في الغد أن مر عليها، وركبت معه في سيارته، وانطلقا معًا بعيدًا عن زحام القاهرة إلى إحدى قرى العين السخنة الساحرة بعد أن استأذن صديقه أبو آسر كما يلقبه أن يغطي مكانه لليوم فقط.

وأخذها من يدها حيث الجبل يحتضن البحر في أجمل بقعة ساحرة على خريطة مصر المحروسة في مدينة السويس الجميلة الباسلة، وقضى يومًا جميلًا معها أمام البحر، وتناولا السمك السويسي والجمبري الجامبو، وأطلا على المكان الرائع، وظلا يتجاذبان أطراف حديث عام حتى أوشكت الشمس على الغروب، فأخذها من يدها وخلعا حذاءيهما؛ لتقبل قدماهما رمال الشاطئ، ومياه أمواج البحر في ليلة شتاء دافئة ساحرة، ومد آسر يده، ووضعها على كتف منة حبيبته، واحتضنها بقلبه ويديه وعينيه، وقال لها كلمته التي لم تخرج لأنثى قبلها، وهو ينظر في عينيها الجريئة التي أسرته من أول نظرة، وهو الآسر لقلوب الفتيات، قالها بهمس أذاب في صوته كل شوق سنينه الضائعة قبلها في البحث عنها، ضمها من كتفيها، وقال لها:

- بحبك يا منة.

فلم تتردد منة، وبادلته الكلمة الساحرة التي تخترق القلوب، والآذان، والأرواح أيضًا، وتشجع آسر، وأخذ قراره المؤجل لأعوام طويلة مرت من عمره الشاب الفتي، وطالبها بالزواج، فأنزلت منة يده من على كتفها، واتجهت بعينيها بعيدًا عن البحر، حتى استقرت في قلب اليابسة، ومضت وجلست على صخرة من صخور الشاطئ، فمضى نحوها آسر متعجبًا، من تغير حالها المفاجئ، وما أن تقدم منها وأمسك يدها من جديد حتى سحبت يدها من بين يديه وقالت:

- اعذرني يا آسر؛ لأني لا أستطيع قبول طلبك، فبيني وبينك عهد ودم .

فصمت آسر، وأخذ ينظر في عينها متعجبًا مستفسرًا، باحثًا عن إجابة لسؤال سأله بعينيه، فأجابت سؤاله الذي لم يسأله:

- لأني بيني وبينك دم فادي زميلي وحبيبي، سقط قدامي اليوم المشهود له بالغضب، كان يوم جمعة، وخرجنا مع بعض نطالب بعيش وكرامة لأهلنا، وحرية لبلدنا، مكناش نقصد شغب أو تدمير، كل قصدنا كان إننا نعبر عن غضبنا من سوء الأوضاع، ونمثل أهلنا اللي ضهرهم انحنى من الفساد وسوء الحال.

واسترسلت منة في الكلام وقالت:

- كان فادي شاب بسيط مكافح، لكنه كان متفائل متحمس، شايف دايمًا بكرة أحلى، حبيبت فيه شجاعته وابتسامته، كان بيشع بهجة وطاقة ونور في قلوب كل اللي يعرفوه، وفى كل مكان يروحوا، اتعلمت منه كل حاجة حلوة؛ لأن كنت وحيدة في

وسط أهل مشغولين دايمًا عني، أب حياته شغله وسفره وعلاقاته النسائية، رغم بساطة حاله، وأم سابتني وأنا صغيرة في حضن جدة سجنها المرض في سريرها من زمان، واتجوزت وشافت حياتها بعيد عني ونسيتني، لكني كنت طموحة، وعمري ما استسلمت لوحدتي ولظروفي، وبقيت أشتغل في أجازة الصيف وفي الشتا كمان بعد الدراسة، علشان أصنع لنفسي حياتي وأستقل ماديًّا بنفسي، وما أحتاجش لحد، واتعرفت عليه، كنا بنشتغل جرسونات في كافتيريا كبيرة، وكنا بنقسم البقشيش بيننا، حبيته وحبني، كان بيهاديني كل مناسبة صورة لعقد ألماظ كان هيجبهولي لو كان معاه تمنه، أو صورة عربية فخمة ويقول لي أصلها محجوزة في الميناء لما أدبر تمن جمركها هتكون عندك على طول، أو فيلا فخمة كبيرة بس الأرض عليها مشاكل لما تتحل هيبنيها ليا.

ومسحت دموعها الغزيرة وهي تكمل قصة وعدها لفادي بكاءً، وقالت:

- كان حبيبي، وصاحبي، وأهلي، عمري ما اتصورت إن قلبي يدق لحد بعده أبدًا، علمني ازاي أصبر وأجاهد في سبيل تحقيق حلمي، وكان شايف إننا في يوم هنحقق كل أحلامنا بإيدينا، لحد يوم الجمعة الغاضب اللي أنت وأنا عارفينه كويس، فات عليا فادي، وأصر إني أكون معاه، وإن صوتنا يحضن بعضه في وسط جموع الشباب الغاضب اللي مننا وزينا، ونعلن للدنيا كلها إننا خرجنا ندور على حلمنا، وعمرنا ما هنرجع من غيره، وخرجت معاه وإيدي في إيده، وكان خايف عليا، كانت إيده حاضنة إيدي، وصوابعه شابكة صوابعي، وفضلنا ماشيين نهتف ونهتف

ونرج الأرض من تحتنا، لحد ما جاتله رصاصة الغدر في صدره، وقع قدامي، لكنه ما سبش إيده من إيديا، وفضلت صوابعه شابكة في صوابعي لحد ما دمه سال بين إيديا، ووطيت عليه أهزه علشان يقوم يقف على رجله من جديد، ابتسم في وشي وقالي اوعي تستسلمي، الحلم قريب، أنا شايفه قدامي، وعاهدني أكمل مشوار حلمه، وعاهدته إني آخد بتاره.

فرد آسر متأثرًا من حديثها، ومتسائلًا:

- تاخدي بتاره من مين يا منة؟ مني ولا من بدلتي الميري؟

- منكم كلكم، كنتم ماليين الميدان بسلاحكم الميري، بهمجيتكم وغطرستكم، واحد منكم أو أكتر كان السبب في ضياع فادي، وميت فادي زيه راحوا علشان تفضلوا انتو في مكانكم، تسمح تقول لي أحط إيدي في إيدك ازاي بعد ما إيدي سال عليها دم فادي منك ومن اللي زيك؟

وفقدت أعصابها، وأخذت تهتف بهستيريا وبعصبية، وهي تبكي وتتذكر أحداث روايتها الحزينة:

- داخلية بلطجية.. داخلية بلطجية.. داخلية بلطجية.

وترددها كثيرًا، حتى ضاع صوتها وسط عاصفة دموعها، وسقطت على ركبتيها فوق رمال الشاطئ، تبكي وتهتز تشنجًا وألمًا، وهي تحاول صرف ذكرياتها المروعة في ذلك اليوم الغاضب العاصف، فاحتضنها آسر، وثبت رأسها صوب قلبه؛ لتهدأ من

ثورتها، فبكت وبكت كما لم تبكِ من قبل، وأفاقت من غيبوبتها، حينها وجدا الظلام قد حل، والشاطئ خاليًا تمامًا سوى منهما ومن عتمة الليل حين هبط وغطاهما بغطاء مخيف، وكان الجزء السعيد من لقائهما قد انقضى على غير رجعة، وعاد بها آسر وكل منهما سارح في ملكوت حياته، وعاد كل منهما إلى عالمه، وذهب آسر في الصباح إلى عمله، وسرح دقائق ثم نظر نحو طارق وقال له:

- هو أنت كنت في الميادين في أيام ثورة الشباب إياها والمليونيات اللي قلبت الدنيا دي يا طارق؟

رد طارق بثقة وقال:

- طبعًا، امال مين اللي رجع الأمن والنظام؟ ما هو علشان كده حرقولنا السجون وطاردونا بالمولوتوف.

فقال له آسر:

- على كده استعملت سلاحك.

- طبعًا، الظروف دي ما ينفعش فيها غير السلاح «توقع الزعما يفر الأتباع»، نظرية معروفة في علم النفس اسمها فرق تسود.

انفجر آسر فيه غاضبًا، وتهجم عليه ضربًا وسبًّا ولعنًا، وقال:

- أنت السبب، أنت واللي زيك مكانهم مش هنا.

فتدخل أحمد:

– إيه في إيه يا آسر؟ مش كده عيب اللي أنت بتعمله ده، معلش يا طارق، حقك عليا، آسر أعصابه تعبانة اليومين دول ولازم ياخد أجازة، وأنا همسك خدمة مكانه.

فقال طارق غاضبًا:

– أعصابه تعبانة على نفسه، خلاص أنا ما عدتش طايقه، والمرة دي مش هتعدي على خير، وهرفع الأمر لأعلى القيادات، وترك القسم وخرج غاضبًا.

وانهار آسر على كرسيه، ووضع رأسه بين كفيه، فهدأه أحمد وقال:

– ليه بس كده يا آسر؟ أنا هروح ألحقه قبل ما الموضوع يكبر.

وتركه وأسرع خلف طارق ليهدأه، وترجاه وتوسل إليه أن يعدل عن قراره، وأن يسامح آسر فيما فعل، وأخذ يلح عليه حتى عدل عن موقفه إكرامًا لأحمد، على أن يتعهد له أحمد بألا يتعرض له آسر ثانية أو يعترض طريقه وإلا نفخه. فضحك أحمد وقال:

– لا طبعًا يا طارق، هو أنا أرضى أشوف آسر بلونة بردو؟ ما تهدى علينا شوية يا عم المنفاخ.

فضحك طارق من كلامه، فاحتضنه أحمد وقال:

– احنا زملا واخوات، ومصارين البطن بتتعارك يا أخي.

وعاد أحمد وطارق للقسم، فوجد آسر قد غادره عائدًا لبيته بعد أن طاف بالعربة كل شوارع مصر، يتفحص وجوه الناس، ويتساءل بينه وبين نفسه:

– ترى في أي صورة يراه الناس؟ وما الذى يخبئون له في قلوبهم؟ وكام فادي راح ضحية طارق وأمثاله؟

وعاد لبيته، وأخذ يحادث منة، وهي تبكي وراء شاشتها، ولا ترد على أي من كلامه، وقضى الليل يقنعها أن معها نصف الحقيقة، والنصف الآخر خيال، وأن وعدها لفادي لا يمنعها من أن ترتبط به، وأنه ومثله كثيرون بريئون تمامًا من دم فادي، وأنه ليس عدوًّا لها، ولا لغيرها، ولا بد من وجود الأمن لتستتب الحياة، وتستطيع هي أن تكمل دراستها وتمارس حياتها، ولولاه ولولا غيره لانقلبت الحياة جحيمًا، والدولة لغابة، وذكرها بحادثة التحرش التي نجاها منها، وبالسرقات التي تلت جُمع المليونيات الشهيرة، وأن للبلد عدوًّا أكبر هو من جعل منهم أعداء يقفون في مواجهة بعضهم، وذكرها بجمعيتها التي يتم تمويلها من الخارج، وتساءل:

– لماذا يتم تمويل جمعية وطنية من الخارج؟

وفتحت أخيرًا الشات، وقالت:

– آسر، أرجوك ما تضغطش على أعصابي أكتر من كده، أنا خلاص مش قادرة أقاومك، مش قادرة أرفضك، مش قادرة أحرر تفكيرى من احتلالك له، مش قادرة، مش قادرة.

وبكت كثيرًا، فانتهز آسر الفرصة وقال:

- علشان عارفة إن معايا حق، وإن أنا كل كلامي صح، وإني بحبك وأنتِ بتحبيني، وأوعدك عمري ما هسيبك تاني، وهحميكي يا منة من كل شيء، وهقاوم معاكي كل فساد وجهل وتخلف، أنت ببرامجك اللي هتعمليها لما تتخرجي، وأنا بسلطتي اللي هستعملها لخدمة الناس، ولازم قوتي وقوتك وعقلي وعقلك وحبي وحبك نواجه بيه عدونا الحقيقي، وإيدينا في ايدين بعض، موافقة يا منتي؟

فردت بسرعة وبدون تردد:

- موافقة يا آسر قلبي وعقلي.

وخرج آسر من غرفته مهللًا ينادي أمه وأخته، ويزف لهم خبر استسلامه وقبوله أن يدخل قفص الزوجية، وأنه وجد من تحرك قلبه وعقله، وحمل أمه وحمل أخته ودار بهما يضحك، ويشاركهم فرحته، فقالت له أخته:

- المهم هي مين؟ ويا ترى تستاهل أخويا ولا لأ؟

فردت أمه:

- مش مهم يا أماني، المهم هو راضي ومبسوط، وده عندي بالدنيا.

ودعت له بالفرح والسعادة والذرية الصالحة، وأمن آسر على كلام أمه قائلًا:

- نص دستة يا أمي، أنا عاوز نص دستة عيال.

ولم يستطع آسر أن يخفي الأمر على صديقه وزميله أحمد، فقاد عربته واتجه نحو القسم ليبشر أحمد بقراره، بعد عزوفه عن الزواج أعوامًا وأعوامًا، ويشاركه فرحته، ويصالح طارق عما بدر منه، كان في حالة تصالح وتسامح مع الدنيا كلها، وذهب للقسم، فقابل طارق واعتذر له، وسأله عن أحمد صديقهم، فوجده قد خرج في كمين من الكمائن التي تعودوا أن يقيموها على طول الطرق للسيطرة على الوضع والتأكد من استتباب الأمن، ونظر آسر لطارق وقال:

- شكلك لسه زعلان مني.

فأشاح طارق بوجهه بعيدًا عنه، فضحك آسر مداعبًا طارق وقال :

- عارف لو ما ضحكتش دلوقتي هعمل فيك إيه؟ هنفخك.

فضحكا معًا، وجاءتهم إشارة سريعة أن الكمين الذي كان يقف فيه أحمد قد تعرض لهجوم إرهابي، وأطلق عليه وابل من الرصاص، فأسرع آسر وطارق واتجها نحو الكمين، فوجودا أحمد في حالة بين الموت والحياة، وما أن رآهما حتى أمسك بيدي آسر، فسالت دماؤه على يد آسر وقال وهو يحتضر:

- آسر الصغير أمانة بين إيديك يا صاحبي، خد بالك منه، وقول له أبوك مات بطل، وبوسهولي يا آسر، وخد بتار أبوه، عاوزه يعيش في بلده مطمن وآمن.

ولفظ أحمد أنفاسه الأخيرة بين يدي آسر، وصرخ آسر من قلبه حزنًا على صديقه الطيب، وانكسر قلبه، وذبلت بذره فرحته في صدره، وتصدى للموقف بشجاعة،

وتقدم جنازة صديقه، وأخذ عزاءه، وقلب الدنيا رأسًا على عقب بحثًا عن الجناة، وأمسكوا بعض المشتبه بهم، والذي كان على رأس القائمة فيهم بعض من نشطاء جمعية «حقي» وجمعيات أخرى مثلها، فشعر آسر بشعور منة وبغضها وحقدها، والتمس لها العذر فيما كانت تفعله معه من صد ورفض، صعب أن تقطع وعدًا ولا تفكر ليل نهار في تنفيذه، والأخذ بثأر عزيز لك سقط أمامك وطوقك بعهد كتبت حروفه بدمائه، وتمنى أحمد لو أمسك رشاشًا آليًّا وثقب به كل صدور أعضاء الجمعية الجاني منهم والذي لم يقترف إثمًا في حياته منهم أيضًا.

وتذكر حبيبته منة، وعاد لينبهها ويطمئن أنها استقالت من جمعية الخراب والإرهاب، فاتصل بها فلم تجب، ففتح اللاب توب وجلس ليبثها حزنه، ويشكو لها لوعته، وحرقة قلبه على أعز أصدقائه، ولكن شيئًا انتفض داخله، وجعله يفتح صفحتها التي هكرها ويقرأ محادثتها التي أجرتها، فوجد محادثة جماعية كانت أحيانًا قبل معرفتها بآسر تشترك فيها مع أعضاء جمعيتها المزعومة، وكانوا يزفون خبر اغتيال صديقه أحمد هو ومجموعة من الجنود، مع تعليق أنهم أخيرًا وبعد كل محاولات الملاحقة الفاشلة انتقموا لفادي صديقهم، وأن البقية قادمة، ورغم أن منة لم تكن تشترك في ذلك الشات، فقد كانت مشغولة بمرض جدتها المفاجئ، وكانت في تلك اللحظة بالذات تبكي في حضن جدتها التي تحتضر.

ولم تكن منة تدري بالدنيا وما عليها، إلا أن آسر اعتبرها مذنبة مثلهم، وأن بقاءها على صلتها بالجماعة وعدم استقالتها من أمانتها دليل إدانة واضح على تورطها معهم

في نظره، وعاد بالذاكرة للخلف، وتذكر أحاديثها التي تقطر غلًّا، وبوستاتها التي تمتلئ كراهية، رغم أن منة كانت قد تركت الجمعية بالفعل، ولكن مرض جدتها منعها من إكمال إجراءات استقالتها من أمانة الجمعية، وما جعلها تبقى على الشات الجماعي حتى تستطيع التواصل مع أصدقائها وإقناعهم بضرورة تغيير مسارهم كما فعلت هي بعد أن تصالحت مع الدنيا على يد آسر.

فأسند آسر رأسه للحائط بعد أن دارت به الأرض، وحاول أن يجمع قواه، وتذكر آخر كلمات صديقه له، ووعده معه، ولم يدرِ بنفسه إلا وهو يدق الباب على منة التي فتحت له متهللة الوجه لترتمي في حضنه، ويواسيها في موت جدتها التي كانت كل عائلتها، وهي لا تدري ببركان غضبه، فتقدم آسر منها بنظرات شيطانية تتطاير من عينيه، فيها كل ألسنة الجحيم، وفحيح الأبالسة التي سكنت عقله وقلبه في تلك اللحظة، وصفعها على وجهها عدة صفعات أدمت أنفها وفمها الصغير، وأغلقت عينيها الجميلة من التورم والانتفاخ الذي تلا صفعاته الوحشية، وجذبها من شعرها بقوة لينظر في وجهها البرئ الجميل الذي ضاعت معالمه من أثر لطمه لها بكل قوته.

فرفعت عينيها في عينيه وهي تتساءل في براءة وجراءة:

- ليه يا آسر؟ ليه؟ ده أنت غيرتلي نظرتي، وعرفتني طريقي، ورجعتلي ثقتي في الدنيا من حواليا، ده أنت خرجتني من قبو الانتقام وظلام الكره بشمس الحب، ورحابة الأمل والحياة، ليه يا آسر؟

فجذبها من شعرها ماسحًا بها بلاط درجات السلم وهو يصيح:

- عايزة تعرفي ليه؟ علشان أنت اتسببتي في يتم طفل بريء، أبوه داخ سبع سنين علشان يجيبه للدنيا، ويسيبه فيها لوحده يتيم، علشان «أنا دلوقتي اللي بيني وبينك عهد ودم وتار»؛ لأن اللي زيكم ما يعرفوش يحبوا، وما ينفعش يتعاملوا غير بمعاملة طارق، علشان أنا كنت غلطان، وأنتِ عرفتيني الصح اللي هعمله معاكي دلوقتي.

ولم يبالِ آسر بكل موبايلات الشارع والجيران التي تصوره وهو يعتدي على منة بالضرب، وأنه سيبقى أيامًا وليالي سيرة وموالًا على صفحات الفيسبوك، ومثالًا لبلطجة الداخلية على المواطنين في مقاهي التوك شوز، بعد أن تحول آسر لنسخة أسوأ من طارق، وبعد أن كفرت منة بكل ما آمنت به على يد آسر، وتأكدت تمامًا أنه كغيره، وحشي بربري، مهما ارتدى من ثوب براءة مصطنعة، ففي لحظة واحدة يظهر الوحش القابع بداخله كغيره، وأحيل آسر، الضابط الكفء إلى التحقيق، بعد فضيحته على الفضائيات، واحتلت صفعاته ساعات وساعات من برامج الفضائيات، واتهمت منة بالتورط في أمر الاغتيال، بعد تتبع رسائلها وأحاديثها التي غيرتها تمامًا بعد معرفتها بآسر، وقبل تركها للجمعية على يد آسر، وتغير نظرتها من حبه لها وخوفه عليها، ومن كلامه المقنع وقوة حجته الدامغة التي أقنعتها، وتحولت لبطلة، ليس بفضل أعمالها، فلم يكن يدري عنها أحد شيئًا، ولكن بفضل يوتيوبات ضرب آسر لها التي استخدمتها جماعة ثانية وثالثة وخامسة للتنديد بالنظام، وسوء المعاملة، وأصبحوا يقفون رافعين يافطات تطالب بالحرية لمنة، بطلة الشباب، بعد أن

تغيرت منة، وتغير آسر، وتحول بينهما الحب الكبير لكره كبير؛ لتستمر مغالطات المفاهيم، وتعقيدات قضية حب الوطن البريء تمامًا مما ينسب له، فلو نطق الوطن لثار على الجميع وحاسبهم على كل الجرائم التي ترتكب باسم حب الوطن، والوطن شعب يحب وطنه، والشعب لكي يحب وطنه لا بد وأن يحب بعضه.

**** تمت ****

القصة الرابعة

أربعة أيام في الجنة

مقدمة

كان الرائع إحسان عبد القدوس في إحدى رواياته يقول: إن في حياة كل منا وهم كبير اسمه الحب الأول . غير أن هذا الوهم كان هو الحقيقة الكامنة في قلوب البعض منا، وكان بالنسبة لهم هو الحب الأول والأخير أيضًا، فبعض القلوب لا تنبض إلا مرة واحدة، ولا تدق دقاتها المرتعشة الراقصة إلا مرة واحدة، وبطلا تلك القصة أحبا بعضهما حبًّا من هذا النوع الذي لا يعد وهمًا، ولكنه يقين، يجعلك تسبح بين أمواج السحاب، وتقبل خد القمر، وتطوف بالجنة، بل وتعيش فيها ولو لأربعة أيام فقط.

أربعة أيام في الجنة

عادت لغرفتها متعبة من جراء يوم شاق عسير، وما أن أضاءت نور حجرتها حتى لاحظت فوضى أثارت تعجبها، لكنها لم تتوقف عندها كثيرًا، فقد بقي يومان على انقضاء إجازة نصف العام، وبدء الصف الثاني للدراسة في الجامعات، ومن بينهم كليتها كلية الطب.

لم تكن أميرة الشبكي تعيش بمفردها في المدينة الجامعية، كانت تقاسمها الغرفة زميلتها التي تختلف عنها في الشكل والمضمون مروة، ولما كانت ظروفها لا تسمح لها بأن تترك المدينة الجامعية وتسافر لأهله ا؛ لأن والدها وباقي أسرتها يعيشون في دولة بعيدة، فكانت تقضي العام الدراسي كله في سكن مدينتها الجامعية، وفي الإجازة تلحق بأسرتها، وفي بادئ الأمر ظنت أميرة أن مروة صديقتها ربما عادت، وأثارت تلك الفوضى في الغرفة، لذلك لم تهتم، ونامت على فراشها بملابسها وزينتها، حتى أنها لم تكلف نفسها غلق الأنوار من فرط التعب، وسقطت في بئر نوم سحيق لا تدري بالدنيا من حولها.

لم تكن أميرة تؤمن بالحب، ولم تقرأ في حياتها عدا كتبها العلمية، أي رواية غرامية، وكانت أميرة واسعة الطموح، تنظر للحياة نظرة عملية أحادية، وعالمها حدود مكتبها، وفلسفتها قدرتها على النجاح، وكانت تقفز عامًا وراء عام صوب قمة هرم طموحها، وتفوق كل سنة كان بالنسبة لها حافزًا لتفوق أكبر وأكبر في السنة التي تليها، ثم التي تليها .

وكثيرًا ما ضحكت من صديقتها التي كانت تحب كل عام، وترتبط في كل مصيف، وتقابل كل عريس يقدمه لها الأهل والأقارب، وكانت أميرة عكس زميلتها تمامًا، فقد كانت كافرة بالحب، ساخرة من قصصه، متحفزة لكل كلمة رقيقة من رجل .

ونامت أميرة بعد يوم شاق وطويل، فقد قضت كل إجازتها لا تخرج من غرفتها أسبوعًا كاملًا، وفوقهم يومان وهي لا تغادر الغرفة، حتى أصابها الملل، وقتلها الضجر، فقررت أن تقضي يومها كله خارج المدينة الجامعية، وصنعت لنفسها «بروجرام» لا بأس به، ذهبت للسينما، وشاهدت فيلمًا للخيال العلمي، ثم تجولت في أرجاء مول تجاري تعبث بالملابس، وتتسكع أمام الفتارين، ثم تناولت طعامًا من الوجبات السريعة، حتى ملت وتعبت، وما أن فكرت في العودة حتى هطل المطر وبغزارة، فأوقف قطار الحياة النابضة بالحركة والضجر من حولها.

ولم تجد أميرة ما تستقله لتعود أدراجها، فبقيت ترتعش وتختبئ خلف واجهات المحلات، حتى استطاعت أخيرًا أن تقنع تاكسي أن يقلها للمدينة مقابل كل ما في جيبها، وعادت منهكة، وتكورت في فراشها، وأسدلت غطاءها عليها، وغابت في نوم عميق لم تفق منه إلا على حلمها الذي يتكرر كل ليلة، والتي فشلت مروة زميلتها وكل زملائها في تفسيره، ونالت منهم بسببه دعابات سمجة، وتعليقات لا تحبها.

رأت أميرة في حلمها أنها تمد يدها لرجل أوشك أن يسقط في بئر مخيف، وما أن لمست يده حتى جذبها لتسقط معه في بئر بلا قعر، وتصرخ ويضيع صراخها في سقوط طويل بلا ارتطام، فصحت من نومها تلتقط أنفاسها وتستغفر وتتعوذ من الشيطان، واكتشفت أميرة انها لم تغير ثيابها، أو تغلق أبواب شرفتها، فقامت تفرك عينيها، وشربت لترطب حلقها الجاف من حلمها الغريب، ثم اتجهت صوب شرفتها لتغلقها، وما أن مدت يدها لتغلق باب شرفتها حتى سمعت أنات مكتومة، فاتجهت صوب الصوت، وما أن دققت النظر حتى حملقت بعينين خائفتين، وتسمرت قدماها في الأرض.

كان أحدهم قابعًا في الظلام، وقد تكور على نفسه، يكتم ألمه، فتقدمت منه، وأطالت النظر نحوه غير مصدقة ما تراه، وقبل أن تصرخ قام من مكانه وأشهر في وجهها سلاحًا أبيض، وقال لها:

- اسكتي خالص وإلا قتلتك.

ثم دفعها لداخل الغرفة ودخل وراءها، وأغلق خلفه الشرفة، وأغلق الأنوار كلها، وصاح فيها وقال:

- مفيش داعي للصراخ، كلها ساعة ولا اتنين وتقل الحركة في الشارع وأرجع زي ما جيت، ومالوش لازمة الصراخ، وأظنك عاقلة.

فهزت رأسها بالموافقة، وجلست على فراشها صامتة، وجلس الرجل على الفراش المواجه لها صامتًا أيضًا، فأخذت تتفحصه بعينيها رغم أن الظلام كان حالكًا في الغرفة، لكنها لاحظت أنه يربط ذراعه برباط شعرها، ربما هو من أحدث الفوضى في غرفتها، وهو يبحث عن شيء يجبر به جراح كتفه، فنظر لها بغضب وقال:

- أنتِ بتبصي على إيه؟

فلم ترد، وظلت صامتة، فأعاد سؤاله بنبرة أشد، وقال لها:

- أنا ما بفكرش أأذيكي، فما تخلينيش أغير رأيي، وخليكى عاقلة، علشان ما تعمليش حاجة تندمي عليها بقية عمرك، وخليكي مطيعة؛ لأني ما بحبش اللي ما بيسمعش كلامي، وبلاش تعرفي أنا بعمل فيهم إيه.

وأشهر سلاحه في وجهها من جديد، فقالت له:

- أنا طالبة طب، وفي الصف الخامس، وممكن أساعدك.

- قلت لك اسكتي، وسيبيني في حالي، علشان أنا كمان أسيبك في حالك.

وقبل أن تجيب، سمعت دقات على باب غرفتها، فقام الشاب وقرب السلاح من رقبتها، وقال:

- هقتلك لو نطقتي.

فقال الصوت من خارج الغرفة، وكان لمشرفة الدور في دار رعاية الفتيات التي تسكنها أميرة:

- أميرة حبيبتي، ما تفتحيش الشباك واقفلي بابك كويس عليكي، في مجرم هربان والشرطة حذرتنا منه، فخذي حذرك يا حبيبتي.

فأجابت أميرة:

- ما تخافيش عليا، أنا بخير، وهنام حالًا، تصبحي على خير.

ثم التفتت أميرة صوب اللص، وقالت:

- يكون في علمك إني ما بخافش، وتهديداتك دي ولا تهز شعرة في راسي، مع العلم بإني من النوع التاني اللي أنت ما بتحبوش، لا أنا مطيعة ولا بعرف آخد أوامر من حد.

ونزعت يده من على رقبتها وهي تقول:

- أظن بقى كفاية كده تهديد واستفزاز، أنا معتبراك ضيف هيقضي في غرفتي ساعة ولا اتنين، وأنا مجبرة على استضافته، فحاول تحسن الجلوس علشان أحسن أنا كمان الضيافة.

وظلت أميرة وضيف الليل الذي هبط عليها فجأة صامتين ساعة من الوقت أو أكثر من ساعة، وكان كل منهما متحفزًا للآخر، ناظرًا نحوه بخوف وتحدٍّ في نفس الوقت، وكان اللص يضع يدًا على جرحه، ويكتم ألمه، واليد الأخرى شاهر بها السلاح في وجه أميرة، ثم بدأ ينتفض من الألم، ورويدًا رويدًا بدأ يسقط أمامها على الفراش مغشيًّا عليه، ولكنه كان يقاوم في إصرار ومكابرة، وقبل أن يغيب عن وعيه تمامًا صاح فيها بصوت أصر أن يكون فيه شيء من القوة:

- لو فكرتي في عمل أي شيء صدقيني هتندمي طول حياتك.

- أنت في حالة خطرة جدًّا، ما تسمحلكش بالتهديد، وممكن تموت وأنت بتهدد بالقتل، فخليني أساعدك.

فرد عليها وهو يحاول جمع الحروف بصعوبة بالغة وبصوت تخونه فيه أحباله الصوتية:

- اخرسي بقولك وإلا قتلتك.

وقبل أن يكمل حروف كلمته الأخيرة سقط مغشيًّا عليه، وسقط السلاح من يده، فقامت أميرة على الفور تتفقد جرحه، فوجدت جرحه غائرًا، وحالته في منتهى السوء، فلم تفكر كثيرًا؛ حيث قامت وجذبت قميصه من على كتفه بسرعة، وأخذت تطهر له الجرح، وتضمده بعد أن أنارت أباجورتها وصوبتها نحو جرحه، حتى تستطيع رؤية الجرح بوضوح، وحتى لا تشعل الأنوار، فتشعر بها مشرفة الدار وتدق بابها لتسألها عن سر سهرها غير المعتاد، أو لتطلب أن تتسامر معها، فلم يكن في الدار غير عدد قليل من الطالبات البعيدون أهلهن.

وأخذت أميرة تتسحب على قدميها، وتدور حول نفسها في سرعة ودقة؛ لتسعف هذا اللص العنيد، ثم نزلت تجري على صيدلية من النوع الذي يفتح أبوابه ليلًا، كخدمة ليلية لتشتري احتياجات الحالة الطارئة تلك من مضادات حيوية، ومضادات التهاب، وكريمات طبية، وشاش وقطن، وقضت الليل تعمل حتى غلبها النوم، فنامت جالسة في مكانها، وحين طلع الصبح، وربت شعاع الفجر على كتفها، وعاكستها أضواء شمس الصباح الصاعدة على عرش السماء، حتى انتبهت لنفسها، فقامت ونزلت لمطعم الدار، وعادت بصينية محملة بالفطور واللبن والعسل والخبز،

وما أن فتحت الباب حتى أفاق اللص من جديد، وقام مترنحًا بضعف يبحث عن سلاحه من جديد؛ ليعيد كرة التهديد والوعيد، فنظرت نحوه أميرة وقالت:

- الحركة ممنوعة، جرحك خطر.

فصاح فيها بغضب:

- اخرسي، مالكيش دعوة بيا وبجرحي.

فأشاحت أميرة بيديها نحوه وقالت:

- أنت فعلًا مجرم عدواني مثير للشفقة.

تلفت اللص حوله وأخذ يبحث عن سلاحه ويصيح بوهن وضعف:

- هاقتلك.

فمدت يدها نحوه بكوب من اللبن وقالت:

- دلوقتي لازم تشرب ده؛ لأنك نزفت كتير من دمك، لازم تعوض اللي فقدته.

فتذمر، وحاول أن يقوم، فرفعت أميرة السلاح صوب رقبته وقالت:

- أنت من غير سلاحك ما تساويش حاجة، وكفاياك حماقة ومكابرة وعدوانية، هتعمل اللي أقولك عليه وإلا هضطر لطلب النجدة، اصل أنا مش عاوزة قتيل في أوضتي.

وصاحت فيه بقوة وحزم:

- اشرب اللبن يلا وبسرعة.

فمد يديه وشرب الحليب، فصنعت له ساندوتش من الخبز المحشو بالعسل والزبدة وقالت:

- وده كمان.

فأخذه منها دون أن يبدي اعتراضًا، وأكله صامتًا، وقامت أميرة، وجمعت أغراضها وقالت:

- ودلوقتي أستأذن جنابك لو معندكش مانع سيادتك، علشان عندي ندوة علمية مهمة ما أقدرش أفوتها، ساعة ولا ساعتين وهرجع، تكون نمت فيهم، علشان تفوق وتحرمني من شرف زيارتك بسرعة؛ لأني اتخنقت.

فلم يجبها، وظل صامتًا متكورًا في مكانه، فاقتربت منه وقالت:

- على فكرة لو عاوزة أبلغ عنك كنت عملتها وأنت غايب عن الوعي، ودلوقتي اسمح لي سموك علشان اتأخرت.

وجذبت من تحته الغطاء وأسدلته عليه، وأغلقت ستائر الغرفة ومضت، بعد أن تركته غارقًا في حيرته وشكوكه منها وفيها، وعادت أميرة فوجدته ما زال نائمًا لا يدري بالدنيا من حوله، وما أن أضاءت الغرفة حتى رفع يده السليمة أمام عينيه حتى لا يزعجه الضوء، وتذمر وبدأ يصيح فيها من جديد، فمدت له يدها بصينية الطعام، وعليها طعام صحي ساخن وقالت:

- دلوقتي جه معاد الغدا، لازم تاكل علشان تاخد الدوا بتاعك في معاده، خادمتك المطيعة جيبالك الأكل، يا ريت تتكرم وتقوم تاكل وتخلصني.

- وأنا مش عاوز أكل.

- ما هو أنت لازم تعرف إني أنا دلوقتي اللي بأمر، وأنت اللي لازم تطيع، وغصب عنك، وأنا كمان ما بحبش الناس اللي مش مطيعة، وسبق وفهمت سيادتك إنك من غير سلاحك ماتساويش، ولازم تعرف إني مش بعمل معاك كده تعاطفًا ولا شفقة، أنا بعمل كده علشان أنا دكتورة، ما بستحملش أشوف

كلب ولا قطة ولا حتى فار تجارب بيتألم، وثانيًا لأني سبق وفهمتك بردو إني مش عاوزة قتيل في أوضتي.

فأنزل يده من على عينيه ونظر في عينيها نظرة تشع غضبًا واعتراضًا، فردت أميرة نظراته الغاضبة المعترضة بمثلها، وهي ما زالت ممسكة بصينية الطعام، ولكن ما أن أنزل يديه وظهرت ملامحه بوضوح أمامها وزادت عيناه العسليتان العميقتان توهجًا تحت الضوء حتى سقطت أميرة في عمق عينيه دون أن تدري ماذا دهاها، وما الذي ألم بها في دقائق معدودات.

كانت نظراته الغاضبة سهام سحر وقوة اخترقتها منذ أن وعت لملامحه، حتى أنها كادت أن تسقط الصينية من يدها، وتزاحمت الكلمات والأفكار والمشاعر داخل قلبها المغلق على طموحها ودراستها، وصمتت واجمة لا تنطق فمد يديه وسحب الصينية من بين يديها وقال لها:

- ما اتعودتش أعمل حاجة أنا مش عاوزها، ثم وضع الصينية بسرعة وخفة وجذب أميرة من شعرها ولفها أمامه حتى كان ظهرها ملاصق لصدره، وأحكم وضع ذراعه على رقبتها يخنقها، وسمعت صوته الصادر من خلفها بفمه الملاصق لأذنها يقول لها:

- جميلك ده ما يدكيش الحق في إهانتي، واللي ما تعرفيهوش إني ما بيأثرش معايا سلاح، وأنا بسلاح وبدون سلاح بعمل اللي أنا عاوزه، في أي وقت عاوزه، فهمتي ولا لازم تجربي؟

ودفعها بعيدًا، فوقعت على وجهها، قامت وأصلحت ثيابها وشعرها وقالت:

- فعلًا أفعال لصوص ومجرمين، مجرم زيك لازم أعرف إنه ما يأثرش فيه معروف، هستنى إيه من واحد زيك غير عدوانية وعنف وهمجية؟

أخرج اللص من جيبه سجائره وولاعته، وأشعل سيجارته، واعتدل في جلسته وقال:

- اسمك إيه يا آنسة؟

- أنت مالك؟

- أنا آسف، ما تزعليش مني، أنتِ اللي استفزتيني يا آنسة.

- أنا كمان اللي أنقذت حياتك، وقضيت الليل أمرضك، ونزلت في نص الليل أجيبلك الدوا.

- آسف يا آنستي، وصدقيني مش هنسى معروفك ده، وفي يوم من الأيام هردهولك.

- أشكرك، رد جميلي اللي أنا عاوزاه إنك تتكرم وتنهي حصارك بقى، وتمشي وتسيبني في حالي.

- همشي، ولكن اوعديني إنك تنسي ملامحي وشكلي، وكأنك ما شوفتينيش.

فسرحت أميرة قليلًا في ملامحه الجريئة الحادة الوسامة، وقالت وهي كاذبة طبعًا:

- أنا ما بحتفظش بالملامح في مخيلتي أكثر من ثلاث دقائق، ثم إني ما دققتش النظر في وشك، أنا كنت مشغولة بجرحك وتخفيف ألمك.

اعتذر لها للمرة الثالثة، ثم قال:

- هقوم حالًا وأرجع من مكان ما جيت، ولكن ائذني لي بإني أبقى لحد ما الليل يليل.

- مفيش مانع، ولكن من فضلك كل طعامك علشان تشرب دواك؛ لأن حالتك مش بسيطة.

فنظر لها صامتًا، فقامت، وجلبت الصينية، ووضعتها أمامه وقالت:

- اتفضل يا... هو أنت اسمك إيه؟

- اسمي الحقيقي ولا اسم الشهرة؟

- قول اللي أنت عاوز تقوله.

- ناديني بفهد، أصدقائي بيسموني فهد.

- وده أكيد اسم الشهرة، والسبب طبعًا معروف.

- وأنتِ اسمك إيه؟

- أنا مليش اسم شهرة ينادوني به صديقاتي.

- وأنا قررت أناديكي بملك؛ لأنك فعلًا ملك هبط عليا من السما.

ضحكت أميرة وقالت:

- مش أنا اللي هبطت من السما، أنت اللي هبطت عليا في ليلة سودا مع يوم زحل، مطرة وبرق وريح وحرامي، شوفت الحظ؟

فضحكا معًا، وقال:

- أنت طباخة ماهرة يا ملك، الأكل يجنن، وأنا فعلًا كنت ميت من الجوع.

- وهو أنت جنابك فاكر إن أنا كمان وقفت أطبخلك؟ أنا دكتورة مش أم عبده للأكل البيتي، دي الطباخة بتاعة الدار بتاعنا، أنا ما عملتش غير إني اشتريت لها الأكل وهي عملته.

فشكرها ثم قام ليودعها، ويعتذر لها عن سوء خلقه معها، وقلة ذوقه، فتقدم ناحيتها معتذرًا، فلاحظت طوله الفارع، وجسده الرياضي القوي، وسرحت من جديد، ولم تسمع شيئًا مما كان يقوله، ولم تفق من غيبوبتها إلا وهو يخلع سلسلته الفضية ويضعها أمامها.

تعجبت أميرة وقالت:

- إيه ده يا فهد؟

- ما أنا كنت بقولك إني معييش فلوس أردلك بيها تمن الدوا والأكل والفيزيتا كمان بتاعتك، فخدي دي في المقابل، وصدقيني تمنها غالي، ده غير إنها غالية عندي كمان.

- وأنا ما طلبتش منك حاجة في المقابل، واتفضل خد حاجتك ومع السلامة.

- هتاخديها؛ لأني ما اتعودتش آخد حاجة من غير مقابل.

فقالت بلهجة متحدية:

- وأنا إيه اللي يضمنلي إنها متكونش مسروقة هي كمان؟

فنظر فهد لها بغضب وقبل أن ينطق بكلمة دق أحد باب الغرفة دقات متلاحقة مزعجة، وقال الصوت:

- افتحي يا أميرة، الشنط تقيلة جدًّا، يا أميرة افتحي الباب بسرعة.

فاضطربت أميرة ونظرت لفهد وقالت:

- دي مروة صديقتي وزميلتي في الأوضة، من فضلك امشي من هنا بسرعة لو سمحت.

فمد فهد يديه بالسلسلة الفضية وقال:

- مش همشي قبل ما تاخدي السلسلة.

وزادت الدقات على الباب، فجذبت أميرة السلسلة من يده وقالت:

- من فضلك بقى امشي بسرعة.

فنظر لعينيها طويلًا، فصرخت فيه:

- امشي يا فهد من فضلك لو سمحت.

فاستدار نحو الشرفة، فنادته أميرة ما تنساش تاخذ معاك الدوا، تاخده تلات مرات يوميًّا لمدة أسبوعين.

فأخذ الدواء منها، وهو ينظر لها نظرة غريبة، لم تستطع أميرة تفسيرها، ثم استدار وخرج من الشرفة؛ ليختفي بعيدًا، ويغرق في ظلام الليل المنسدل خلف أسوار الشرفة.

فتحت أميرة الباب لصديقتها وهي تتظاهر بالنوم، فدخلت مروة غاضبة، ووضعت حقائبها، والتفتت لأميرة وقالت:

- واضح جدًّا إنك كنتي نايمة، صينية طعام في سريري، وفوضى في كل مكان، هو في إيه يا أميرة؟

فلم تجبها أميرة؛ لأنها كانت في عالم آخر:

- ده في كمان شاش وقطن، هو أنتِ عملتي عملية جراحية وأنا غايبة؟

لم ترد أميرة على أسئلة مروة المتعجبة حتى قالت لها مروة:

- لا أنا هقوم أنادي حد من العاملات يلم الفوضى دي، أنا مقدرش أقعد كده.

فأفاقت أميرة وقالت لها:

- أرجوكي يا مروة، ما تناديش حد، أنا هنضف كل شيء، بس أنتِ اوعي تنادي حد.

فتعجبت مروة، وظلت تنظر مستفسرة وحائرة نحو أميرة، التي قامت تنظف وترتب بكل نشاط، حتى فرغت من عملها وقالت:

- تؤمريني بشيء تاني يا ستي؟

- أنا عاوزة أعرف إيه اللي حصل في غيابي.

- بكرة يا صديقتي، أنا هموت من التعب، أرجوكي تأجلي كلامنا لبكرة.

فنظرت مروة فوجدت سلسلة فضية ملقاة على وسادة أميرة، فتساءلت من جديد:

- إيه ده يا أميرة؟ أنتِ من إمتى بتشتري فضة؟

فجذبتها أميرة من يدها:

- قولنا بكرة يا مروة، بكرة هقولك كل حاجة، دلوقتي سيبيني أنام من فضلك.

ولم تنتظر منها إجابة، واستلقت على فراشها، وغابت في نوم عميق بملابسها التي لم تغيرها منذ يومين، واستيقظت أميرة على نفس الحلم الغريب الذي اعتادت رؤيته، فقامت قلقة، ثم مضت وأخذت حمامًا دافئًا، ومشطت شعرها، وجلست على فراشها ضامة ركبتيها نحو صدرها، تستجمع أفكارها وتعيد ترتيب الأحداث الغريبة التي رأتها ليلة أمس، ثم تذكرت شيئًا، فمدت يدها وأخرجت السلسلة الفضية من تحت وسادتها، وأخذت تنظر لها، وتحدث نفسها، وأخذت تجوب بنظرها كل أرجاء غرفتها، سارحة في عالم بعيد، وكلما نظرت تلفتت حولها لا ترى غير فهد، وعين فهد، ونظرات فهد، ولم تستطع أبدًا

التخلص من إحساسها بالغرق في بحر عينيه العسليتين، ولم تجد تفسيرًا لذاكرتها العنيدة التي لم تحتفظ مسبقًا بغير كتبها وأبحاثها، وما الذي استوقفها هذه المرة في ملامح لص مجرم هارب، وهي التي لم يكن كل من تعاملت معهم من أطباء أو معيدين أو حتى زملاء دراسة غير كائنات مثلها تشاركها كوكب الطب والأدوية والتشريح، فما الذي دهاها؟ وما الذي ألم بها هذه المرة؟ إلى أن طلع الصباح عليها وهي بهذه الحالة، واستيقظت مروة فقامت تتمطأ، فوجدت أميرة بوضعها هذا فنظرت نحوها وقالت:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، في إيه يا أميرة؟ عاوزة أعرف.

فنظرت نحوها أميرة ثم قامت من فراشها:

- مفيش حاجة يا مروة، كل ما في الأمر إني لقيت قط جريح، فأخذته وفكرت في إني أداوي جرحه، وأطبق بالمرة اللي اتعلمته في كتب الطب.

- قط في غرفتي وفي سريري؟ وجريح كمان؟ دي حاجة حلوة جدًّا.

- أنتِ عارفة إن دراستي في الطب بتخليني أشرح الحيوانات دي في معمل الكلية؟

- في معامل الكلية مش في غرفة نومنا يا أميرة.

- أوعدك بإنها المرة الأخيرة اللي أعمل فيها كده.

- وفين القط المسكين ده؟

- هرب وتركني بعد كل ما فعلته من أجله.

- ده إيه القط الندل ده؟ بصي هعمل نفسي مصدقة قصتك الغريبة لأني عارفة إنك هتقوليلي الحقيقة، بس ممكن أعرف اسمه إيه؟

فقالت لها أميرة بارتباك:

- هو مين ده؟

- القط، بسألك عن القط المسكين، القط الجريح.

سرحت أميرة بعينيها نحو الشرفة وقالت:

- اسمه فهد، أقصد إنه يشبه الفهد إلى حد كبير، أصل عيونه واسعة وجريئة وقوية زي عيون الفهد تمام.

- طبعًا ما هو بيدخن سجاير أمريكاني.

وأمسكت أعقاب السجائر التي خلفها فهد وراءه قبل أن ينصرف، فارتبكت أميرة وقالت:

- مروة، هحكيلك كل شيء، ولكن اوعديني ما تقوليش لحد شيء أبدًا.

ربعت مروة ذراعيها، وثبتت عينيها صوب عيني أميرة بنظرة لوم، وقالت:

- أنا سمعاكي، اتفضلي بقى فهميني.

فتلعثمت أميرة، ولم تجد أمامها سوى أن تقص على صديقتها ما حدث معها كله ليلة أمس، غير أنها احتفظت لنفسها بمشاعر اقتحمتها وعصفت بكيانها حين أطلت في عيني فهد العميقتين، لم تقل لها ما ألم بها وبتسارع دقات قلبها وبحيرتها وقلقها وقت أن رحل وتلاشى في الظلام بعيدًا، لم تقل لأنها لا تستطيع حتى أن تقول لنفسها شيئًا من هذا كله، لا تستطيع أن تفهم كيف للعقل الذي أتقن تفسير نظريات الطب والتعمق في فهم الشرايين والأوردة المسئولة عن كل ضمة ونبضة وحركة يعجز عن تفسير رجفة اعترتها وقت أن أضاءت النور وأطلت في عيني لص عدواني هارب هبط عليها من شرفة حجرتها، ورحل من الشرفة كما يليق بلص، وما أن فرغت من حديثها حتى جذبتها مروة لصدرها وعانقتها وقالت لها:

- حبيبتي يا أميرة، كنت حاسة من ملامح وشك إن في حاجة كبيرة حصلتلك، لكن ما اتخيلتش ده أبدًا، ده أنتِ قضيتي ليلة صعبة ومرعبة قوي، أنا آسفة يا صحبتي، المجرم الحقير ده لازم نبلغ عنه الشرطة علشان تقبض عليه، وتنتقملك منه.

- لا يا مروة، ما أقدرش، ما أخدتش بالي من ملامحه علشان أوصفه؛ لأني كنت خايفة اوى منه.

فقالت لها:

- بس السكوت هيعرضك لتهمة التستر على مجرم، دي تهمة صريحة وواضحة بندرسها في قانون العقوبات في كليه الحقوق.

- ومين هيعرف بس لو بقى الموضوع سر بيني وبينك؟ من فضلك يا مروة كلميني في أي حاجة تانية، وما تفتحيش الموضوع ده تاني؛ لأني بجد عاوزة أنساه.

جذبتها مروة لذراعيها من جديد، وأخذت تربت عليها بحنان صديقة خائفة على صديقتها، وهدأت من روعها بكل ما تستطيع، ولكن هيهات، فقد كانت أميرة ساكنة وثابتة، وبداخلها زلزال عاصف، وإعصار مدوٍّ قد أطاح بها، ورماها بعيدًا عن حدود العقل والمنطق، والجائز والمفروض.

جلست مروة على فراشها ضاحكة، ورفعت يدها، وقلبت كفيها أمام عيني أميرة، وهي تضحك وقالت:

- أنتِ مش ملاحظة حاجة؟

- نعم؟ قولتي حاجة يا مروة؟

- لا انسي اللي حصل امبارح ده خالص، وخليكي معايا شوية.

ثم رفعت يدها من جديد وقالت:

- قوليلي بقى بجد، مش ملاحظة حاجة عليا؟

صمتت أميرة، فقالت لها مروة وهي تظهر دبلة تحتض إصبعًا في يدها اليمنى:

- أنا اتخطبت في الأجازة يا أميرتي.

ضحكت أميرة وقالت:

- مبروك يا صاحبتي، بالسرعة دي؟ ومن غير ما أعرف كمان؟

- ازاي وأنتِ صاحبة الفضل في ده؟ لأني اقتنعت بكلامك إن مفيش حاجة اسمها حب، وإن العلاقات الجادة هي اللي تقوم على العقل والتكافؤ، عارفة دكتور أشرف اللي بيدرس لنا جنائي في الجامعة واللي ما بيضحكش أبدًا ده؟

- سمعت عنه منك كتير.

- ده يا بنتي كان مجنن الدفعة كلها، أهو هو ده خطيبي، تصدقي يا أميرة؟ بس والله طلع بيعرف يضحك.

فضحكت أميرة وقالت:

- المهم تكوني مقتنعة.

فقالت لها مروة:

- الصراحة هو مقنع، مركزه العلمي شيء تفتخر بيه أي بنت، ومستواه الأدبي والمادي، ومن عيلة كبيرة جدًّا على فكرة، هلاقي في مين الميزات دي كلها؟ ده أنا عيلتي كلها سعداء وفخورين بيه جدًّا.

- المهم تكوني أنتِ سعيدة بيه.

- والله يا صاحبتي أنا استعرت شخصيتك، واستحضرت عقلك وكلامك، فلقيتني وافقت على طول، مش أنتِ اللي دايمًا كنتي تقولي إن العلاقات زي المعادلات الكيميائية، علشان تنجح لازم تكون نسب المعادلة متكافئة في الخاصية ومطابقة لجدول الدراسة والمنطق؟ أهو أنا عملت زي ما أنتِ قولتي بالظبط، درست الخواص، واستشرت المنطق، وجات النتيجة في آخر المسألة إيجابية، والمعادلة صحية، فوافقت، ويلا بقى نفطر؛ لأني هموت من الجوع.

- لا انزلي أنتِ افطري، أنا ماليش نفس.

فجذبتها مروة من يدها وقالت:

- وأنا مش هنزل من غيرك، قومي بقى وما تبقيش رزلة، ولا أهددك زي الحرامي بتاع امبارح علشان تسمعي كلامي؟

وضحكت مروة وحدها، أما أميرة فنظرت لها نظرة شاردة، ولم تجبها، ولكنها نزلت معها لتتناول إفطارها في مطعم الدار رغم أنها لا تريد كي تكف مروة عن التساؤل والإلحاح.

قضت أميرة نهارها في فراشها ممسكة بالسلسة الفضية، وعقلها في عالم آخر، أما مروة فنزلت تقابل زميلاتها العائدات من إجازتهن، وغابت النهار كله وعادت ويدها محملة بالطعام لأميرة التي ادعت النوم حتى لا تكلم أحدًا منهن، وهي في واقع الأمر مستيقظة، لكنها عازفة عن الحديث، وجاء الليل وهي على نفس الحالة، فدخلت إليها مروة ومعها الزميلات، وأخذن يجذبن الغطاء من على أميرة، ويمزحن معها، فقامت رغمًا عنها تضحك لهن وهي لا تسمعهن، ثم أخذن يقصصن على بعضهن أخبار الإجازة، وما جد فيها عليهن من جديد.

قالت إحداهن وكانت تدعى ندا:

- أنا كنت بعد الساعات، وكان نفسي أرجع بفارغ الصبر، مازن كان واحشني جدا، وما كنتش عارفة حتى أكلمه.

فاجابتها مروة:

- بقولك إيه؟ بلاش الكلام ده قدام أميرة، مش ناقصين وصف كيميائي علمي طبي لطبيعة مشاعر عقلية المرأة التافهة في مواجهة معادلات العلاقات السطحية الساذجة.

فضحكن جميعهن إلا أميرة، التي فاجأت الجميع بسؤالها لندا:

- إيه اللي عجبك في مازن يا ندا؟

فصمتت ندا للحظات وقالت:

- حبيته يا أميرة، حبيته يا صاحبتي.

- يعني إيه حبيته؟ وازاي تعرفي إن أنتِ حبيتيه؟

- أهو ازاي دي مالهاش أي تفسير، شعور علشان تعرفيه تسمعيه في أغنية للست أم كلثوم، تحسيه في قصيدة لنزار قباني، تقريه في رواية لإحسان عبد القدوس، إنما تعبري عنه صعب، بس أنتِ فاجئتيني بالسؤال ده يا أميرة.

فأجابتها مروة:

- دي بس علشان تحرجك وتقنعك إن الشيء اللي ما تعرفيش توصفيه يبقى مالوش وجود غير في خيالك المريض، ودي حالة معروفة في الطب النفسي

اسمها الإيحاء والهلاوس، ومن الممكن أن تترجم لأمراض عضوية اسمها الأمراض السيكوسوماتية، أمراض عضوية سببها نفسي.

وضحكن للمرة الثانية جميعًا إلا أميرة، فنظرن لبعضهن في تعجب وقلق من حال أميرة فقالت مروة:

- معلش يا جماعة، أصل أميرة تعبانة من امبارح جدا، يلا نخرج ونسيبها تستريح، وأخذتهم لخارج الغرفة وعادت لصديقتها وقالت لها:

- أميرة، أنتِ لازم تخرجي من حالتك دي.

- أنا كويسة يا مروة، بكرة الدراسة تبدأ وأنشغل بالأبحاث والسكاشن والتشريح وأنسى، ما تقلقيش أنتِ بس عليا، وتصبحي على خير.

وأعطتها ظهرها لتنام، لكنها أبدًا لم تتذوق طعمًا للنوم.

وبدأت الدراسة، وباشرت أميرة دراستها وحياتها الطبية الواعدة، ولكنها لم تعد أميرة التي تعرفها، ولم تكف لحظة عن التفكير في فهد وما حدث لها معه، وكانت كلما أغلقت عينيها في الظلام رأته أمامها بنظراته، وكلما ساد الصمت حولها سمعت صوته العدواني وهو يهددها، وكلما أطلقت العنان لفكرها طاف بها فكرها في ومضات أحداث ليلتها الصعبة المروعة، بتفاصيلها القصيرة؛ لتتوقف صورته في

خيالها عند نظرة وداعه لها قبل أن يختفي بعيدًا في الظلام، ومرت الأيام وأميرة لا تنسى، ولا تستطيع أن تنسى، ولا تريد أن تنسى.

حتى جاء اليوم وهي عائدة من كليتها، شاردة كعادتها، فوجدته أمامها ينظر نحوها ويبتسم ابتسامة رائعة، لا تقل عن عينيه سحرًا، فرفعت عينيها نحوه وابتسمت هي الأخرى ابتسامة باتساع محيط الكرة الأرضية، فمد يده نحوها، فوضعت يدها في يده، ومضت بجانبه صامتة مكتفية بالحديث الدائر بين عناق يدها في يده، ومشيا كثيرًا كثيرًا، لا تعلم أين تأخذها قدماها، وأين يمضي بها فهد.

ومشيا معًا كثيرًا بخطوات متسقة منتظمة، وكأنها عرض سير لمهرجان عيد لقائهما، ويدهما تحتضنان بعضهما وكأن الفراغات التي بين أصابع فهد خلقت لتنام فيها أصابع أميرة، كان كل ما فيهما يحدث الآخر بلغته، نظراتهما تتحدثان، خطواتهما تتحدثان، تشابك أصابعهما موضوع نقاش ممتد، حتى تقدم وفتح لها باب عربة حمراء رائعة بسقفها المكشوف، فركبت صامتة، فأدار هو كاسيت السيارة على أغنية سيرة الحب لأم كلثوم، وانطلق بها على كورنيش إسكندرية في جو خلاب من السحر؛ حيث رائحة البحر، وموجات هواء شقية تطير شعر أميرة، وصوت أم كلثوم، وابتسامة فهد، وكان لقائهما الصامت كحلم جميل، ثم أوقف العربة، ونظر نحوها وابتسم، وقال لها:

- أظن إن ده معاد غداكي على ما أفتكر يا دكتور.

- ذاكرتك قوية، وأنا فعلًا جعانة.

وكانت تلك أول كلمة يتبادلانها منذ ساعة، هي عمر لقائهما معًا، كان كل حديثهما خلالها نظرات متبادلة، وابتسامة متسعة تعبر عن سعادة غامرة تعتريهما معًا، ثم فاجأها فهد قائلًا:

- أنا عمري ما حسيت إني سعيد زي سعادتي معاكي دلوقتي.

وقبل أن تجيبه أميرة بأي حرف، استوقفه موتوسيكل للمرور واقترب منه وقال:

- اركن على جنب لو سمحت.

فرد فهد:

- وليه يا حضرة الظابط؟

فأمره بغضب و بصياح:

- قلت اركن على جنب .

فنظر له فهد بحدة وأدار السيارة، وانطلق بأقصى سرعته ووراءه الضابط مطاردًا له، وجاب فهد شوارع الإسكندرية كلها فرارًا من الضابط، ثم أمسك تليفونه وطلب رقم صديقه وقال له:

- قولي يا فتحي، هي العربية اللي أنت اديتهاني دي مسروقة؟

فرد عليه الطرف الآخر بإجابة لم تسمعها أميرة، ولكنها فهمت من رد فهد حين قال له:

- الله يخرب بيتك يا فتحي، هو أنت ما تعملش حاجة عدلة في حياتك أبدًا؟ أقولك دبرلي عربية حلوة تجيبلي عربية مسروقة؟ طبعًا أنا اللي غلطان، حرامي زيك هيدبرلي عربية ازاي غير بالسرقة؟

فرد عليه الطرف الآخر ردًّا جعله ينفجر من الضحك ويقول:

- لا هي العربية فعلًا حلوة، اقفل يا فتحي وبطل ظرف دمك بدل ما آجي أفتح نافوخك، الله يخرب بيتك.

ثم التفت لأميرة وقال لها:

- امسكي نفسك كويس يا ملك.

وقبل أن تجيبه بأنها ليست ملك، وأن اسمها أميرة، أدار فرامل اليد لتدور السيارة حول نفسها ويسير بأقصى سرعته عكس اتجاه السير، وأميرة بجانبه مذعورة متمسكة بكل ما تقع عليه يدها.

وقطع فهد الطريق المقابل للبحر من كورنيش الإسكندرية بسرعة جنونية أصابت عداد سرعة العربية بالهياج، متسببًا في تصادم العربات المقابلة له من جراء سيره عكس الاتجاه بالتصادم والفوضى، حتى وصلت بهما العربة إلى آخر حدود كورنيش الإسكندرية قرب قلعة قايتباي، فترك فهد السيارة وجذب أميرة من يدها، وترجلا جريًا، ثم قفز من على سور الكونيش، وحمل أميرة من وسطها، وأنزلها معه، وتقدم نحو مركب صيد صغيرة كانت مربوطة بجانب الشط، فقالت له أميرة:

- هتعمل إيه يا فهد؟

- هرجعك ما تقلقيش.

وفك رباط المركب، ودفعه نحو البحر، فقالت له:

- فهد، هتعمل إيه؟

- قولتلك ما تقلتيش.

وجذبها من يدها نحو المركب وهي لا تعلم ماذا تفعل، أما هو فجدف بالمركب بعيدًا بعيدًا عن الشاطئ وهي تصرخ:

- أنا بخاف من البحر يا فهد.

- حد يخاف من البحر بردو.

- قولتلك أنا بخاف من البحر.

- قولتلك ما تخافيش، ماتخافيش أبدًا طول ما أنا معاكي.

وجدف بعيدًا بعيدًا عن الشاطئ، حتى ابتعدا كثيرًا كثيرًا، وبدت لهما العمارات كمكعبات صغيرة بعيدة، وأميرة تصرخ وتصيح وهو يضحك مهددًا ومهدئًا، وساخرًا من خوفها.

وابتعدا كثيرًا عن اليابسة حتى بدت المركب وكأنها نقطة خضراء في عرض البحر العريض، فترك المجداف من يده، وجاب بنظره القارب في نظرة سريعة، وضحك وقال:

- تصدقي الناس أصحاب المركب ده ذوق اوى ؟ مجهزين سنارتين صيد، وطعم، وشوية فحم، وحاجة عظيمة، بس تقريبًا نسيوا يجيبوا العيش، بصي إيه

رأيك نصطاد؟ مش أنتِ جعانة؟ أنا بقى هأكلك سمك إنما إيه، طازة من البحر على بوقك على طول.

فنظرت نحوه صامتة مزهوله مما حدث ويحدث منه اما هو فرمى السنارة في البحر بعد أن وضع فيها طعمه فحدثته متعجبه منه ومن حاله قائلة .

- إيه اللي أنت بتقوله وبتعمله ده؟ وإيه الروقان اللي أنت فيه ده؟ أنا مش فاهمة أي حاجة في أي حاجة، مش كفاية ركبتني عربية مسروقة، واتسببت في خمسوميت حادثة على الطريق، كمان تسرق المركب من على الشط، وتدخلني لعرض البحر وتقولي ما تخافيش؟ وبعدين ما أخافش ازاي وربنا يسترها معانا ازاي مع واحد زيك حرامي وواحدة زيي مجنونة؟

- ممكن يكون كلامك صح، لكن من فضلك أنا ما سرقتش المركب، دا أنا استعرتها وبس، وده علشان أقدر أروحك بيها.

- ده على اعتبار إني ساكنة في جزيرة جوه البحر؟

فنظر لها وقال:

- يا ريت يا ملك، يا ريتني أعيش معاكي على جزيرة في البحر.

ثم انتبه من سرحانه على سنارته وقد اجتذبتها سمكة كبيرة، فضحك فهد، وقفز من الفرحة، وقال لها:

- ثواني والغدا هيكون جاهز يا سمو الأميرة.

واخرج سمكة كبيرة وضحك وصفق بيديه متهللا" وسط زهولها منه ثم اصطاد غيرها وغيرها، وقال لها

- رزقنا واسع ياملك

- ولو إني نفسي أزقك في البحر دلوقتي وأخلص منك، لكن أنت طلعت صياد ماهر كمان .

فضحك وقال لها:

- أنتِ اللي وشك حلو؛ لأني أول مرة أصطاد في حياتي.

ثم أخرج ولاعته وأشعل الفحم، ووضع السمك على الشواية:

- أنت حد مش معقول يا فهد.

- على فكرة، أنا ما اسميش فهد، أنا اسمي..

وقبل أن ينطق، وضعت يدها على فمه، وقالت:

- مش عاوزة أعرف اسمك الحقيقي، وسيبني أناديك فهد.

فأمسك يدها الموضوعة على فمه وقبلها، ونظر في عينيها بعينيه العميقتين، فارتبكت أميرة، وجذبت يدها منه، فابتعد عنها، وقال لها:

- احنا هيبقى عندنا مشكلة كبيرة جدا، إن ريحتنا هتبقى سمك،

-فحم و زفارة وسمك يعمعع

- هنعمل إيه يعني؟ أصحاب المركب دول ما كانوش قادرين يحطوا صابون يعني؟ جايبين كل حاجة جت على الصابون؟

- أكيد كانوا هيجيبوه مع العيش وهمه جايين.

فضحكا معًا وتناولا السمك بعد أن نضج، ثم نظرت أميرة لفهد وقالت:

- أظن حان وقت الرجوع، الشمس قربت تغيب.

فنظر فهد لها وقال:

- ما كنتش عاوزها تغيب أبدًا يا ملك.

- على فكرة أنا ما اسميش ملك، أنا اسمي.

فوضع يده على شفتيها وقال لها:

- أنتِ ملاكي الحارس، أنتِ بالنسبة لي ملك، إحساسي بيكي وكأني شيطان ونزله ملك من السماء.

فازاحت يده ممتعضة وقالت ...

- وأنت إيدك ريحتها سمك وظفارة يا فهد .

فضحكا معًا، وجدف بها من جديد حتى أعادها للشاطئ، ثم أشار لتاكسي وأركبها فيه، ونظر لها نفس نظرة الوادع التي ودعها بها حين هبط عليها ليلًا في غرفتها، فقالت له:

- هشوفك تاني يا فهد؟

- أكيد هتلاقيني جنبك في كل وقت، باي يا ملاكي.

وأشار لها مودعًا، وانطلق التاكسي عائدًا بها، وعادت أميرة لدارها السكنية سعيدة تتراقص فرحًا، وسعيدة كأنها كانت في حلم طفولي مجنون، وما أن دخلت الغرفة حتى وجدت مروة غاضبة، وفي حالة شديدة السوء، وما أن وقعت عيناها في عين مروة حتى صاحت فيها مروة:

- قولتلك يا أميرة لازم تبلغي البوليس بمواصفات المجرم اللي شوفتيه.

فارتبكت أميرة وقالت:

- وأنا قولتلك يا مروة ما تفتحيش من فضلك الموضوع ده تاني.

فردت مروة بغضب:

- ازاي والمجرم ده حاول يعتدي على واحدة في العمارة اللي ورانا؟ ولما صحي ابنها طفل عنده خمس سنين حاول يخنقه، ده وحش مش بني آدم، ازاي يعيش حياته حر طليق وأنتِ عارفة شكله وتقدري تدلي البوليس عليه وتجيبي حق الست الغلبانة وابنها الطفل البريء، إيه السلبية اللي أنتِ فيها دي؟ خايفة على نفسك للدرجة دي ولا خايفة عليه؟

فصاحت فيها أميرة:

- من فضلك يا مروة حاسبي على كلامك واعرفي أنتِ بتقولي إيه.

- اعرفي الأول أنتِ بسكوتك ده بتعملي إيه، بتضيعي حق ست مسكينة وطفل هو دلوقتي بين الحياة والموت، ربنا ينتقم من المجرم ويحرق قلبه على أهله زي ما بيعمل في الناس.

وخرجت ودفعت خلفها الباب بعصبية كادت أن تخلع معها باب الغرفة، ولكن ما انخلع فعلًا كان قلب أميرة، فجثمت على ركبتيها تبكي وتبكي، ولا تصدق ما سمعت، ولا تتخيل كيف لفهد أن يكون بمثل تلك الوحشية والسفالة، وكيف

لقلبها الضعيف أن يتستر على مجرم سافل كفهد، وهي المتعلمة المتدينة التي تعرف الله وتخافه، وقبل أن تعود مروة تصنعت أميرة النوم، وتدثرت في فراشها باكية يعتصر الألم قلبها، ويعصف الحزن بروحها.

ومرت ساعات الليل طويلة كئيبة حتى طلع الصبح، وصعدت الشمس على عرش السماء، فقامت أميرة وحزمت أمرها على أن ترضي ضميرها وتتخلص من حمقها وضعفها، ومضت نحو أقرب قسم للشرطة لتدلي بمعلوماتها التي تعرفها عن فهد، وما أن اقتربت من قسم الشرطة حتى عادت وتباطأت، وتراجعت وأجلت قراراها حتى تنتهي من دراستها لليوم، فقد تذكرت أن وراءها سيكشن هامًّا لا تستطيع تركه، وارتاحت نفسها لتلك الحجة حتى تسكن ضميرها حالما تستجمع شجاعتها، وتستطيع أن تنجز قراراها، وقضت وقتها في الكلية سارحة لا تسمع ولا تفهم شيئًا، حتى فاجأها دكتور المادة بسؤال أربكها، وسمعت منه تعليقًا لم تسمعه في حياتها عن إهمالها وسرحانها أثناء محاضرة الشرح، فتركت المحاضرة وخرجت تبكي لا تعرف ماذا تفعل وإلى أين تذهب.

ومشت أميرة خطوتين، وفي الثالثة وجدته أمامها بشحمه ولحمه، ونظرات عينيه الجريئة، يبتسم وبراءة الأطفال في عينيه، وكأن شيئًا لم يكن، وما أن رأته أميرة حتى دفعته من أمامها وصاحت فيه سبًّا ولعنًا وإساءة، تجمع حولها المارة

متسائلين عارضين خدماتهم لمساعدتها، أما فهد فظل صامتًا ثابتًا ناظرًا في عينيها، وتركها تفعل كل ما تريد، وتقول كل ما تشاء، إلا أن تجمع المارة أخرجه عن صمته وصاح فيهم:

- إيه في إيه؟ خطيبتي وزعلانة مني، وبصالحها ماحدش له دعوة، وكل واحد يشوف حاله.

ودفعهم جميعًا بيده وهو يصيح بقوة وثقة، وباليد الأخرى جذب أميرة ومضى بها بعيدًا، وهي تبكي، حتى وصلا إلى عربة قديمة متهالكة، ففتح لها باب العربة وطالبها بالركوب فقالت:

- أنت عاوز مني إيه يا لص يا حرامي يا مجرم؟ أنت فاكر نفسك إيه؟

وتجمع مارة آخرون على صوتها، وعرضوا هم أيضًا خدماتهم على أميرة، فصاح فهد هذه المرة بعصبية أكبر فيهم أن يدعوه وشأنه هو وزوجته، ثم نظر لها وأمرها أن تركب العربة، فصاحت فيه من يظن نفسه ليأمرها، وما الذي يربطه بها ليعترض طريقها.

فصاح فيها بغضب ودفعها بقوة لداخل السيارة، فاستسلمت وركبت بجواره وهي تبكي وتبكي، والدموع ستائر منسدلة على نافذة عيونها وقلبها، فلا ترى شيئًا

أبدًا حولها، ولا تدري إلى أين هو ذاهب بها، وإلى أين هي ماضية بنفسها، أما هو فأشعل سجائره وقاد العربة بعصبية صامتًا، وقطع مسافة طويلة ترك فيها أميرة تبكي لتتخلص من كل انفعالها وغضبها إلى أن وصل بها إلى مكان بعيد في طريق إسكندرية الزراعي، فأوقف العربة في ظل شجيرات وارفة مثمرة على شط ترعة تمتد كثعبان نائم والتفت إليها وقال:

- أنا فعلًا مجرم وحرامي، بس حبيتك يا ملك.

فالتفتت له وقالت:

- وواحد زيك أنت يعرف إيه عن الحب؟ تلاقيك عاوز تسرقني، اتفضل الشنطة أهي، اتفضل خد اللي فيها وسيبني في حالي، اتفضل.

أخذ فهد من يدها الحقيبة ورماها في المقعد الخلفي للسيارة بعصبية، فقالت له:

- وتلاقيك سارق العربية الكفتة دي كمان، وساحبني وراك لما هيتقبض عليا معاك في يوم، ما هو أنا أصل أخري في معرفة واحد زيك إيه غير إني أبقى سوابق زيك، ويطلعلي ملف في الداخلية، وصورة ستة في تسعة ابحث مع الشرطة، ممكن ترجعني بقى لو سمحت؟ ومن فضلك مش عاوزة أشوف وشك تاني، وسيبني في حالي.

- هو ده بالظبط اللي أنا ناوي أعمله، بس كنت عاوزك تسمعيني دقيقتين لو سمحتي يا ملك.

- أنا ما اسميش زفت ملك، أنا اسمي أميرة، الدكتورة أميرة بنت الدكتور شاكر شريف، والدكتورة مفيدة العزبي، أشهر دكاترة في الوطن العربي كله، وبيشتغلوا في أكبر منظمة طبية في الشرق الأوسط كله.

- اتشرفنا يا دكتورة، وحاضر هرجعك، بس لو سمحتي اديني فرصة أوضحلك إن سكة الحرام دي ما مشتش فيها بمزاجي، أنا لاقيتها مفروضة عليا بعد ما أبويا مات وأنا لسه عيل عوده طري في تانية إعدادي، وأمي الله يسامحها بقى اتجوزت ورمتني في الشارع؛ لأني بقيت في نظرها راجل عنده ١٣ سنة ولازم يعتمد على نفسه، وباعت بيت أبويا وورشته، وأخدت فلوسهم وسافرت مع جوزها ما أعرفش فين، تفتكري ممكن أعتمد على نفسي ازاي وأشتغل إيه؟ مهندس زراعي؟ السكة دي اتجبرت عليها يا ملك.

- قولتلك ما اسميش زفت ملك، اسمي الدكتورة أميرة.

- ما بالراحة عليا شوية يا دكتورة، أنا لسه مريض ومصاب، كملي جميلك واسمعيني للآخر، وعلى فكرة العربية دي مش مسروقة، دي عربيتي، ورخصتها أهيه في جيبي.

- أنا كان لازم أسيبك تموت، أنت اللي زيك مش لازم يعيش في الدنيا، حيوان زيك يعتدي على ست في بيتها ويحاول يخنق طفل بريء، ما يستحقش الرحمة من أي حد، ولعلمك أنا هروح قسم الشرطة وأديهم أوصافك، وهبلغ عنك علشان تاخد جزاءك اللي تستحقة يا مجرم.

فالتفت فهد بعصبية شديدة وتناول شنطتها من على الكرسي الخلفي، وفتحها وأخذ يقلب فيها، ويفتش في جيوبها، وهي تنظر له بعجب ودهشة وخوف، إلى أن استخرج منها تليفونها المحمول وفتحه رغم شيفرة الباسورد التي عليه، وطلب رقم أحدهم وفتح الاسبيكر.

وبدأ حديثه مع أحدهم في موبايل أميرة ليسمعها ما يدور بينه وبين أحد أصدقائه:

- أيوة يا فتحي، عامل إيه يا زميل؟

- أنت فين يا ابني؟ وازاي تخرج والدنيا مقلوبة عليك؟ مش خايف تتمسك ولا تقابل ولاد الـــتيت دول تاني؟

- ما أنا قابلتهم، واتصالحنا وعرضوا عليا شغل جديد.

- أنت مجنون يا فهد ولا بتخرف؟ وازاي تقابلهم وتتعامل معاهم بعد اللي عملوه فيك؟ مش كفاية شغلهم الشمال لما كانوا عاوزين يتشطروا على حرمة ويموتولهم عيل وختمة عمايلهم الزبالة إنهم يحاولوا يموتوك لما تعقلهم وتمنعهم؟ بالذمة همة اللي عالم واطية وزبالة ولا أنت اللي أهبل ومخك جزمة لما تتعامل معاهم تاني يا زميل؟

- احترم نفسك، ومش وقت عتاب دلوقتي يا فتحي أنا كنت بهزر معاك.

- أما أنت رايق ودم أمك يلطش، علشان البوليس قالب الدنيا عليك، وأنت داير تتصرمح شمال ويمين ولا على بال أهلك، مش قادر تكنلك يومين لحد ما تسافر يعني؟

إلى هذا الحد وأغلق فهد الاسبيكر حفاظًا على مسمع أميرة الرقيقة وقال:

- خلاص يا فتحي، حط جلدة على حنفية بوقك ده واخرس شوية، أنا جاي على طول، ساعة زمن وراجع، غور في داهية دلوقتي.

وأغلق الخط، والتفت لأميرة وقال لها:

- كنت خايف تصدقي فيا الكلام ده، واللي حسبته لقيته.

- يعني أنت ما عملتش كده فعلًا يا فهد؟

- أقسم برحمة أبويا وبحبك اللي استوطن قلبي يا دكتورة أميرة إني مش أنا اللي عملت كده، وإني مش ممكن أعمل كده.

- ناديني بملك يا فهد، أنا بحب منك إنك تناديني بملك.

- وحياة ملك عمري وأميرة قلبي أنا عمري ما رضيت عن شغلتي دي، أنا اتغصبت عليها، الراجل الطيب اللي لاقاني وربانى زي ابنه كان بيكسر خزن، علمني شغلته، وعلشان سرعة وخفة حركتي اتشهرت في وسطنا الزبالة ده، وبقوا رجال الأعمال الكبار والناس الواصلة المبسوطة يطلبوني بالاسم، حد له شيك عند داين أروح أجيبهوله، حد ماسك ورق على حرامي من الحرامية اللي بحق وحقيق اللي لابسين بدل وبيضربلهم تعظيم سلام يطلبني أجيبهوله، لكني عمري ما نطيت على بيوت، ولا دخلت على حريم، ولا مديت إيدي على عيل، لحد الليلة المشئومة دي.

وأكمل حواره الصادق جدًّا وهو يصف لها ما حدث في تلك الليلة بالفعل:

- جاني اتنين «سو» وفضلوا يزنوا عليا، وفهموني إن البيت ده فاضي، والناس اللي فيه مسافرة، وإن الخزنة في أوضة المكتب، هكسرهالهم ونقسم الفلوس اللي فيها علينا، وافقت ودخلنا البيت، ورحت أنا أكسر الخزنة، أتاري مرات صاحب البيت نايمة في أوضتها، وفي حضنها ابنها الصغير، وفجأة سمعت صوات الست من أوضة النوم، دخلت لقيت رجب الوحش أبو كرش كاتم بق الست وصاحبه مكتف العيل، سبت اللي في إيدي وجريت أخلص الست وابنها، ناولوني بالمطوة في دراعي وهربوا، والباقي أنتِ عارفاه يا ملك، أحلفلك بإيه إني نفسي أتوب من زمان، وإني جيت النهارده علشان أعاهدك على التوبة قدامك وقدام ربنا، وأودعك لأني هسافر بعيد، وأبدأ حياتي من جديد في أي حتة بعيد، وعمري ما همد إيدي للحرام تاني.

- لا يا فهد، ما تسيبنيش، أنا اتعلقت بيك.

- وأنا حبيتك أكتر من أي شيء في الدنيا، أنتِ رجعتيلي ثقتي في الدنيا، وفي الناس، بعد ما كنت كرهت كل صنف الحريم من أمي الله ينتقم منها، ولقيتني غصب عني اتعلقت بيكي وحبيتك، ونفسي أعيش العمر كله أرد جميلك اللي عملتيه فيا، وعلشان كده هبعد عنك خالص؛ لأن اللي زيك مش لازم أبدًا يعرف واحد زيي.

وفتح درجًا في تابلوه السيارة، وأخرج مصحفًا صغيرًا، ووضع يده عليه وأقسم ألا يمد يديه للحرام مرة أخرى، وأن تكون توبته وميلاده الجديد على يد الدكتورة أميرة بنت الدكتورة مفيدة العزبي.

فضحكت أميرة والدموع في عينيها وقالت:

- ولازم يعني الدكتورة مفيدة؟

- امال، لازم الدعوة تبقى باسم الأم، أنا بسمعهم بيقولوا كده.

ثم نظرت أميرة لفهد نظرة طويلة، ومن دون أي تفكير قالت:

- فهد، أنا بحبك، وما أقدرش أعيش من غيرك.

- لازم تعيشي من غيري، أنتِ تستحقي أحسن واحد في الدنيا.

- أنت أحسن واحد في الدنيا يا فهد، أنا حاسة إني معاك ببقى في أمان، وجودك جنبي بيديني إحساس عمري ما حسيته قبل كده.

- أرجوكِ يا ملكي، ما تصعبيش الأمر عليا وعليكي، أنتِ مش ممكن تكونيلي، ولا أنا أنفع أكون ليكي، أنا قابلتك النهارده بس علشان أودعك؛ لأني هسافر كمان كام يوم لبلد بعيد، أبدأ فيه حياة جديدة، وعلشان أعلن توبتي قدامك، وأعرفك إنك سبب في توبتي، وإن أجرها عند ربنا من نصيبك أنت وحدك.

بكت أميرة، وتوسلت إليه ألا يتركها ويسافر، أو حتى أن يخبرها بمكان وميعاد سفره، ولكنه لم يقل، وتركها تضربه وتدفعه وتبكي وهو ينظر لها نفس نظرتة الثابتة الصامتة، وبعد أن فرغت من صياحها، وبعد أن آلمتها يدها من ضربه ومن دفعها له، صمتت، ورفعت عينيها في عينيه، فواجهت دموعه المحبوسة في عمق صفاء عينيه العسليتين.

ولم تدرِ أميرة العاقلة بنفسها إلا وهي ترتمي في أحضانه، فضمها له، وظلا صامتين لا يدريان كم مر من الوقت عليهما، مر عليهما دقيقة، أم ساعة، أم دهر، مر عليهما عمر من الحب، والحب لا يمكن أن يقاس بمقياس الزمن، عمر لا تدري إن كنت تحيا فيه أم هو الذي يحيا فيك، ولم تفق هي أو هو إلا على صوت تجمع الفلاحين حولهما، وهم يصرخون فيهما، ويتهمونهما بالفسق والفجور، فتركها فهد وأدار العربة؛ ليبدأ مناورة جديدة بالسيارة المتهالكة مبتعدًا عنهم، وهم يقذفونهم بثمار شجرة المانجو التي كانا يتظللان بظلها، فالتقط فهد بعض ثمرات المانجو ووضعها في حجر أميرة، وقال:

- خدي دول خليهم معاكي دلوقتي نغسلهم وناكلهم.

فقالت أميرة ضاحكة والدموع في عينيها:

- واضح فعلًا إنك توبت على إيدي يا فهد.

فضحكا معًا، وابتعد بالعربة بعيدًا عائدًا إلى المدينة الكبيرة، وأرجعها فهد إلى دارها السكني، ونزل وفتح لها باب السيارة، وقال:

- وصلنا يا ملك، ولازم ترجعي للعالم بتاعك.

ترددت في النزول، ثم نظرت في عينيه بحزن، ولكنه هذه المرة لم يطل في عينيها، وظل ينظر بعيدًا، متظاهرًا بالثبات والإصرار، إلى أن تركته ومشت أمامه بخطوات واهية مترددة، ولمحها بجنب عينيه تستدير وتنظر نحوه، فما كان منه إلا أن ركب عربته وانطلق بعيدًا عائدًا لعالمه، وتاركًا لها عالمها الذي ليس له مكان فيه.

دخلت أميرة غرفتها وهي في حالة شديدة السوء، وارتمت على فراشها وأخذت تبكي وتبكي وتبكي، ثم اعتدلت في جلستها وكأنها تذكرت شيئًا، وقلبت في أرقام موبايلها، ثم استراحت لقرار قد اتخذته بينها وبين نفسها، وقامت وأبدلت ثيابها وغسلت وجهها، ودخلت مروة متهللة وقالت لأميرة:

- شوفتي يا أميرة؟ الست فاقت وأدلت بأوصاف المجرم وهيمسكوه خلاص.

فاهتزت أميرة وقالت:

- ست مين؟ ومجرم إيه؟

- الست اللي ورانا، اللي الحرامية كانوا عاوزين يسرقوا بيتها ويخنقوا ابنها، فاقت ودلتهم على المجرمين، الشارع كله مالوش سيرة غير الموضوع ده، والبوليس كمان قالب الدنيا عليهم وهيجيبهم خلاص.

- طب والست قالت إيه بالظبط؟

- دول كانوا تلاتة، اتنين دخلوا عليها الأوضة وواحد كان في الصالة، وتصدقي إن إيه، التالت هو اللي أنقذ حياتها هي وابنها، وضربوه قدامها وهرب، تصدقي يا أميرة ممكن يكون التالت ده اللي دخل الأوضة عندك هنا؟ لأنه كان متصاب بردو، بس حتى الست بتقول إن أوصافه ما شافتهاش كويس، هو إيه يا خويا الراجل ده، سبايدر مان بينط وبيطير ومحدش بيشوفه؟

تنفست أميرة الصعداء، واكتشفت أن فهد كان معه حق في نص كلامه، وأنه لا بد وأن يسافر بعيدًا، ويبتعد عن هنا، أما بخصوص نص الكلام الآخر فقد ظلت تفكر وتتقلب في فراشها طول الليل، وفي الصباح وبعد أن انصرف الجميع لكلياتهم جلست أميرة على فراشها، وأمسكت هاتفها، وطلبت الرقم الذي طلبه فهد من تليفونها بالأمس، وما أن رد عليها الطرف الآخر حتى اعتدلت في جلستها وحدثته.

- ألو، أستاذ فتحي؟

- ألو، نعم، الأسطى فتحي معاكي يا هانم، مين معايا؟

- أنا ملك، وعاوزة أشوفك بخصوص صاحبك فهد.

- أنا ما أعرفش حد بالاسم ده.

- لأ حضرتك تعرف، بأمارة العربية الحمرا المسروقة اللي دبرتهاله، والسفرية اللي هو هيسافرها قريب، ورجب الوحش وصاحبه اللي كانوا هيموتوه، واللي أنت نصحته يبعد عنهم، وهو رفض نصيحتك.

- أنت مين بالظبط؟

- أنا ملك، وعاوزة أقابلك النهارده ضروري علشان حاجة مهمة جدًّا تخص فهد صاحبك، ويا ريت ما تقولوش ويفضل الموضوع بيننا سر، ولما هقابلك هبقى أقولك ليه.

- طب وأنا إيه يعرفني إنك مش متسلطة عليا؟

- معايا سلسلته الفضة الغالية عليه، همسكها في إيدي وأستناك عند محطة القطر بعد ساعة، أرجوك ما تتأخرش.

وذهبت أميرة لمقابلة فتحي، وقضت من الوقت ساعة بصحبته، ثم عادت، وقلبت غرفتها رأسًا على عقب، وبدأت في تجهيز شنطة صغيرة، فدخلت عليها مروة، وتلفتت في الغرفة يمينًا ويسارًا، وقالت:

- ممكن أعرف إيه اللي بيحصل بالظبط؟ هو في إيه يا أميرة؟

- مسافرة بكرة الصبح ضروري.

فقالت لها:

- فين؟ هو بعيد الشر، بابا أو ماما حصل عندهم حاجة؟

- لا، دي سفرية علمية جاني دعوة ليها، ولقيتها مهمة جدًّا لدراستي، فقررت أسافر.

- بس أنتِ عمرك ما عملتيها قبل كده.

- وأديني عملتها، وبعدين قولتلك دي سفرية مهمة لي ولدراستي يا مروة، ودلوقتي تصبحي على خير.

ولم تنتظر أميرة ردًّا من مروة، وأعطتها ظهرها ونامت، وتركت مروة غارقة في حيرتها، موقنة أن شيئًا قد حدث لأميرة غيرها تمامًا، ورغم تعجبها، إلا أنها كانت

متعبة، فبدلت ثيابها، وأطفأت نور الحجرة، ونامت هي الأخرى؛ لتستيقظ في الصباح، فلا تجد أثرًا لأميرة.

خرجت أميرة مع أول خيوط للفجر، واتجهت إلى رصيف الميناء للحاق بالباخرة المغادرة إلى شواطئ بلاد الأناقة والبيتزا والجلد الطبيعي والمكرونة، جميلة الجميلات إيطاليا، وكان لأميرة باسبور فيه معظم تأشيرات بلدان العالم؛ لأنها كانت تجوب مع والديها أنحاء العالم لحضور المؤتمرات الطبية، فلم تجد صعوبة مطلقًا في السفر، فقط قلة النقود والوقت جعلاها تحجز غرفة صغيرة في قاع الباخرة، ولكنها لم تكن تبالي، فهي لم تكن تفكر سوى باللحاق بفهد قبل أن تفقده للأبد، ومنذ أن وطأت قدماها أرض الباخرة وعيناها الزائغتان تنقبان بتفحص كل ركن وزاوية في السفينة بحثًا عنه، ولكنها لم تعثر له على أثر، فدخلت غرفتها متعبة يائسة، وحصلت على ساعتين من النوم السيئ جدًّا، بسبب موقع غرفتها السيئ، وفراشها الأكثر سوءًا، وما أن تحركت المركب وبدأت رحلتها في البحر حتى استيقظت جائعة، وكانت قد جمعت بسرعة وبدون ترتيب ملابسها، واشترت بعض الحلوى التي لا تثمن ولا تغني من جوع، فتناولت واحدة، وبدلت ثيابها، وخرجت في رحلة بحث جديدة، وطافت كل الباخرة بحثًا، حتى قتلها اليأس، وأخذت تحدث نفسها، أمعقول أن يكون فتحي كذب عليها؟ غير معقول، فقد كان صادقًا جدًّا في كلامه، حتى أنه قد أقسم

لها أن لهم صديقًا سيهربه مع البضاعة المخزنة في الباخرة، فلمعت فكرة في ذهنها، ونادت أميرة على عامل من عمال النظافة على سطح المركب وسألته:

- أين تخزن البضاعة والأشياء التي تشحن؟

فأشار لها على قاع المركب:

- طب والحاجات دي بينزلولها منين؟

- لا، ده ممنوع، ما بيسمحوش لحد بالنزول أبدًا.

- طب ممكن تساعدني؟

- ما أقدرش يا هانم، صدقيني.

فترجته حتى كادت تبكي أمامه، فقال:

- صدقيني ما ينفعش، ثم إن المخزن تحت ما فيهوش مكان تحطي رجلك فيه، ولو دخلتي هتتخنقي، حضرتك عاوزة إيه بالظبط وأنا أعملهولك من غير ما تتعبي نفسك؟

فشكرته ومضت يائسة، ودخلت غرفتها تتألم من الجوع ومن خيبة الأمل، ورغم تعبها، إلا أنها فكرت أنه لو كان على المركب فلن يفكر في أن يتحرك قبل منتصف الليل، وعزمت على البحث عنه في آخر الليل، وأرخت جسدها ساعتين أخريين من

النوم السيئ، ثم قامت ونظرت في ساعتها، وأخذت تجوب السفينة من جديد في جولة البحث عن حبيبها المفقود، ولم تجد شيئًا أبدًا، فعادت تجر رجليها حزينة، وأخذت تحدث ربها وتدعوه أن يجمعها بفهد، وبكت وبكت إلى أن سقطت جالسة متكأة بظهرها على القائم الذي تعلق فيه قوارب النجاة، وما أن أغمضت عينيها يائسة تدعو الله وتتمنى لو أنها تفتح عينيها فتجده أمامها، حتى هبط عليها فهد من السماء، ووقع أمامها مباشرة، فلم تصدق نفسها، وأخذت تصرخ من الفرحة، وتعانقه وهي تقفز، وهو يهدئها وينبهها بألا تجمع حوله المارة، ولا تلفت الانتباه، ولكن دون جدوى، حتى اضطر أن يكتم أنفاسها حتى تهدأ، فانتبهت أخيرًا لنفسها، وبدأت تملأ عينيها منه، غير مصدقة أنه أمامها بعد أن فقدت الأمل تمامًا في العثور عليه، وقالت:

- وحشتني اوى يا فهد، وكنت خايفة ما أشوفكش تاني، ده أنا دعيت ربنا وربنا سمع مني، ألا هو أنت نزلت منين؟

- شوفتي قوارب النجاة دي؟ كنت مستخبي في واحد منهم، ومستني لحد ما الرجل تخف وأنزل أفرد طولي، جسمي اتدغدغ من النومة الزفت دي، كنت حاسس إن أنا سلمونايا في علبة سردين.

فضحكت أميرة من كلامه وقالت:

- مش فارق كتير عن سريري، المهم إن احنا مع بعض دلوقتي، يلا تعالى معايا.

- آجي فين؟ أنتِ اللي هتيجي معايا، وهسكنك في أحسن حتة على المركب.

- ازاي يعني؟

- طول النهار ناس رايحة وجاية تحكي في كلام، وأنا عرفت إن أفخم أوضة على الباخرة فاضية.

- ازاي يعني؟

فسحبها من يدها وقال:

- ازاي دي نبقى نقولها بعدين، دلوقتي ورانا شغل، يلا تعالي ورايا من سكات.

ومضى بها على أطراف أصابعهما حتى وصلا آخر الرواق، فقال فهد لأميرة:

- دلوقتي بقى تقفي تستنيني هنا، ولو حد قرب تبقي تكحي بصوت عالي.

- هتعمل إيه يا فهد؟

- هسكنك في أحسن غرفة في الباخرة، بس أنتِ استني هنا.

وتسحب على أطراف أصابعه، وغاب، فأخذت أميرة تتلفت حولها خائفة، حتى عاد فهد وجذبها من يدها من جديد، وصعدا حتى آخر طابق على سطع الباخرة، فمضى بها إلى قمرة في منتصف الباخرة، واخرج من جيبة الآي دي الممغنط، مفتاح الماستر كي، الذي يفتح كل الأبواب الذي سرقه لتوه من غرفة النظافة، وفتح الغرفة، وانحنى يستقبل أميرة ويقول:

- اتفضلي، جناحك يا سمو الأميرة.

دخلت أميرة الجناح تضحك:

- فهد، أنت رجعت للسرقة تاني؟

- دي اسمها استعارة، هنستعير الأوضة أربعة أيام، وبعدين هنسيبها لأصحابها؛ لأني مش ناوي آخدها في جيبي وأنا نازل، ولا هو أنتِ عاوزاني أرجع أنام في علبة السردين تان والبراح والانشراح ده كله موجود؟

- ولو جم أصحاب الأوضة هنعمل إيه؟

- لا اطمني، أصحاب الأوضة الشيخة فاطمة والشيخ نواف اتخانقوا على رصيف المينا ورجعوا بلدهم دلوقتي، بعد ما طلعوا شنطهم ولوازمهم الله يسترهم يعني سكن ولبس.

- طب وأنت عرفت منين؟

فحكى فهد لأميرة القصة كما سمعها وقال لها:

- سمعت وأنا نايم مزنوق في القارب اتنين بيتكلموا عن الخناقة الكبيرة اللي حصلت بين سمو الأمير الشيخ نواف ومراته الشيخة فاطمة، أول ما دخلوا المركب، وازاي زعلوا مع بعض، وطلبت منه الطلاق، وسابته وسابت المركب ورجعت، وراح وراها علشان يصالحها بعد ما كانوا طلعوا شنطهم وحاجاتهم، واتفضلى بقى ادخلي وما تفضيحناش.

فدخلت الحجرة، منبهرة من فخامتها وجمالها، أما فهد فأخذ يفك أزرار قميصه، فعضت أميرة على شفتيها وقالت:

- إيه ده؟ هو أنت هتعمل إيه يا فهد؟

- ولا حاجة، هدخل آخد دوش قبل ما أنتحر من الحر والعرق ده، أنا كنت قربت أصدق إني سردينايا مخللة من النومة المهببة اللي كنت نايمها في المركب.

ومد يديه وفتح حقيبة الشيخ نواف، وأخرج منها ملابس ومضى بها إلى الحمام، أما أميرة فمضت وفتحت شرفة الغرفة التي تطل على البحر، وكان القمر متربعًا على عرشه الفضي الأسطوري في السماء، ونسائم البحر تداعب شعرها،

فاستنشقت أميرة هواء البحر، وأخذت نفسًا عميقًا طويلًا، وسرحت بعيدًا بعيدًا بخيالها، لا تدري كم من الوقت مر عليها حتى جاء فهد من خلفها، وأيقظ تأملاتها، وقال:

- نواف في خدمتك يا سمو الأميرة.

فالتفتت نحوه وانفجرت من الضحك، فقد كان جلباب الشيخ نواف كبيرًا جدًّا عليه، كان أكبر من مقاسه بمقاسين آخرين، وظهر وكأنه يعوم في الجلباب، ورابطة شماخه موضوعة على رأسه بطريقة مضحكة. وقالت أميرة:

- أكيد ده مش شكل أمير خالص، ولو شافك نواف كان قتلك، مش علشان سرقت هدومه لا، علشان هتبوظ سمعته وسمعة كل الأمرا اللي في الدنيا يا شيخ نواف.

وضحكت، لكنه لم يضحك، واقترب منها وقال:

- أما أنتِ فأجمل أميرة ملكتي أنا، وأميرة أحلامي، وملكة قلبي، وداعب خصلات شعرها وهو ينظر لعينيها، فارتبكت وارتجفت بين يديه، لكنها لم تدفعه حين تقدم، وعانقها تحت ضوء القمر معانقة طويلة، تمنيا معًا لو طالت المعانقة لآخر

عمرهما، ونامت أميرة في صدره صامتة مغمضة العينين وكأنها تستمع لأسرار قلبه، وداعب هو خصلات شعرها وهو يكرر كلمة واحدة وحيدة:

- أحبك، وأحب الدنيا لأنك فيها، أحبك يا أميرة عمري وأحلامي.

وفجأة ابتعدت أميرة عنه، وفاجأته وأربكته وقالت بمنتهى البساطة:

- يلا نتجوز يا فهد.

- إيه اللي أنتِ بتقوليه ده؟ لا طبعًا، أنتِ عاوزة تتجوزي حرامي يا دكتورة؟!

- أنا عاوزة أتجوز الراجل اللي حبيته وهفضل أحبه.

- الأمور ما بتتحسبش كده يا حبيبتي، بنت الدكتور والدكتورة والحسب والنسب والشهادة العالية لازم تاخد واحد من مستواها، مش واحد حرامي.

- أنا موافقة على الحرامي، وبحب الحرامي، أنا بحبك يا فهد، صدقني بحبك.

فضحك فهد وقال لها:

- ده أنتِ حتى ما تعرفيش اسمي، أنا اسمي...

وقبل أن ينطق حرفًا دق الباب أحدهم وقال:

- سمو الأمير، المطعم بيسأل تحبوا تتعشوا إيه؟

فرد فهد متقمصًا الشخصية العربية وقال:

- إيش عندكم طعام لليوم يا ولد؟

- جهزنا أكل خليجي لسموك.

ثم ذكر له أسماء مأكولات كثيرة لم يفهمها فهد، ونظر لأميرة، فرفعت كتفيها، ومدت شفتيها، نفيًا وعدم فهم:

- أنا أبغي كل أطباق اللحمة تبعكم.

فضربته أميرة في صدره وقالت:

- أنا ما بحبش اللحمة.

فقال له:

- زين، هات مع اللحم كل أطباق الدجاج انذوقها، وسويلي وليمة على سطح المركب علشان أبغي أشم الهوا، وما بحب كتمة المطاعم هادي.

- أنت تؤمر يا أفندم.

وانصرف الخادم، والتفت فهد لأميرة وقال:

- دلوقتي تطلعي من الشنطة هدوم للأميرة فاطمة وتلبسيها، علشان نطلع نتعشى.

- لا طبعًا، أنا مش ممكن أعمل كده، أسرق هدوم؟ هي حصلت؟

- خلاص خليكي هنا، وأنا هطلع أتعشى وأرجعلك.

- لا طبعًا، أنا ميتة من الجوع، بس بردو مش هسرق هدوم.

- يا بنتي دي اسمها استعارة، مش سرقة.

ومد يديه وفتح حقيبة الشيخة فاطمة، وأخرج لها عباءة خليجية وفوطة، وقال لها:

- هستناكي عشر دقايق تاخدي حمام ونروح نتعشى، وإلا هروح لوحدي وأسيبك هنا، ها؟ قولتي إيه؟

- أنا مش هعمل كده أبدًا.

فنظر فهد في ساعته وقال:

- فاتت دقيقة وباقي تسع دقايق.

- أنا عمري ما لبست هدوم حد.

- زمان الطاولة جاهزة والأكل سخن، فات تمن دقايق، دلوقتي فات سبع دقايق، بقوا ست دقايق.

- خلاص يا ساعة بج بن، خلاص، بطل توترني لو سمحت.

ومدت أميرة يدها بتردد، وأخذت الملابس، ومضت إلى حمام الجناح، وأخذت حمامًا دافئًا، وعادت أميرة.. أميرة حقيقية اسمًا ومعنى، وعلى ظهر الباخرة جلس الحبيبان في ثوبهما الخليجي يتناولان العشاء على ضوء خيوط القمر، وعلى أنغام موسيقى الموج، أكلا وأكلا حتى شبعا، ثم مد إليها يديه ومضى بها لسور الباخرة، ووضع يده على كتفها وقال:

- أشهد البحر والليل والقمر بأنك حبيبتي إلى آخر العمر، وأني لن أحب أحدًا بعدك أبدًا.

فقالت:

- وأنا أشهد البحر والليل والقمر، ومن قبلهم الله سبحانه وتعالى بأني زوجتك نفسي، وأني ملكك وحدك لآخر العمر، وأني لن يشاركك فيَّ أحد أبدًا.

فقبل يديها، ونظر طويلًا في عينيها، وجابا معًا كل أنحاء المركب سيرًا، طلوعًا ونزولًا، إلى أن ظهرت أول بواكير الفجر، فأخذها لجناحهما ليستريحا من عناء يومهما، فأدخلها وخلع شماخه ورماه بعيدًا وقال لها:

- هنام هنا على الشيزلونج ده وأنتِ في أوضة النوم، تصبحي على خير.

فنظرت له طويلًا وقالت:

- لا أنا أشهدت الله على إنك زوجي وهنام معاك في حضنك يا زوجي العزيز.

فارتبك فهد وقال:

- لا أنتِ شكلك بدأتي تتهوري، وكده ما ينفعش خالص.

- أنا ما بهزرش على فكرة.

- ولا أنا بهزر، وفي حاجات ما ينفعش فيها هزار خالص، اتفضلي يا أميرة على أوضتك علشان تنامي، وسيبيني أنا كمان أنام.

- وأنا مش هنام غير جنبك، ومعاك، وفي حضنك.

- أنتِ فاهمة غلط؛ لأننا مش هنبقى لوحدنا، في شيطان صغنون بس بيقولوا عليه شاطر قوي هييجي يتحشر في وسطنا، وأنا الصراحة بخاف من الشياطين، فخشي نامي وخلي الليلة دي تعدي على خير.

- وأنا مش هنام غير معاك يافهد.

- أنا بدأت أفقد أعصابي، الله لا يسيئك خشي أوضتك وتصبحي على خير.

- مش داخلة يا فهد قولتلك.

فحملها فهد وأدخلها الغرفة، ورماها على الفراش، وخرج بسرعة، وأغلق وراءه الباب بالمفتاح، وقال لها:

- تصبحي على خير يا أميرة، والصباح رباح.

فصاحت أميرة من خلف الباب صارخة فيه، لاعنة أجداده، فقال لها:

- خدي بالك لو حد عرف إننا مش فاطمة ونواف هييجوا يرمونا في البحر، وننام في بطن الحوت، اتخمدي نامي يا أميرة، وتصبحي على خير.

فبكت وقالت:

- فهد أنا بحبك وعاوزة..

فقاطعها فهد:

- أكيد عاوزة تدخلي الحمام بعد العشوة التقيلة دي، عندك حمام في الأوضة على فكرة، ومناديل وصابون وسافون ومية ساقعة وسخنة.

فضحكت أميرة من كلامه وقالت:

- إيه القرف ده؟ أفكارك زبالة يا فهد؟

فرد فهد في سره:

– أنا بردو يا أميرة؟ روحي منك لله، صحصحتيني وفرهدتيني، على الله أعرف أنام بعد اللي أنتِ قولتيه ده، روحي منك لله.

فقالت:

– بتقول حاجة يا فهد؟

فرد عليها:

– بقولك اتخمدي بقى تصبحي على خير.

وقضت أميرة وفهد أربعة أيام في الجنة، يمشيان معًا، يأكلان معًا، يضحكان معًا، وينظران للقمر، ويحدثان البحر، ويطوفان المركب كلها يوميًّا سيرًا وجريًا، وأحيانًا أخرى كان يحملها فهد على يديه، وعندما يستمع إلى الموسيقى الصادرة من كافيتريا الباخرة كان يجذبها من يدها ويراقصها ويضحكان معًا، حتى أثارا إعجاب ولفتا انتباه كل من رآهما على سطع الباخرة، وفي المساء كانا يرتديان الأثواب الخليجة، ويتناولان عشائهما الفخم جدًّا على ضوء القمر على الطاولة الخليخية الفخمة، ثم يترجلان إلى أسوار الباخرة، ويقضيان الليل حتى الفجر ضحكًا ومرحًا ورقصًا وغناء.

كان لفهد وجه آخر طفولي أحبته فيه أميرة، واندفعت أميرة في حبها ومشاعرها تغرقه بكلامها المعسول، وتردد عليه عبارات الحب بلا توقف، ثم عند ظهور الفجر كانا يدخلان جناحهما في الباخرة، ويتحايل فهد أي حيلة ليدخل أميرة الغرفة ويغلق

عليها الباب حتى الصباح، ومهما تيقظت لحيله كان يغلبها في آخر الأمر، ففي اليوم الثاني طلب منها أن تجلب له بعض الأشياء من الغرفة، وحين دخلت أسرع وأغلق خلفها الباب، وفي الليلة الثالثة رفضت تمامًا أن تدخل الغرفة، وبقيت في صالة الجناح، وقد قررت أن تشاركه النوم على الشيزلونج، فما كان منه إلا أن قال لها:

- خلاص، هدخل أنا جوه وخليكي أنت هنا.

ودخل الغرفة، فدخلت وراءه، فدفعها وأغلق عليها الباب، حتى جاءت الليلة الرابعة، فتناولا عشاءهما معًا كالعادة، ودخلا الجناح كالعادة، لكن فهد لم يطالبها بأن تنام وحدها في الغرفة، بل حملها وأدخلها الغرفة، وهي متحفزة متحسبة لأي مفاجأة منه يحبسها بها في الغرفة ويخرج هو، لكنه لم يفعل، بل إنه نام بجوارها، واحتضنها بقوة لم تعهدها فيه، وأخذ يحكي لها تاريخ حياته كله، وكيف وصل لأن يصبح لصًّا، وهي متعجبة من كلامه، تنظر نحوه وتسمعه، وبداخلها إحساس لم تسترح له، لكنها في حضنه، وهذا ما كان يكفيها لتستريح العمر كله.

وفاجأها فهد وقبلها لأول مرة في عمر علاقتهما القصيرة الجميلة، قبلة طويلة جعلتها تندفع نحوه، وتمسح بيديها على ظهره وكتفه وصدره بقوة وحب، فأمسك يدها، وقبل أصابعها واحدًا واحدًا وقال لها:

- عمري ما هنساكي يا ملاك عمري.

- أنا مصيري ارتبط بيك يا فهد، أنت بالنسبة لي حبيبي وزوجي كمان.

وحركت يديها على صدره، فأوقف يديها وحمل يديها يقبلها من جديد، وهو يضحك ويقول:

- لا بصي، أنا حبيبك آه، مسألة زوجك دي يا ريت نأجلها شوية، خلينا مخطوبين بس، ومسموح بمسك الإيد والتقبيل وبس.

فضحكا معًا، ونامت في صدره عمرًا من الزمن لا تدري ما هو، حتى زارها نفس الحلم القديم، وسقطت في البئر السحيق، فأفاقت لتجد نفسها وحدها في الفراش، ظنت في أول الأمر أنه في الحمام، لكنه لم يكن كذلك، ذهبت وبحثت في الشرفة، لكنه لم يكن فيها، فتشت عنه كل أنحاء الجناح ولم تجده، فمضت لتفتح الباب وتبحث في أنحاء السفينة التي أشرفت على دخول الميناء الإيطالية الساحرة، فوجدت ظرفًا معلقًا على طرف مقبض باب الجناح، فحملته ونظرت فيه، فوجدته مكتوبًا عليه:

- إلى مليكتي، وملاكي وأميرتي... أميرة.

فأخذته وأسرعت تبحث عن فهد، ولكن زحام الناس وزحمتهم حالت بينها وبين أن تراه، طافت المركب كله وسط الزحام ولم تجده، نادت وصرخت وضاع صوتها هباء، الذي تحول إلى موجة بلعها رمل الشاطئ، نزلت أميرة من المركب ضائعة خائفة مهزومة، لا تدري أين تذهب، ولا من أين جاءت، وما الذي تفعله، ومضت خطوات بطيئة نحو اليابسة، فسمعت من يناديها، فالتفتت فوجدت أباها وأمها ينتظرانها، وقال لها أبوها:

– أميرة حبيبتي، أخيرًا اقتنعتي إنك محتاجة أجازة؟ جاني جوابك، وما صدقتش إنك عاوزانا نلحق بيكي لإيطاليا.

وقالت أمها:

– شكلك فعلًا تعبانة ومخنوقة زي ما كتبتيلي، ما تخافيش يا حبيبتي، أنا وبابا جنبك، ومش هنسيبك.

واحتضنتها أمها، فانفجرت أميرة في البكاء، ومضت معهما للسيارة المنتظرة على آخر رصيف الميناء، بعد أن يئست تمامًا من أن تعثر على فهد الذي ذاب في الزحام، وانطلقت بهم السيارة بعيدًا، وأميرة محتضنة لجواب فهد في يديها كأنه آخر فرصة لها للحياة، فتلك الورقة هي الشيء الوحيد الباقي منه.

ووصلت بهم السيارة للفندق الكبير، ودخلوا غرفهم للاستراحة بعد عناء السفر، وأسرعت أمامهما لحجرتها وتركتهما في حيرة من أمرهما، ثم جلست على الفراش وفضت غلاف الخطاب الطويل، وأخذت تقبله وتبكي، ثم فتحته لتقرأ آخر كلام فهد لها.

– حبيبتي، ومليكة عمري، وأميرة أحلامي، أميرة

لما تكوني أنت بتقري الجواب ده هكون أنا على ضهر مركب تاني رايح على بلد تانية، بس المرة دي ما تحاوليش تعرفي هي إيه، أنا ما قولتش لفتحي عليها علشان ما تسأليهوش وتعرفي منه مكاني.

انسيني يا ملك، أنت مش مخلوقة علشاني، أنتِ كتير عليا اوى، وأنا لأني بحبك حرمت نفسي من وجودك جنبي، واخترت أعيش العمر كله على ذكرى الأيام الجميلة اللي قضيتها معاكي، أنا عمري ما هنساكي، ولا هحب حد تاني غيرك، لكن أنتِ يا عمري لازم تحبي وتعيشي، أنت ملاك، وحقك على الأرض جنة تجمعك بالملايكة اللي زيك، واللي مش ممكن يكون ليا مكان بينهم.

أنا لما عرفت من فتحي إنك سألتيه عن سفري حسيت إنك مجنونة، وممكن تعمليها وتيجي ورايا، فبعت لوالدك برقية إنه يلحقك على ميناء إيطاليا، وعلى فكرة أنا كنت شايفك من بعيد جدًّا، وما اتحركتش وسيبتك إلا لما اتأكدت إنك اتجمعتي مع أهلك، واطمنت عليكي معاهم.

الوادع يا عمري، خدي بالك من نفسك، وانسيني يا ملكي، أما أنا فمستحيل إني أنساكي.

وكانت تلك الكلمات آخر كلمات فهد لأميرة، وكانت الأربعة أيام التي قضتهم على ظهر المركب معه في الجناح الملكي هي كل عمر أميرة، وكل عمر فهد أيضًا، ولم ينسَ أحدهما الآخر، وأغلقت أميرة عقلها وقلبها على فهد، ووضعت كل طاقتها في دراستها وعملها، حتى تخرجت وسافرت تجوب العالم بحثًا عن فهد، بلا جدوى، وكانت في كل التجمعات حولها أو في مؤتمراتها الطبية الكثيرة الكبيرة كانت تلمح طيفه من بعيد، وعندما تحاول اللحاق به كان يختفي تمامًا دون أن تعرف إن كان طيفه هذا حقيقة، وأنه يلاحقها أم أنه خيال، وهي التي تلاحقه، ولم تتزوج أميرة، وكلما

واجهها أحد بالحديث عن الزواج كانت تقول بأنها متزوجة بالفعل، ووفية لذكرى زوجها، وعندما يكثر التساؤل والتعجب حول كلامها كانت تقول أنا متزوجة بالعلم وبالطب، فاللحاق بآخر تطورات العلم كأنك تلاحق فهدًا سريع الحركة يسرقك من عمرك، ومن حياتك، دون أن تدري، فيضحك الجميع على مزاحها، وتبكي هي من داخل قلبها ؛ لأنه ليس مزاحًا، ولأن فهد قد سرقها فعلًا من حياتها، ثم اختفى، ولم تستطع اللحاق به، أما حلمها الذي كان يزورها كل ليلة، والتي ترى نفسها تسقط في البئر فلم يعد يزورها، وهذا لأن حلمه كان قد فُسر بالفعل بعد أن سقطت الأميرة في البئر وراء فهد.

**** تمت ****

بقلم/ غادة العليمي..

الفهرس

المقدمة ٧
إهداء ٩
القصة الأولى: شقة في الدور الثالث ١١
مقدمة ١٣
شقة في الدور الثالث ١٤
القصة الثانية: لا تلمسوا النجوم ٦٣
مقدمة ٦٥
لا تلمسوا النجوم ٦٦
القصة الثالثة: حب.. ووعد.. وثأر ١٣٣
مقدمة ١٣٤
حب ووعد وثأر ١٣٦
القصة الرابعة: أربعة أيام في الجنة ١٨٣
مقدمة ١٨٥
أربعة أيام في الجنة ١٨٦
الفهرس ٢٥٦